

اهداءات ٢٠٠١

المرحوم ا.م.د. زكي علي

القاهرة

المنازة الثانية الشخصية

في

مصر الوثنية والمسيحية

اطلب التاريخ الصحيح فتستريح وتريح

تأليف

اسكندر صيني

المطبعة الحديثة
لندن
عدد ٥٦٠٢١

شارع علوى رقم ٥ بالقاهرة

ELIAS' MODERN PRESS,
ELOUI STREET, CAIRO.

حقوق الطبع محفوظة للأولف

All rights reserved



يطلب هذا الكتاب

من ادارة « سفنكس Sphynx » بالقاهرة

في شارع المناخ

وثمته عشرون قرشاً

مقدمة

الرائد لا يكذب اهله ، ولا يبرقش قوله ، وأي استخرفت الله وجمعت
هذا التاريخ من كتب الافرنج الفضلاء ، المطلعين على اخبار الاغريق
والرومان القدماء ، وسميته

المنارة التاريخية في مصر الوثنية والمسيحية

بيد أنه السيار المشرق في بوار المشرق ، قصدت فيه فكاهة قارئيه
والتعليم ، وتنبيه افكار الشبان وذوي النوق السليم ، واخاله قد أتى رائق
الحديث بعيد الغور ، وارجو أن يكون قاضياً على مثل ذلك الدور ، وذلك
الجور ، حتى يرى المشرق زاهياً راقياً ، ولأسباب العمران واعياً داعياً ،
وألأ يفوته الاعتبار ، من عطات هذه الحوادث والاخبار ، ان شاء الله .

بِسْمِ اللَّهِ

الفصل الاول

سنة ٥١ الى ٣٠ ق م

في قلاو فطرا واخويها ويوليوس قيصر ومارق انطوني

(١) في سنة احدى وخمسين قبل المسيح تُوِّفِيَ ملك مصر اليوناني بطليموس نيوس ديونيسيوس بالاسكندرية تاركاً وصيةً بالملك بعده لابنته البكر قلاو فطرا ولابنته بطليموس الاكبر على انهما يقتربان (١) ويحكان سوية . وكان قد ارسل صورة هذه الوصية لمجلس الامة في روما لتحتفظ في سجلاته لوقت الحاجة وبها يقسم على الشعب الروماني بالاقسام الغليظة بالهتهم وبالمعاهدات الودية التي بينه وبينهم ألا يخالفوها ويعهد اليهم بكفالة ولده حتى يبلغ اشده فعند موته اقام المجلس وصياً على الملك القاصر يومي صديق والده وفي السنة الثالثة من ملك قلاو فطرا واخيها ارسلت الاسكندرية ستين مركبا حربيّاً

(١) كالعادة عند ملوك مصر الاقدمين لا سيما بين ابناء العائلات منذ

لاسماف پومپي ضد خصمه يوليوس قيصر ، وبينما الحوادث تشغله
كان الحصي بوتينوس مربي الصبي هو الوصي فعلاً فاستأثر
برأيه واعان الملك باسم الصبي وحده خلافاً للوصية

(٢) فانكرت قلاو فطرا فعله وهربت منه الى سورية وهناك جمعت لها
جيشاً وزحفت به الى حدود مصر تطلب حقها من الملك بالسيف .
واذ كانت جنود مصر واقفة في بلوزيوم (١) لتقاومتها وصل الى
الاسكندرية پومپي مذعوراً من وجه قيصر المنتصر عليه في
فرساليا (٢) يطمع باستقبال حسن ومروءة من مملكة ابن صديقه
غير مدرك بدرجة مكر اليونان الذين لما رأوا ضعفه وخذلانه وقوة
خصمه اجتمعوا رايهم على العنصر به فارسلوا القائد الاخلاص والقائد
لوقيوس ستيهوس لاستقباله على المرفأ بظاهر الحفاوة والمودة
ولما وصلوا به الى البر قتلوه . وعلى قول تيودوتوس اليوناني من
جزيرة خيوس استاذ الملك الصغير « لا خوف عليهم من عضمة
الميت » . وكان پومپي ذاك الشهم الخطير الذي تقلد رياسة
مجلس روما ثلاث مرار وله اليد البيضاء امام والد ملكهم القاصر

(١) امنح حصون ممر قديماً على ميليت من ضفة النيل الشرقية
جهة سورية

(٢) هي تساليا الحديثة

(٣) وبعد قاييل وصل ايضاً قيصر للاسكندرية ، وفيها بلغه ما أراحه من ثقل جرم قتل حَمِه پوميي . وكان مامعه من الجنود لايزيد عن ثلاثة الاف ومايتي راجل وثمانماية فارس لكنه بصفته كرئيس مجلس روما واستناداً على ما بقى من قواته في اسيا لم يحجم عن اصدار امره للعمل بوصية ديونيسيوس . فالملك اظهر الطاعة وبامر قيصر بعث رسولين الى اخلاس بالاً يتحرك بالجنود التي معه في پلوزيوم . لكن مرييه پوتينوس اسر الغدر بقيصر ايضاً فارسل من قتل رسل الملك بالطريق بينما رسله تجدد بالوصول الى اخلاس لتطلبه مع رجاله للاسكندرية باسرع ما يمكن

(٤) وكان قيصر قد ازعج پوتينوس بالخاصه عليه لوفاء دين جسيم كان له على الملك السالف . وتظلم پوتينوس للناس من طلبه واحقدهم عليه لا بل انه امر بازالة اواني الذهب والفضة من مائدة قيصر وابدالها باواني الخزف والخشب واخبره بان تلك قد صبّت تقوداً لوفاء دينه ، وقدم لجنوده سفالة الاطعمة وامتن بها عليهم كغير مندوبين لبلاده

(٥) اما قلاوفطرا فكانت لم تزل ضاربة خيامها بالقرب من پلوزيوم تنتظر نتيجة اوامر قيصر . ثم انها احتالت لمواجهته واثقة بقوة جمالها لاستمالة لنحوها ، فركبت البحر خفية وذبرت وقت وصولها للاسكندرية ليكون ليلاً ، وبوصولها اليها نزلت بمركب

صغير مع صديق لها يدعى ابولودوروس الصيقلّي . واذ رأت دخولها للقصر الملوكي علانية مستحيلاً ، طلبت الى رفيقها ان يلقها ببساط ويلقيها على باب القصر كبضاعة برسم قيصر ففعل ونجحت حياتها ووجدت نفسها واقفة امام قيصر ، لكنها بينما كانت قد جاءت سائلة اذا بها مالكة قلبه وصاحبة الامر على الملكة باسرها

(٦) وبهذا الاثناء وصل اخلاّس بجنوده للاسكندرية ، ولم يكن لدى قيصر سوى الجنود التي اتى بها وكان الشمب حاقداً عليه . فلما رأى ضعفه عن الخروج لاختلاس عمد الى الامتناع بالقصر فتحصن وحبس عنده الملك واخاه الاصغر واختهما ارسينويه (اي القمر) ويوتينوس . وكان القصر بالنقطة المسماة بروخيوم على الشاطئ وله سور منيع لجهة المدينة والطرقات منها اليه ضيقة لاتسمح للعدو ان يقتحمها بعدد كبير من الرجال ، ومع ذلك فان قيصر رأى استلزامه لمدد اوفر على البر ، فامر جنوده التي كانت باقية بالمراكب ان تحرق بعضها وتأتيه للبر . فلما اشتعلت المراكب التي امر بحرقها طار شرارها الى مخازن الرصيف فاتقدت وامتدت النار منها الى الموزيوم فاحرقته وابدت مكتبته الشهيرة مع السبعائة الف كتاب التي كانت فيها وبها وبعلماتها ازدان ملك البطالسة وذريتهم حتى في اخر الزمان وتسلب الجهل على الملكة وبها كانت

الاسكندرية محط رجال رجال العلم بعد اثينا . ولولا ان قيصر يلاق
فرجاً من اعدائه ولو بهلاك هذه المكتبة لسكان ولا شك ترك
لنا بتاريخه عن حروبه تأييداً لاقتفاً بها . فكاننا حال الجريض
دون القريض

(٧) ثم ان ارسينويه هربت من القصر الى اخلاس . فدقق قيصر
المراقبة حينئذ على من معه ، واكتشف على دسائس من پوتينوس
بها يطمع اخلاس بقلة المؤنة بالقصر ويستنهض عزمه فقتله

(٨) ولبت اخلاس محاصراً قيصر فحفر خندقاً بجانب القصر لمنع
من فيه من الخروج ، وسلح العبيد وسخر الاغنياء ، وبلصهم لكن
اذ ارسينويه عارضته ببعض تصرفاته ولم يصغ لكلامها ، عملت
على قتله واستبدت بالسلطة فاقامت خصيماً غانميدس قائداً على
العسكر وكانت هي بنفسها تخرج للجنود وتشجعهم على القتال
وسنها لا يتجاوز الثمانية عشرة . واذ كان شرب الاسكندرية من
صهاريج يأتيها ماء النيل بانابيب من الترعة ، حوّل غانميدس ماء
البحر المالح لتلك الترعة ، فلما اشعر رجال القصر بتغيير طعم ماء
صهر يجهم هاجوا قلقاً لئلا يموتوا عطشاً ، لكن قيصر عرف السبب
فامرهم بالحفر بالارض ، وبليلة واحدة وجد ماءً عذباً يكاد يكفي
البلد كله خلافاً لزمع الجمهور لذلك الزمان بان ارض الاسكندرية
ليس تحتها ماء يُشرب

(٩) ثم ان غانيميدس فكر فيما يصنع لهلاك المراكب الرومانية وهو لا موالي له يجار بهم بها . فاستدعى كل المراكب التي كانت عنده لمراقبة الكمارك بالنيل واصلح العتيق من مراكبه البحرية واخذ اخشاب البيوت لعمل المقاذيف وبعدة قصيرة جهز سبعة وعشرين مركباً حربياً ومراكب غيرها صغيرة كلها بكامل وقام مراكب قيصر ما خلا الزينة . وكان ماسك الدفة بمراكب الاسكندرية يقف تحت خيمة بشكل الخوذة (التي اسمها بالانكليزي هلميت) فصار فيما بعد هلم اسماً للدفة بلغة الانكليز . اما قيصر فلم يكن باقٍ عنده من مراكبه الحربية سوى خمسة عشر مركباً مع بعض مراكب صغيرة ، ولكنه اذ كان واثقاً بمحنة وشجاعة نوتيته الرودوسيين امرهم بالخروج الى العدو المحيط بهم وراء جزيرة المنارة ، ورغماً عن ان ضيق المخرج كان لا يسمح لهم بالخروج باكثر من اربعة مراكب بالدفة يمكن للعدو كلها برزت ان يحوط بها ويحطمها ، خرجوا اليه وكانوا كلما تصدّى لهم مركب من مراكبه يديرون له رأس مركبهم المحدد الى انهم نزل مراكبهم الاربعة الاولى تمكنوا من اخراج مراكبهم كلها من المرفأ واستعر القتال بين الفريقين حتى احمر وجه البحر من الدماء . وكانت ترى سطوح الاسكندرية والجزيرة غاصّة بالمتفرجين وصراخهم يملأ الجو تحريضاً لرجالهم على القتال . اما نوتية قيصر فكان لا حاجة

- لهم بالتحريض الامن عند أنفسهم ، فاسروا مركبين واغرقوا
ثلاثة من مراكب العدو وهرب منهم الباقون وتبددوا
- (١٠) فلتلقي مثل هذا الخطر ثانية ، عزم قيصر على الاستيلاء على
جزيرة المنارة فعبأ مراكبه وخرج اليها فأخذها والقلمة التي
فيها والسد الذي يربطها بالبر بينما كان العدو ماسكاً بالطرف
الآخر من السد قلعة اكبر فقصده ان يخرج منه ايضاً ، لكنه
لما جرت ذلك أخفق وارتدت جنوده هاربة لمرآكها والعدو
يضغطها ، ومن شدة الازدحام بالمراكب غطس مركب قيصر
الخاص به ولولا انه يرمي بنفسه الماء ويسبح لمركب أبعد لكان
هلك من جملة الثمانمائة مقاتل الذين تقدم ذلك اليوم . وقد جبت
الرسمية فأخذها المصريون وعلقوها وسط المدينة علامة لانتصارهم
- (١١) ثم حصلت مهادنة بينهم لأن المصريين كانوا قد بدأوا يشكون
من جور ارسينويه وخصيها ويطلبون ملكهم . وكان قيصر
يحسن الظن بالصبي فعزم على اطلاقه وردّه اليهم ، فبطليموس
الأكبر اظهر عدم رضائه من مفارقة صديقه قيصر وتأسف وبكى
لكنه اذ بلغ معسكره مسح دموعه وأعاد الكرة على قيصر
- (١٢) وكان قيصر ينتظر أن تأتيه مراكب سورية بذخيرة فوضع
بطليموس مراكبه على مصب النيل جنوبي الاسكندرية وسد
عليها الطريق

(١٣) انما متر يداتس البرغامي كان زاحفًا برًا بجنود سورية لاسعاف
قيصر، وبوصوله الى باوزيوم فتحها ثم مشى الى منف (١) عازمًا
أن يقطع النيل بالقرب من هليوبوليس فقام اليهود هناك
يعارضونه لسكنه لما اطلعهم على الرسائل التي معه لهم من
اخوانهم في اورشليم أنسوا به . ثم لحق به انطياطر بثلاثة آلاف
مقاتل من اليهود، وقيصر ومن معه من الجنود أتوه مقامعين
بجراكبهم فحشد لهم بطليموس قواته وكان القتال بينهم أولاً
سجالاً الى ان كسروه فالتجأت رجاله لراكبها وازدحم مركبه
الخاص فنطس به وبمن معه وهلكوا بأجمعهم

(١٤) فعاد قيصر حينئذ بجنوده للاسكندرية، ولما وصلها خرج اهلهما
لاستقباله وامامهم الاصنام يطلبون الأمان، فأمنهم ودخل المدينة
وأول اوامره كان أن يعمل بوصية ديونيسيوس ولما كان الابن
الاكبر قد مات أمر ان يكون أخوه بطليموس الاصغر عوضاً
عنه بالملك مع قلاو فطرا، وكانت قلاو فطرا قد ولدت لقيصر ابناً
سماه قيصرون (٢) ورغماً عن ولعه بها لم ير بداً من رجوعه لروما

(١) — عاصمة مصر القديمة على اثني عشر ميلاً جنوبي القاهرة وايس لها اثر الان . اما هليوبوليس مدينة الشمس المصرية فهي «عون» التوراة
(٢) — هكذا كان قانون الملكة لكي لا يسقط حق الملكة من ملكها بادخال غريب عنها فيه فكانت تأخذه صاحباً

فتركها تحكم باسمها واسم أخيها الذي صار زوجها الشرعي كثنائين عنه ، وأبجر لروما مع الفيلق السادس الروماني آخذاً معه الأميرة ارسينويه اسيرة . فلما وصل اليها علم بأن مجلس الامة فيها قد سماه اوتوقراطاً من ستة اشهر وكان مارق انطوني رئيس اصطبله النائب عنه في تلك المدة

(١٥) ودخل روما قائداً الاميرة ارسينويه موثوقةً بالاغلال وراء مركبته .

وكان بموكبه مركبة فوقها صنم آله النيل واخرى تحمل تمثال منارة الاسكندرية ووراءها زرافة لم تكن الرومان عرفت شكلها من قبل . ثم بعد قليل وفدت عليه زائرة الملكة قلاو فطرا مع زوجها الشرعي وعمره اثنتا عشرة سنة وكانا نزيلي داره مدة من الزمان ولما كانت السنة الخامسة من دخوله الاسكندرية واذ قلاو فطرا

(١٦) نزيلة داره انتقض عليه الرومان لزعمهم أنه قد استبد فيهم ، وقتلوه . فتحيّرت قلاو فطرا في امرها وظنت أنها تستميل الرومان اذا عرضت على مجلس الامة اقامة ولدها قيصرين شريكاً لها بالملك . فالتجأت الى قيصرين ليعضدها لكنه كان يبغضها لتجبرها فرفض طلبها وهدية كانت قد ارسلتها اليه ، فلما انكرها وجلت وهربت راجعة لمصر

(١٧) فمن هذا الوقت ضيقت مصر استقلالها وأمست قلاو فطرا في خطر من الرومان ان لم يكن لها زيون منهم فحوّلت انظارها

اولاً (وقيل أكثر من ذلك) نحو سكتوس بومبيوس الذي كان على رأس اسطول روماني عظيم وييده صقليا ويطمع برئاسة روما ، لكن اوقتا ويانوس بعد قليل انتصر عليه ولاشى قواته فلم يفدها شيئاً

(١٨) وكان قيصر قد ترك في مصر جيشاً رومانياً وافراً لحراسة المملكة

ظاهراً ، لكن حقيقة لحفظ السلطة الرومانية . فكان هذا الجيش لا شغل ولا عمل له الا البطر والفساد وكان شرّ قدوة للجمهور

(١٩) أما قلاوفطرا فريثما كان اخوها ولدأ قاصراً لم تبال ان يكون

شريكاً لها بالملك ، لكنه اذ بلغ اشدّه قتلته واخذت ابنها قيصرون شريكاً لها

(٢٠) وبوجه الاجمال فان هذا الزمان كان زمان فسق وفجور واسراف

وقتن في مصر ، فلا نجد فيه شيئاً من نتائج العقل والعلم ، الا ان الرياضيات كان اهمالها اقل تأثيراً من اهمال الشعر والفلسفة . فان

سوزيجينوس كان اول علماء الفلك في ذلك الزمان في مصر وبمساعده أصلح يوليوس قيصر تقويم السنة المنسوب اليه وهو

الذي بعد تحديده ايام السنة من ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم بدّل رأس السنة ثلاث مرار لارتياحه بيوم الاعتدال ، وذلك

لأن المراقبة اللازمة كانت في ايامه محصورة بيومين من السنة اذ تمر الشمس بنقط الاستواء

(٢١) ومن علماء الحساب والمهندسة في ذلك الزمان كان الرياضي فوتيدوس وديديموس بالفقه ، وديسقوريدس بالطب ، ولهذا كتاب نفيس بخصائص الحشائش والاعشاب والمعادن للطب ، وبالسموم وعلاجاتها تداولته الناس اجيالاً عديدة الى ان اضعفت الاكتشافات الحديثة رأيه . واشتهر ايضاً بهذا الزمان الجراحى " سيرايون . قيل عن تجربة لا عن علم

(٢٢) وبهذا الزمان كان بناء المعبد الصغير في هرموتس بالقرب من ثيبه للآلهة مندو او الشمس على اسم فلاو فطرا وابنها قيصرن ، وبالقرب منه حوض ماء للزوم الفرائض الدينية . وهذا المعبد يختلف عن المعابد القديمة بضعفه عنها . وهو الوحيد في ثيبه للاله مندو . مع انها كانت تعرف هذا الاله من عهد رمسيس الثاني لسكنه اصلاً من الهة الارياف وانما آتى زمان عبادته فيه ثيبه بدلاً من « عمون را » . ثم رجعت لعبادة هذا الى ان سيد بذاك الزمان المعبد الصغير لمندو الذي سنراه بالعهد التالي قد صار من آلهة النوبة

(٢٣) اماموت قيصر فلم يكسب الرومان شيئاً من الحرية المندوبة والراحة المرغوبة ، لا بل انه زاد بالنزاع فيما بينهم وبيلايا الفتن الداخلية . ثم تغلب حزب قيصر على غيره من الاحزاب بعزم

اوقتاويانوس ابنه الشرعي وصديقه مارق انطوني . وعادت الساطة
لهذه الفتة ونيرها أحكم ربطاً من نير قيصر وأعظم وقرأ
(٢٤) لا يظهر لنا جلياً كيف كانت أميال قلاو فطرا لدى النزاع بين
مارق انطوني وحزب قاتلي قيصر، وربما انها كانت تنتظر لترى
من الأقوى لتميل اليه فان اليانوس كان قد أتاها من قبل
دولوبلا يسألها أن تبعث ما يمكنها من الجنود لمساعدة انطوني
في سورية، فأعطته أربع فرق من جنودها الرومانية . لكنه
بوصوله لسورية انحاز لقاسيوس خصم انطوني . فهل كان هذا منه
غدرًا بقلاو فطرا أم بتواطئٍ منها، لا نعلم؛ انما المعروف هو ان
قاسيوس كان يشكر لاليانوس اكثر من شكره لها . ثم لما سيرايون
والي قبرس حشد ايضاً لما كان يظنه الحزب الأقوى وبعث
مراكبه لخدمة قاسيوس كانت قلاو فطرا تجهز عمارة كبيرة . لكن
بما ان قبل خروج هذه العمارة كانت الحرب قد انجملت عن
انتصار انطوني وقتل بروتوس وقاسيوس قالت أنها انما كانت
تجهزها لمساعدة اوقتاويانوس وانطوني فأرسل انطوني يطلبها
لمواجهته في طرسوس لتبرهن له ذلك

(٢٥) فالرسول اليها ديلوس لاقى منها اكراماً وحنفاة فإلطفها وأزال
روعها مشيراً عليها أن تتكل على جمالها فجهزت مراكبها وشحنتها
بالهدايا النفيسة واقلعت لطرسوس واثقة بالغلبة على قاب قاضيا كما

غلبت على قلب قيصر من قبل وهي أحدث سنًا وأقل حنكة
 فدخلت مراكبها نهر قِدْنُس الذي نسميه العاصي برونق باهر جداً
 فكان مراكبها محلياً مؤخره بالذهب وشراعه من القماش الأحمر
 ومقاذيفه من الفضة تتحرك على نغمات الأوتار وهي لابسة ثوباً
 شفافاً ومتكئة على وسادة من الحرير يظللها سرادق من الديداج
 وحوها غلمان كالأقارير وحوون لها المراوح وآماتها الغتيات لابسات
 ماخفٍ وتنفٍ يسكن حبال الحرير المتصلة بالشرع والدفقة واذ
 دنت من البر حمل النسيم روائح مجامرها المطيرة لاهالي طرسوس
 الذين كان الشاطي غاصاً بهم وانطوني جالساً بينهم على اريكة
 لاستقبالها .

يا سالكا بين الأسنة والظبي . اني اشم عليك رائحة الدم !
 (٢٦) وطرسوس على نهر العاصي طرف احراش سفح جبل طوروس
 الفاصل بينها وبين قبائل افريجيا والفينيقيين كان نصفها من اليونان
 والنصف الآخر من السوريين وكان لها شهرة عظيمة ببناء المراكب
 والتجارة نظراً لحسن موقعها وخشب احراشها فكان تجارها اصحاب
 غنى واسع واداب ولهم فيها القصور الشائقة والمدارس للفنون والعلوم
 اليونانية وكان يخرج منها علماء مفاقون عرفت روما منهم اكثر مما
 عرفت من علماء الاسكندرية واثينا لأن المراكب كانت كثيرة
 (٢)

عندهم تحملهم أينما شاءوا فأتينو دوروس قوريليون كان منهم أتى
روما وصار استاذاً لقائو وأثينو دوروس بن صندون مثله صار استاذاً
لقيصر ونستور صار استاذاً لمرقلوس ومنهم كان ديميتريوس اول عالم
نزل شطوط بريطانيا وبعد جيل من زمان هؤلاء الرجال خرج من
مدارسها ابولونيوس الوثني المدعي بالمعجزات واخيراً بولس الرسول
فالفرق بين مبديء هؤلاء الرجال وما شاهدته طرسوس من اطوار
فلاو فطرا كان عظيماً جداً

(٢٧) ولما نزلت فلاو فطرا للبرّ وسلمت على انطوني دعتة واركان
حربه لوليمة كانت قصاعها من الذهب المحلى بالحجارة الكريمة
والسرايق واثننا عشرة وسادة فيه كانت كلها من الديباج الفاخر
واذ اظهر انتوني اعجابه من مثل هذا الغنى اهدته الاواني كلها ثم
دعتة باليوم التالي وارته من الغنى والزينة اعظم مما رآه بالأمس
وبعد الغذاء اهدته ايضاً ما كان على المائدة من اواني الذهب
واهدت اصحابه الوسادات التي جلسوا عليها

(٢٨) وظلت توله اياماً متوالية على هذا النمط حتى انه لامها على هذا
الاسراف فقالت له انتظر غداً لما اولئك وليمة قيمتها عشرة الاف
ستتريا اي ستون الف ليرة انكليزية من عملتنا الدارجة الآن
فأجابها بأنه يستحيل عليها انفاق مبلغ كهذا على وليمة فلما كان الغد
اولته كالعادة أو أحسن الا انه لم ير ما يعتبره خارقاً فقال لها أرينا

تقومك هذه الوليمة لعرف الحقيقة عن كلفتها التي زعمت بالأمس
 انك ستنفقها وكان باذنيها لولوتان ثمان عشرة الف سيستريا
 فدعت بقدر من الخل والقت فيه احداها وشربتها وكادت تفعل
 كذلك بالتانيسة لولا ان القائد بلانكوس يمسك بيدها ويصدها
 ويحكم بأنها صدقتهم وبقيت تلك الدرّة الى ان قطعت نصفين في
 مستقبل الايام صيفا قرطين لصنم وينوس بالبانطيون في روما
 ولشهرتهما بما كان من قصتهما صارا يثمان بقيمة الدرّتين
 الصحيحتين

(٢٩) فكذا لطف وذكاء، وكذا جمال وصبا أخذن على عقل الشاب
 وقلبه فراح صريع الغرام، وبينما كان يقصد محاسنها وجد نفسه
 محكوماً عليه ومقيداً بسلاسل لا انفصام لها لدرجة أنه امتثالاً
 لارادتها سمح بخلق شقيقها أرسينويه في معبد ديانا بأفسس بعد
 عفو عنها ظناً منه بأنه يراعي بذلك احساسات قلاوقطرا. ومن
 بعض كليات هذه الملكة العقلية كان اتقانها لاكثر لغات
 الشرق والغرب

(٣٠) تلك كانت حالة انطوني بينما كانت زوجته فولويه تهتم بتقوية
 حزبه في روما ضد مطامع أوقتاويانوس وبينما خصمه الآخر
 لايانوس يتهدده بجنود بحر الخزر حتى انه رافق قلاوقطرا
 لالاسكندرية وسكن معها غير فائق من سكرته بهواها وهي

تؤانسه وتصح قدميه بالعطر (كالذي أهرق على رأس السيد المسيح فيما بعد) وكان الرطل المصري منه يباع بأربعمائة دينار في مقام من الجبسين من عمل بلد الأبترون في الجهة الشرقية من النيل (١) ومن اسم هذا البلد أخذ الافرنج اسم الأبتار وكان يُتاجر بهذا العطر من مصر الى دجلة

(٣١) وفي السنتين العاشرة والحادية عشرة من ملك قلاوفطرا لم يتم وفاء النيل فأقحطت مصر وحصلت مجاعة فيها ومن أثر ذلك ما وجد مكتوباً من تشكرات كهنة ثيبة (٢) لقالياخوس جابي الخراج لرفقه بالناس في تلك الأيام وبسبب نقص الوارد من الحبوب المعينة لفقراء الاسكندرية حُرم اليهود منها فكان ذلك خرقاً لمساواتهم الشرعية باليونان وابتداءً عداوة طويلة بين الفريقين لاسيا وان اليونان كانوا ينظرون الى كل شرقي كبربري ورفيق واليهود لا يرون كفوآهم بالدنيا سوى العرب

(٣٢) ولما كان كل استناد قلاوفطرا على جيش الرومان كان كل اهتمامها بمرضاة انطوني فولدت له ابناً سمته بطليموس وتوأمين سمتهما اسكندر هاليوس أي الشمس وقلاوفطرا سيائنه أي القمر وكانت نديته بالشرب وشريكته بالقمار ورفيقتة بالقنص والصيد

(١) على خط طرف جبل سينا

(٢) عاصمة الصعيد فدجا على جنبي النيل تجاه رأس المرج الكبير وهي الان الاقصر

واستعراض الجيش حتى اذا قام بالليل يتجسس كانت تصحبه بزي
غلام كي لا تترك له وقتاً الا ويراها بجانبه
وكنت اذا ارسلت طرفك واثداً

لقلبك يوماً أسلمتكم المحاجر

(٣٣) ثم أتاه ابنه الأكبر من فولوية زائراً وأقام معه مدةً بهناء ورغد
عيش واذ هم لاهون آمنون وأنطوني يرى الدنيا طوع يديه
وفدت عليه الكتب من روما تخبره بأن أوقتاويانوس قد نفى
زوجته فولوية وأخاه من روما واستبدت بالحكم فهول راجعاً اليها
لكنه لم يصل الا بعد أن كانت زوجته قد توفيت فتزوج أوقتاويا
أخت أوقتاويانوس أرملة مرقاوس لغاية سياسية ظنها تنفيذ حزبه
(٣٤) وفي تلك السنة أي ٣٩ ق م أتى هيرود بن أنطيباطر مصر
قاصداً روما ليطلب اليهودية مملكة له فاستقبلته قلاو فطرا
بالأكرام وتلطفت اليه ليبقى عندها أميراً على جنودها لكنه اذ
كان يطمع باستقلاله لم يرضه عرضها عليه الأمانة فشكرها
واعتذر وأقلع الى روما وهناك ساعده أنطوني على غايته وبواسطته
منحته السناتور كرسى اليهودية فماد لسورية ليجمع عسكرياً للاستيلاء
على فلسطين ولما نشبت الحرب بين أنطوني وأوقتاويانوس كان
هيرود قد دخل أورشليم بمساعدة سوستوس وكيل أنطوني

(٣٥) وبالسنة التالية آتى أنطوني بنفسه لسورية فبعث يطلب قلاو فطرا اليه وبوصولها أهداها ما ربما كان أثنى هدية من عاشق لمعشوقته فانه أقطعها فينيقيا والبقاع وقبرس وقسماً من سيليقيا جانب جبل طوروس وقسماً من اليهودية ومن النبطية فلم يزدتها ذلك الا طمعاً فانها طلبت منه أيضاً رأس هيرود ورأس مالك ملك النبط لأن الأول كان قد أشار على أنطوني بقطع علاقاته معها التي كانت سبب الاختلاف بينه وبين أوقتاويانوس ولأن الثاني كان حاقداً عليها . فلم يطاوعها انطوني على طلبها هذا لكنه زاد لها أرض البلس المحيطة باليهودية ومائتين الف تالنت أي قيمة ثلاثين الف ليرة من عملتنا الدارجة الآن من خراج اليهودية . ولما رأت نفسها على رأس مملكة عظيمة كهذه أخذت تؤرخ ملكها ثانية من تلك السنة وبعد ان رافقت أنطوني للفرات بزحفه ضد أرمينيا عادت لمصر عن طريق دمشق واليهودية حيث استقبلها هيرود بلباقة اكراماً لأنطوني وضمن لها الخراج الراجع لها من اليهودية ثم مشى بعض فراسخ بوداعها

(٣٦) ومع كل طيش هذه الملكة فاتها كانت من ذلك النسل محب العلم وجامع مكتبة الموزيوم التي احترقت بمحصار قيصر فطلبها الآن أهداها أنطوني مائتين الف كتاب من مكتبة برغاموس (١)

(١) برغامة من اسيا الصغرى ومن اسمها اشتق الافرنج اسم الرق بلقائهم « بارشمن » نظرا لشهرة الرق المصنوع فيها بذلك الزمان

وضعتها في معبد سرايس وبها عادت الاسكندرية اول مدينة
بالدنيا بالعلوم حتى بآخر الزمان وانحطاط مصر لدرجة ولاية
رومانية لا بل وخمسين سنة بعد ذلك حينما القياسوف اليهودى فيلو
اتى الاسكندرية وسأل ابن هم بطالستها فكان لسان حالهم
يجيبه ها هنا في مكتبة السيرايوم

(٣٧) وانرجع الآن لأنطوني فانه بعد انتصاره على الأرمن عاد
للاسكندرية قائداً ملكهم أرتاوازديس أسيراً وراء مركبته ثم
دعى الناس للجمنازيوم وجلس هناك مع فلاو فطرا على كرسيين
من الذهب واعان للجمهور اتخاذها ابنها فيصرون شريكاً لها
بالملك وأعطى أولادها الآخرين لقب ملوك أبناء ملوك وأقطع
ابنها اسكندر أرمينيا وميسديا والجرجان متى تم فتحها وأقطع
بطليموس ابنها الآخر فينيقيا وسورية وسيليقيا جانب جبل
طوروس وكانت فلاو فطرا لابسة ثوباً كالإلهة ايزيس بصفة
ايزيس الجديدة وألبست ابنها اسكندر جبة وعمامة مجوهرة على
شكل المديانيين وألبست بطليموس جبة طويلة وقاشيناً وعراقية
عليها اكليل مجوهر أشبه بتاج خلفاء الاسكندر. وكان أنطوني
لابساً تاجاً ومقلداً سيفاً شرقياً وأهدى بذلك الحفل لفلاو فطرا
كافة التحف التي أصابها من بارثيا أي بلاد الخزرخ وأسيره
ظفران بن ملكهم

(٣٨) لسكنه اذ كان نفوذه بهذا الاثناء قد سقط في روما مالبث قليلا حتى صار يخشى من تغير فلاو فطرا عليه ويخاف أن تفقد به ورغماً عن ولعه بها صار لا يأكل ولا يشرب عندها ما لم تقاسمه الأكل والمشروب . فاستاعت من ذلك وهي لم تزل مخصصة له ولتبرهن له صفاء نيتها لنحوه . دعت يوماً للغذاء بعد ان اخذت زهوراً كانت تكمل رأسه بها على السباط وغمستها بالسم الناقع . ولما جلسا على المائدة رفعت من رأسها زهوراً ورمتها بقدمها كأنها تتناق برويتها بالقدح وشربت فاقتدى بها انطوني لسكنه اذ مال بالقدح الى فمه خطفته منه وأخبرته بأنه مسموم ولو أرادت موته لتركته يشرب ثم أقنعته بالبرهان بوجود ذاك السم فسكنت روعه وعاد الى ثقته باخلاصها

(٣٩). واول النقود المضروبة بهمد فلاو فطرا كانت ترى عليها صورتها من جهة وصورة نسر ام قرن من الجهة الاخرى واسم الملكة فلاو فطرا . ثم اذ ولدت لأنطوني أولاده ضربت النقود بصورة انطوني فاتح أرمينيا من جهة وصورة الملكة فلاو فطرا أم الملوك أبناء الملوك من الجهة الاخرى ومنها بصورة انطوني امبراطوراً من جهة والإلهة الفتية بصورة فلاو فطرا من الجهة الاخرى . وربما أن فلاو فطرا كانت آخر ملوك اليونان الموصوفين بألهة على عادة القوم قديماً من وجه التحجب والاكرام وليس من وجه الحقيقة

أوربجا أصلاً بمعنى ان القائم بالامر أميراً كان أو سيداً أو رئيساً هو كاله لمن تحت سلطته بالنيابة عن الآلهة الغير منظورة وهذا فيه نظر لمن تبصر

(٤٠) انما بموت يوليوس قيصر و بعد قليل منه بموت بروتوس وقاسيوس مزاحي أنطوني على رئاسة روما . وجد هذا نفسه الزعيم الاول بين الرومان لكن كثيرين منهم كانوا يكرهون سلوكه في مصر وكان أوقتاويانوس قد ابتداء أن يجمل لنفسه حزبا قويا ضده فباول الامر لم يؤثر ذلك على مركز أنطوني في روما فضربت نقودها تلك السنة بصورته من جهة وصورة النسر المصري من الجهة الاخرى وسعى المجلس نائباً له صديقه سوزيوس ريثما يحضر لاستلام زمام رياسته فضربت مصر نقودها النحاسية حينئذ مكتوباً عليها من جهة أنطوني فنصل لثالث مرة ومن الاخرى الملكة الالهة الفتية انما قبل سفره منها كان قد تغير رأى المجلس فيه وعُدَّ عدواً لروما لكن اذ لم يرد أوقتاويانوس أن يشهر الحرب ضده أشهره ضد قلاو فطرا أو كما ادعى ضد حاشيتها مفسدي أخلاق أنطوني وهم عبدها مرديون وأمتها ايريس وامرأة من خواصها تدعى خرميون

(٤١) وفي بداية السنة التي كانت تنتهي بموقعة اقتيوم (١) بين أنطوني

(١) راس خليج اربا من بلاد الاغريق الغربية المسماة بربا حيث خيد الدين سنة ١٥٣٨ م فاز على محاربات اسبانيا والبندقية والناووية

واوقتاويانوس كان هذا قد تسلط على ايطاليا والغال واسبانيا
 وقرطاجنه يقود ثمانين الفاً من المشاة واثنى عشر الفاً من الفرسان وله
 مائتان وخمسون مركباً حربياً بينما انطوني كانت الامر في مصر
 والسودان والقيروان ولديه مائة الف من عساكر المشاة واثنى عشر
 الفاً من الفرسان وخمسة مائة مركب وكانت كل ملوك المشرق من
 انصاره فكانت قلاو فطرا موقنة بالنصر تحلف برأسها انها ستري عن
 قريب جالسة على سرير روميا وكان ذلك جائزاً لولا ان انطوني
 يأخذها معه لميدان الحرب ويقضي على نفسه وعليها بالفشل والهلاك
 لأنه اذ كان يقاتل اوقتاويانوس بهارته على شطوط بحر الروم
 بالقرب من اقسيوم جاء وقت خاف فيه عليها فهرب بها طائشاً عوضاً
 عن أن ينضم الى جنوده البرية التي كانت اوفر من جنود اوقتاويانوس
 ويقودها الى النصر

(٤٢) ولما وصل بها الى ليبيا أنزلها هناك وأرسلها برّاً للاسكندرية
 وربما أنه كان ينوي الرجوع لموقع الحرب ويفعل ما أمرنا اليه لكنه
 لم يفعل بل أقلع هو أيضاً للاسكندرية هاجراً جنوده التي انضمت
 حينئذ الى خصمه وهو اذ وصل للرفأ اعتزل بنفسه كثيراً مدة
 قصيرة بصومعة هناك ثم خرج منها ودخل المدينة ورجع الى ما كان
 عليه من الاله والطيش مع محبوبته مهملأ أخذأي احتياط من الخطر
 الذي كان يهدده برّاً وبحراً

(٤٣) هذا مع ان سكان مصر كانوا بذلك الزمان يبلغون زهاء ثلاثة آلاف الف نسمة فكان يمكن أن يخرج منهم ثلثائة الف مقاتل وكانت ثروة الاسكندرية لم تزل كافية لاعتادهم لكنهم كانوا قد ألفوا الذل كالعير فلا يبالون من يركبهم من الحكام فلم يجر كواسا كئنا لنصرته ولما وصل أوقتاويانوس الى بلوزيوم لم يجد سوي حامية ضعيفة كان قائدها سلوقوس الذي سلم له بدون مدافعة ولهيج الناس بأنه فعل ذلك بأمر من قلاوفطرا لكنها أنكرته ولتبريء نفسها أمام انطوني سلمت له أولاد سلوقوس وزوجته لينتقم منهم ان شاء

(٤٤) ثم وصل اوقتاويانوس لضواحي الاسكندرية ونصب خيامه بعيداً من بابها الشرقي فخرج اليه انطوني برجاله وأزاحه عن مكانه ذلك اليوم الا أنه لما أراد الخروج في اليوم التالي ودعى جنوده فلم تجبه الا شرذمة حفظت ذمته فكرّ بها مشعراً بخيانة قواده فلم يطق الوقوف امام عدوه فانهزم هارباً للداخل السور

(٤٥) فاليهود فرحوا من خذلان قلاوفطرا وأظهروا ارتياحهم من فشل حاميتها وصارت هي تلعنهم وتشتهي ذبحهم ولو بيدها وكان انطوني يرى نواتر رسل اوقتاويانوس اليها فاشتبهه بصدقها وهي خافت من غضبه فهربت الحصن كانت قد بنته بالقرب من معبد ايزيس آخذة معها كنوزها من ذهب وفضة وطاج وانبوس وكية من القنب كأنها تقصد ان تضرم النار بالمكان وتموت فيه حريقاً بثروتها ثم ارسلت

تخبر انطوني بأنها قد ماتت فلما اتاه الخبر ظن أنها قد سممت نفسها
 فبكى لفقدها ولم يرض أن يعيش بعدها فاستل سيفه وشكك ب صدره
 حتى اشرف على الموت وطار الخبر الى قلاو فطرا بما كان منه
 فانتحبت وبكت وطلبت احضاره اليها فجملة خدمه الى الحصن
 ولسكون قلاو فطرا كانت قد سدّت بابها خوفاً من ان يُغدر بها
 وتقع بيد العدو ارخت له سلة من كوة الحصن تنشله بها فكانت
 تسحبه بمساعدة امرأتين معها بمنظر من الجمهور والدموع تسكاد ان
 تعمي بصرها وهو مائى مضحك بدمه رافعاً يديه نحوها فرحاً بسلامتها
 لكنه بعد وصوله اليها مات

(٤٦) وبهذا الاثناء دخل اوقتاو يانوس المدينة راجلاً وبرفقته اريوس
 فاعطى السكان الامان وحرّم على عساكره السلب اكراماً
 لطلاب رفيقه ثم سأل عن اولاد قلاو فطرا من انطوني وتلطف
 بهم اما ولدها قيصرون فكان هارباً نحو السودان مع مرييه
 رودون ومع انه يكون ابن خاله قيصر ذلك الذي تبنّاه وسمّاه
 باسمه اي يوليوس قيصر اوقتاو يانوس لم يشفق على حداثة سنه
 وضعفه بل ارسل من لحق به وقتله بالطريق . قيل بتواطىء من
 مرييه اما المتزلفون الى هذا الظالم فمنهم من يقول بان اريوس
 كان المشير عليه بقتل الصبي ومنهم من يدعى بانه كان ابن

قلاد فطرا من اخيها لامن قيصر فياتحلون عذراً لصاحبهم الذي اعطوه فيما بعد لقب اغسطوس

(٤٧) وامر اوقتاو يانوس بالاحتياط بقلاد فطرا كي لا تقتل نفسها وهو يريد ان تعيش لبزيرين بها موكبه عند ايايه الى روما فراح يزورها ويعزيها بقصد انطوني واذن لها بدفنه ووعدها بحفظ كرامتها وتهدها بقتل اولادها ان اضرت بنفسها لسكنها لم تطلق الحياة طويلا فيقال بانها اخذت سما ام مائت من لسعة زنبور ام حية اُتي لها باحديهما في ساءة عنب وعمرها اذ ذاك تسع وثلاثون سنة ودفنت بجانب انطوني باحتفال ملوكي

(٤٨) ومعنى اسم قلاد فطرا « عزّ والدها » فكان اسمها لطيفاً شريفاً شائماً بين اليونان والمقدونيين زهاء اربعمائة سنة حتى دنسته هذه الملكة بسيرتها الرديّة فقلما سموا به بناتهم بعدها

(٤٩) ورأت روما فرجا بموت قلاد فطرا وخلاصاً من خطر وقوع اوقتاو يانوس بشراكها والتلوث بعار فجورها

(٥٠) سوى اننا قد كنا لان ننظر الى الرومان عن بعد ولا نرى منهم الا التهمة والمروءة فكان بالصدر الاول يكفيهم الشكر من ايفانوس وفيلوماطر وعرجتيس الثاني لمساعدة ابدوها اما الان فصرنا نرى البحر لا يرويههم والاهواء الفاتية والمطامع تقودهم رويداً رويداً الى الاستئثار بالسلطة والفتوحات لاتزيدهم الا

طمعا فانهم ملكوا اولامقدونيا من باب المدافعة ثم القيروان بحيلة
 ثم قبرس بلا سبب وصرنا نرى رجال السنانواشد رغبة في الرشوة
 من الامة بالفتوحات والولاة كالذئاب الخاطفة حتى انهم لما تقام
 الفساد بينهم لم يروا دواء له الا جعل اوقتاويانوس اوطوقراطاً
 اى حاكماً مطلقاً يعمل برأيه وامره فيهم ليضع حداً للاختلال
 والحروب الداخلية وهو اذ ذلك قد ضم مصر الى مملكته
 والى استقلالها

(٥١) وهذا كان اخر العهد بالبطالسة الذين افادوا العلوم والمعارف عالم
 تُفذه دولة قبلهم لاسيما ان بالرياضيات والتشريح والمنطق كانت
 الاسكندرية القطب الذي عليه مدار علوم المسكونة ولو انها
 قصرت جلياً بعلم الاقتصاد والتاريخ وانحطت عن درجة اثينا بالفلسفة
 وسلامة الذوق

(٥٢) واذا امعنا النظر باسباب عمران وخراب هذه الدولة رأينا بان
 كلاً من فضيلة ام رذيلة من حكمة ام خرق من اقتصاد ام اسراف
 قد لاقى نتيجة وجنى ثماره فان الذهب المصري الذي جذب
 اليونان اولاً لمصر وكان الوسيلة لاعلاء شأن دولتهم فيها هو
 الذي ادعى اخيراً الى فساد طبائهم وبطرحهم واضمحلال نفوذهم
 (٥٣) لاننا اذ كنا نرى في عهد بطليموس سوطير اى الخالص اقتصادا
 بالمعيشة ونشاطاً على العمل وأكراماً لاهل الفضيلة والعلم وسهراً

على اقامة العدل وتمهيد اسباب الراحة وتخصيص الاطراف وبناء المدارس وتسهيل غايات التجار واستشارة العقلاء مما جعل الاسكندرية زينة الدنيا ومحط رجال زهرة رجال اليونان والسوريين صرنا نرى بالزمان الاخير فساداً يعم الكبير والصغير

(٥٤) ولما خلفه ابنه فيلادلفوس قبل تاريخنا هذا وجد مملكة واسعة مطمئنة فصدق امانها وجرى بها في درجات التمدن والعمران الى ان صارت اسواقها غاصّة بالتجار ومدارسها بالطلبة وفتوحاتها تتوالى برّاً وبحراً وصار هو اول ملوك زمانه بالقدرة والغنى والسيرة الحسنة حتى انه اعتُبر فيما بعد اعظم ملوك هذه العائلة

(٥٥) فكان المصريون بعهد هذين الملكين من اسعد الناس واحسنهم حالاً اخذين عن اليونان بعض فنونهم وعاطيهم دينهم فان الملك عرجيس كان مصرياً اكثر مما كان يونانياً يغار على عظمة المعابد واكرام الكهنة كانه عامل بالوصية الدلفية « ان الالهة يقتضى اكرامها في كل محلٍ طبقاً لشريعة ذلك المحل » الا ان الجنود لم يكن حينئذٍ من هذا الروح فضعف تأثير الكهنة على الهيئة الاجتماعية واختلت المبادي عن الزمان الاول

(٥٦) وبالعهد التالي ظهرت آفات هذا الضعف والخلل فان فيلوباطر كان ملكاً فاسقاً تاركاً الحكم للنسوته وحاشيته غير مكثوث بالحوادث لا الداخلية ولا الخارجية ظاناً ان مملكته لم تنزل

اعظم ممالك الدنيا بينما لم يبق لها حينئذٍ حقيقة من العظمة إلا
 الصورة والتقدم يخضع روما في قرطاجنه وسورية تحت قيادة
 انطيوخوس العظيم ثم مات فيلوباطر مخالفا لولده الصغير عرشا يكاد
 ان ينقض

(٥٧) فوزراء الملك القاصر وجدوا دولة لا راس لها ولا جيش وخزينة
 فارغة وشعبا بلا مروءة ولا فضيلة فاستعانوا بالرومان خوفا من تعدي
 ملوك سورية ومقدونيا

(٥٨) ومن ذلك الوقت اصبحت دولة البطالسة تحت حماية روما
 الى ان صارت ملوكها تطلب اعانة الرومان تارة ضد اعدائها
 وتارة ضد رعاياها واحيانا تستشير السناتو بمصالحها واذا لم تعمل
 برائتها قدمت لها عذرا فكانت الاحكام على هذا المتوال تدخل
 رويدا رويدا بيد السناتو الى ان الظروف خولتها الاستيلاء على
 حوران واسيا الصغرى والفيروان وقبرس ووصل البطالسة لدرجة
 التماق لشرفاء روما فلم يعسر بعدئذٍ على اوقتاويانوس الملقب
 باغسطوس ان يضم مصر لملك الرومان

(٥٩) وللبطالسة بنايات من معابد واساطين كان يظن بانها من قبل
 زمانهم حتى فك كتابتهم الدكتور رينج الانكليزي والآن فان
 اعتناءهم كان شديدا بحفظ التقاليد القديمة والشبان الذي يظهر فيها
 هو الا بد منه على طول الزمان في كل بلاد فان البنائات الجديدة

صارت اقل ضخامةً وممكننا وقطع المسلات قلً ونحت الاصنام
العظيمة وتشيد الاهرام توقف وعمد المعابد تغير شكلها فان التي
كانت قديماً تُرى رؤوسها محفورة بهيئة ورق الغزار صارت ترى
ككأة بشكل زهر البشنين واغصان النخل والتي كانت رؤوسها
ضخمة تناسب الحمل الذي فوقها صارت ترى احياناً بشكل رأس
امرأة نحيف ما تعود على حمل اثقال ولا صخور

(٦٠) اما الذين قرأه في زمان البطالسة قد انتقل لآلهة جديدة ام قديمة
بصورة جديدة ، فان الاله هنيمو وهو النيل قد صار بصورة آله
النهر اليوناني يدفق ماءه من ابريق والقمر الذي كان يجلى رؤوس
الالهة قديماً صار لها باسم يوح ، وايزيس الالهة ذات العشرة
الاف اسم . ثم ان مقام الالهة تبدل عن قبل فصار افتاح
وسيرايس من الدرجة الاولى . وتغيرت اسما الرجال والبلدان
فموضاً عن فت ايزيس وفت عمون وسيرايون صرنا نسمع
بمودوتيس وهرموفنطوس وبوليقراط من اسما الرجال وصارت
اشمونين تدعى هرموبوليس واسنالاتوبوليس وخميس بانوبوليس
وثيبه ديوسبوليس . ونشأت مدن جديدة كالبطلمية (١) وفيلاسه

(١) نحو ١٤٠ ميلا تحت ثيبه ونحتها فيلاسه على بعد نحو ١٤٠ ميلا منها
على النيل اى بين القريةين الحديثتين المنشية والجرجه

وغيرها ودخلت للكتابة صور جديدة كالزرافة والموميه الراقدة على سرير والمراكب ناشرة شراعها والعجلات بخيلها . وكثر استعمال الحروف واتسع التعبير عن الافكار بالكتابة حتى ان القاب الملوك زاد وصفها بطغرائتهم

(٦١) ولما شاع استعمال ورق الفايفر للكتابة بالقرب من زمان دخول الفرس لمصر شاعت ايضاً الكتابة بالحروف وقلم الغزار وتشوشت صورها من ضعف صناعة الكتاب فهي الان اعسرفكاً من المحفورة . واما اطراً على اللغة من التغيير فلا علم لنا به لاسيما ان معرفتنا بلغة ذلك الزمان محصورة بما نظنه يقرب منها وهي ترجمة الانجيل باللغة القبطية والحرف الرومي بعد سقوط البطالسة بثلاثة قرون (٦٢) ولما دخلت مصر في ملك اوقتاويانوس الذي سنذكره بعد الان باقب اغسطوس كان القبط غير اولئك الذين عرفهم الاسكندر ولم يكن لهم من حظهم الاول من الاداب الا القليل فقلوا عدداً وافتقروا وتبلهوا .

الفصل الثاني

عن سنة ٣٠ ق ٠ م الى ٦٨ م

انتقال مصر الى حكم الرومان

اغسطس سنة ٣٠ ق ٠ م

(١) ابتدا وقتناو يانوس الملقب الآن بأغسطس حكمه في مصر بكسر
تائيل انطوني فيها وكانت هذه التائيل بالاسكندرية وحدثها تفوق
الحسين ، أما تائيل قللا وفطرا فانه أبقاها برجاء صديقها أرخبينوس
و ببرطيل منه بألف تالت أي نحو مائتين وخمسة وعشرين الف ليرة
من عملتنا الدارجة ، ثم أقام قورنيلينوس غالوس الشاعر صديق ورجيل
واليا على مصر

(٢) وكان القانون قبل سقوط الحكم الجمهوري أن لا يقام حاكم
بأمالك الرومان الا من أعضاء السناتو فأغسطس لم يطلب الغاء هذا
القانون لكنه طلب ولاية مصر وغيرها باسمه وبهذه الحيلة اخرج
الولايات من حكم السناتو لحكمه الذاتي وصار يقيم لها من شاء نائباً

عنه الا مصر فانه ترك أمرها للسنانو محابةً منه والا فان السنا
كانت قد أمست اسماً بلا جسم فلا يصدر منها أدنى تموش لولا
مصر بل كان هو الامر فيها ايضاً

(٣) ولكن بينما كان الحكم الروماني يترك لأكثر الولايات
استقلالها الاداري ، لم يستعمل اوقتاًو يانوس من المصر بين لادا .
بلادهم الا من كان لا بد منه كالمفتي لشرائع دينهم وليس فقط ا
أقام عليهم ولاية من غير أعضاء السنانو لا بل انه حرّم على هؤلاء
الأصلاء الدخول لأرض مصر الا بأذن منه وصار هذا قانوناً يمد
لأجيال عديدة حتى في الزمان الذي فيه صارت الرومان تحتاً
لاستعمال المسيرة . وقبل من هذا القانون كان زار مصر الشاء
تيلأوس بصحبة صديقه السنانور ماسيلاً وحكى عن مشاهدته عن
أهل منف على موت عجلهم ايبس وأخسبر عن فيضان النيل ا
يكون عند طلوع الشعري اليمانية مع الشمس

(٤) وكانت السنة المصرية تبتدىء من هذا الطلوع والسنة الديوان
عندهم كانت من ٣٦٥ يوماً فرأس سنتهم كان ضرورة يتأخر ر
يوم من سنة لسنة (١) فأمر أغسطس باتخاذ حساب السنة المنسود
لقيصر من ٣٦٥ يوماً وربع يوم . واذا وقع رأس السنة المصرية بذال

(١) وهكذا كان الحساب يتأخر شهراً كل ١٢٠ سنة وكل الف وثمانمئة
سنة تقريباً يم الدور فتدفع الشهور الي فصولها الاولى

الزمان في ٢٩ سكتيلس اي الشهر السادس عند الرومان جعل ابتداء السنة منه وصار هذا الشهر يسمى اغسطوس باسمه . وليث هذا الحساب مستعملاً في اوروبا ستة عشر قرناً الى أن البابا غريغور يوس الثالث عشر أصلح خله بوضع السنة الكيسية . ولما أدخل اغسطوس سنته الجديدة صارت مصر تؤرخ بثلاثة رؤوس سنة . سنة مصرية رأسها نحو ١٨ يوليو من اسم يوليوس قيصر وسنة امبراطورية رأسها ٢٩ اغسطوس وسنة فلسكية رأسها من طلوع الشعري اليانية مع الشمس

(٥) وهذا كان حدثاً اهتمام الرومان بدائرة العلوم الا أفراد منهم كقيصر الذي أمر بمساحة اراضي الاملاك الرومانية وقياس سككها واغسطوس الذي امر الان بمساحة ارض مصر الى ان بظرف اثنتين وثلاثين سنة تمت مساحة اعظم القسم المعروف من السكرة لذلك الزمان ورُفِع به التقرير للسنوات ، وفي ما بقي فان اعتناء الرومان كله كان موجهاً للحرب والفتوحات

(٦) واذ كان اغسطوس بالاسكندرية جاءه هيرود متوسلاً باعادة املاكه التي كان أنطوني قد أقطمها قلاو فطرا فأحسن اغسطوس استقباله وأجاب طلبه وزاده السامرية والمدن البحرية الحرّة وأعطاه اربعمائة جندياً من رجال الغال كانوا من حرس قلاو فطرا الخاص واخرشاكريّة البطالسة

(٧) وزار اغسطوس ضريح الاسكندر ووضع عليه اكليلاً من الذهب
 وآخر من الزهور وأما قبور باقي ملوك البلاد فلم يلتفت اليها ، كما انه
 زار منف ورفض أن يزور العجل ابيس مع ان الاسكندر زاره
 بزمانه وضحى له احتراماً لعقيدة القوم ولطفاً منه بهم . فكل اناء
 بالذي فيه ينضح

(٨) لكنه أعاد لليهود الامتيازات التي كانت لهم من عهد البطالسة
 رغمًا عن كره اليونان لذلك ولقد أصاب لأن اليهود كانوا حينئذ
 اصحاب تهذيب واداب وغنى ومنهم خرج ابولوس العالم الذي يُعدُّ
 بعد الحواريين من أعظم المبشرين بالدين المسيحي وهو الذي نشره
 في افسس وقورنت واقريطش

(٩) ولما عاد اغسطوس لروما اخذ معه كل اللخائر والتحف التي
 اصابها بمصر فكان ما حمله من الفضة والذهب بالرغم عن افتقار
 البلاد بالزمان الاخير كافيًا لأن يخفّض قيمة النقود في روما فهاودت
 فائدة القروض فيها وتساعدت اثمان العقارات هذا ما عدا الجواهر
 والتحف والاثاث الثمين مما جمعه من القصور الملوكية ودخل به روما
 تحمله العجلات الضخمة وراء مركبته مع الاسارى اولاد قلاو فطرا
 من انطوني وبينهم تمثال امهم عوضًا عن شخصها وكانت باخر
 الموكب تاسيح للفرجة منها زاحمة ومنها سابحة في حوض تلاعبها
 رجال من بلد تنطيره التي كان أهلها خبيرين بصيد وتربية هذا الحيوان

(١٠) وأراد اغسطس أن ينتقم من الاسكندرية فأمر ببناء مدينة
بالمكان الذي ضرب فيه خيامه من جهة بابها الشرقي عند زحفه
ضدها لتكون العاصمة الجديدة وسماها نيقوبوليس وبنى فيها المعابد
ونقل اليها زينة معابد الاسكندرية وكهنتها ولكنه لم يتمها فهجرت
بعد قليل وعاد كل شيء منها للاسكندرية ، كما ان الاسكندرية لم
تنزل للآن آهلاً طامرةً تحمد بانها ونيقوبوليس لم يبق لها أثر ولا
خبر لانها لم تؤسس على التقوى وسلامة النية

(١١) وحسب عادة الفاتحين بذاك الزمان نقل الرومان ما أمكنهم حمله
من مصر لبلادهم فأخذوا تمثالاً محلياً بالذهب لاله يانوس نصبوه
في معبده في روما وصورة من عمل نيشيا كانت من ذخائر المملكة
الثمينة واشياء كثيرة غير هذه والسنتين القائمتين للآن في بيازرا
دال بوبولو وفي مونتي تشيتورو من زمان اغسطس

(١٢) ورأى اغسطس بأن الوالي قورنيليوس غالوس لم يحسن السياسة
في مصر فأبدله برجل حازم عاقل يدعى بطرونيوس

(١٣) فكان بطرونيوس يستخدم الجنود عنده لتنظيف ترع الري من
الطين لعله بأن فائدة الفلاح تفيد جابي الخراج وفي أيامه صار
بناء المقياس على جزيرة القيلية ليعرف منه ارتفاع النيل

(١٤) ثم اذ كان بعد ذلك اليوس غالوس والياً على مصر في هذا العهد

أتى السائح الشهير استرابو زائراً مصر ورافق الوالي لسيينه (١) وترك لنا وصفاً شائقاً عن جمال الاسكندرية وعظم تجارتها التي كانت تفوق تجارة ايطاليا بأسرها فان المراكب فيها كانت تغطي وجه المرفأ وشطوط بحيرة مريوط، وضواحيها تمتد لا يمد من هذه البحيرة ومنظر حصنها من جهة والمنازة من جهة كان من أبدع المناظر حسناً. والمعابد والقصور تجمال أكثر من ربع البلد مثل السجا الذي كانت فيه قبور الملوك وقبر الاسكندر ودار المحكمة والموزيوم الجديد ومحل مجتمع التجار ومعبد نبتون والتمونيوم والقيصرية ومعبد سيراييس البديع والجنازيوم ومعبد بان الذي يكشف من سطحه على البلد كلها والهيو دروم والبساتين البلدية غربي المدينة والمقبرة ذات البنايات اللطيفة على شاطئ البحر ما عدا القبور التي بالدياس وحفّات بحيرة مريوط المكسوّة بدوالي العنب الشهير بجودة خمره وجوانب الترعّة منها الى النيل المدبّجة بالازهار والاعشاب والاشجار الخضراء بين بهرجة الرمال البيضاء حوالها. وبعيداً كانت ترى بنايات المدينة الجديدة التي أنشأها اغسطوس. ولا عجب من هذا الوصف لعاصمة كانت فنون اليونان وغنى مصر مسخرة لزيّنها

(١) هي اسوان الحديثة بلاد عاد القديمة قرب جبل العاكي وفيه ذهب وفضة وجنوباً منها على خمسة عشر ايلة جبل الزمرد

بينما هليوبوليس العاصمة القديمة التي هدمها قبيسي لم يكن باق من
أثار مجدها سوى البيتين الذين درس افلاطون وصديقه اودوقسوس
بهما الحكمة . أما منف فانها كانت المدينة الثانية من مدن مصر
لأن ثيبه وأبيدوس كانتا قد صارتا بدرجة القرى . وعين استرابوني
منف قتال الثيران وأذن له أن يطلع من نافذة على الثور المقدس
أبيس في مريضه . وشاهد بالتمساحية لقط التمساح المبارك وتغذيتسه
بالحلويات والخمر . ورأى البطلمية تكاد أن تضاهي منف بجمالها نظراً
لاعتناء الملوك بها بعد أن كانت لهم معسكراً فان بناياتها وقوانينها
كانت كلها يونانية كلاسكندرية خلافاً لباقي مدن مصر وكان
موقعها بين بانوبوليس وايبيدوس حيث هما الآن القرستان المنشية
والجرجه وها هي الآن قد انمحت بينما معابد ثيبه القديمة العهد
والبنيان لم تزل قائمة تشهد لها بالعظمة والشان . وزار ايضاً الصنم
العظيم المسكور^(١) ولكنه أبي أن يحكم بسبب مصدر النعم منه
عند طلوع الشمس عليه . وشاهد البئر في سينه التي يقع قعرها على
حفة الشمس الشمالية تماماً في أطول يوم من السنة . ورأى براءة
النوتية بانحدارهم بالشلال في قوارب الخوص . وزار جزيرة الفيله

(١) اصلاً عمثال امنحوطيم الثالث . ولما بهذا الزمان صار يصدر منه نعم

على اثر زلزلة حصلت زعم الاغريق بانها ابن طيطون والفجر وانه ممنون

بالقرب من سينه حيث وجد نصف اهلها من القبط والنصف
الآخر من السودان

(١٥) ومن سوء رأي هذا الوالي كان طعمه بغزو العرب باليمن وسلبهم
لانه كان يرى تجارتهم الواسعة وكثرة اياهم آتية مصر بالاحمال
الثمينة من أموال الهند تعاض بها ذهباً وفضة من المصريين فظنها
من محاصيل أرضهم فزحف ضدهم بعشرة آلاف مقاتل ومائة وثلاثين
مركباً نزل بهم على شاطئ البحر الاحمر بدرجة ٢٥ من العرض
الشرقي لكن أدلأته من العرب تاهوا به عمداً بقفارهم ولم يجد مدناً
ولا شاهد عرباً لا سيما وان أهل الوبر منهم لما علموا بقدومه رأوا
بأن الهرب من وجهه بأموالهم وماشيتهم انكى له بذلك الشول من
مقاومتهم فأقام سنتين يطلبهم يحاذر من التوغل بالبر خوفاً من
العطش الى أن بلغه تسطي السودان على مصر فهربوا راجعاً ولحق
بجراكبه بدرجة ٢٤ من ذلك العرض و بعد احد عشر يوماً ارسي في
ميوس هرموس من بلاد مصر على البحر الاحمر

(١٦) في العصور الاولى من تاريخ مصر كانت السودان تخرج بلغتها
ودينها مع القبط أهل الصعيد لكن بعد تلك الازمان هاجر بعض
العرب لافريقيا على شطوط البحر الاحمر ولما زار الصعيد استرابو
كان عددهم قد تكاثر حتى صار نصف اهل مدينة قبطوس (١)

(١) هي القبط

منهم وكان عليهم مدار نقل أموال تجار ثيبه لا بل ان المؤرخ يوبا الصغير الروماني يقول بأن السودان كان في زمان اغسطوس بيد العرب الذين كان دأبهم الغزو وفتحهم القتال وغايتهم السلب واذا أصابوا منه شيئاً عادوا الى منازلهم مفتخرين بفروسياتهم . وكان قوادهم يدهنون وجوههم كوجوه اصنامهم بالزنجفر . فهؤلاء العرب لما وجدوا الرومان مشغولين باليمن زحفوا من مرو وبلاد الشلال الرابع على الصعيد تقودهم ملكة عوراء لكن اذ وصل غائوس الى مصر طردهم اولاً من ابوسنبل ثم ظل يطاردهم حتى دخل عاصمتهم نباطه (١) بجيشه المؤلف من عشرة الاف مقاتل منهم خمسمائة يهودي والاف عربي بينما اولئك العرب ان كانوا ثلاثين الفا انما اكثرهم لا سلاح لهم سوى الدرق والمعصي والفؤوس وبجائهم من الجلد . ووضع عليهم جزية يؤدونها للحامية تركها بينهم وعاد لمصر راضياً بمحدوده على سبعين ميلاً من سينه . وللان ترى في مرو قناطر رومانية بمسجد تجا (١٧) ثم جاء اغسطوس زائراً صاموس فأرسلت له الملكة العوراء وفداً تستعطفه بترك الجزية فأجاب طلبها وهذا برهان على ان مرو كانت مدينة راقية مذبذبة وليس كما يستنتج من حالة جيش الغارة المختاط بالبدو والدعران المجاورين لها . اما وراء مرو فلا يوجد أثر لمدينة لاسيما ان الجبال الفاصلة بينها وبين الحبشة الجنوبية البحرية لم

(١) هي الان المسماة جبل بركل على حفة الشلال الرابع

تكن تسمح بمواصلات بين الارضين وسكان الجنوب كان اكثرهم
يهوداً استوطنوا عدوله واقسيوم من عهد سليمان ومنهم من وصل
الى مرو ولاذ بالملكة لاننا نجد فيها بعد ان خصياً يهودياً كان خازناً
عندها لا بل ان دين مرو ولغتها كانا بهذا الزمان ساميين حجازيين
لا قبطيين

(١٨) أما لسان مصر الرسمي وسكتها في عهد اغسطوس وعهد خلفائه
فكانا باللغة اليونانية حتى كان سواح الرومان اذا كتبوا شيئاً على
عاديات البلاد كتبوه بهذه اللغة . وكانت النقود منقوشة بهامة
الامبراطور واسمه من جهة والنسر المصري قابضاً على الصاعقة من
الجهة الاخرى . ثم صارت تؤرخ بسني جلوس الامبراطور وأولاً
كانت صفته فيها « ابن الله » عوضاً عن الوصف المصري القديم
« ابن الشمس » لكن لما صارت مصر ولاية رومانية افرغها الرومان
من الذهب والفضة وأبطالوا سكتها راضين بأخذ خراج الحبوب
عيناً وكان ذلك يبلغ حينئذ عشرين الف الف كيلة أو أربعة
أضعاف الخراج في عهد فيلادلفوس

(١٩) ولم يتحرف الرومان لدين المصريين لا بل ان معابد طنطيره
وظاميس وهي الآن قلابسه بالنوبه يرى محفوراً عليها باللغة
السكهنوتية اسم اغسطوس اوتوقراطاً وابن الشمس وملك الارياف
والصعيد وغير القاب كانت توصف بها البطالسة وملوك البلاد قبلهم

وظلَّت السناتوكل عشر سنين تجدد انتخاب اغسطوس اوتوقراطاً وهو يتمتع محابةً منه الى أن تمَّ له بالملك اربعون سنةً

(٢٠) ولا يُنكر بأن اليونان قد أخذوا دينهم عن المصريين فاقتبسوا منهم اليقين بالبعث ويوم الحساب والجزاء على الاعمال، والآن نرى الرومان أيضاً ناصبين في روما تماثيل آلهة المصريين ومشيدين المعابد لها والفقراء بشوارعهم يتوسلون للمحسنين بحق ايزيس وورجيل شاعر البلاط الملوكي يقول بقولهم بالبعث على رأس الالف سنة، وكل ذلك رغماً عن انكار اغسطوس هذا الدين وتحريمه على الناس

(٢١) ومن علماء هذا الزمان كان سوتيون الفيلسوف الاسكندري الذي عنه أخذ سنكاً بصغره علم الاخلاق. وكان من مذهب بيثاغوروس بتحريم أكل اللحوم لزمه بأنه من الجائز انتقال أرواح البشر للبهائم المأكولة. وله تأليف لطيف جمعه من عدة مواضع وسماه قرونوقويا. وكان العالم أرخيبوس ناقل مزامير قالياخوس من رجال هذا العصر وابن ابولونيوس مؤلف القاموس المفسر نشيد اوميروس. وكان بينهم ايضاً الشاعر تريفون والمنطقي ارستونيقوس الباحث في اراء هزيرود بالتكوين وتسلسل الالهة واسماء العلم بكتاب اوميروس وتيدمنالاوس ملك اسبارطا وطاشق هيلانه

(٢٢) ولما مات اغسطوس خلفه طباريوس الذي سار بالناس سيرةً

حسنة فأحبته مصر واقامت الاسكندرية معبداً على اسمه طرف
الرصيف محاطاً بالاساطين وبجديقة ووضعوا فيه مكتبة . وكان على
أعلى أكمة بالمدينة و امامه مسلتان من عهد طوطمس الثالث وحفر
رمسيس الثاني احدها المسماة مسلة فلاو فطرا وهي القائمة الآن على
حفة التاميز في لندن وكان معهما مزولة تقسم النهار الى اثنتي عشرة
ساعة على مدار السنة بدون نظار الى طوله وقصره صيفاً وشتاء
وذلك لعدم وضع الضلع منها على خط قطب الارض الشمالي كما
كان علمه من قبل الفيلسكيون ايراطوسطين وهبارخوس
(٢٣) وابتدأ طباريوس حكمه في روما باقامة العدل الصارم والضرب
على أيدي الولاة الظالمين حتى ان لماً حاكم مصر اميلوس راقطوس
توهم بأنه يرضيه ببعثه له خراجاً منها اعظم كثيراً من المعتاد كتب
اليه الامبراطور « قد وصاني ما أرسلته من الخراج لكن أعلم بأني
انما أفتك على مصر لترعى غنمي فيها وتجزّ لي صوفها وليس لتساخها
والسلام » . وكذلك اذ مات أحد الولاة ممن كانوا في مصر
ووجدوا بين أمتعته تمثالاً للمناوس من حجر قبطي اسود كان قديماً
يعدّ من ذخائر معبد هليوبوليس أمر طباريوس برده لسكانه فالأجل
ذلك كانت السكينة توقره وتودّه وترسم اسمه على المعابد . وفي زمانه
زيد الرواق البديع على معبد طنطيرا منقوشاً سقفه بمنطقة البروج
التي ظنّها العلماء اولاً من وضع الاقدمين مستغربين عظم التأنق .

بنقشها بذلك المعبد الضخم البسيط البنيان حتى فطنوا لبرج الميزان فيها الذي لم يمثل بهذه الصورة إلا من عهد اغسطوس والأغرب بهذا الرواق هو تشييده بزمان كانت مصر فيه بالفقر والضيقة لكن اذا اعتبرنا بواعث التقوى زال الاستغراب او كما قال الشيخ ابن الفارض

« ولقد صرفت بحبه كلي على يد حسنه فخدمت حسن تصرفي »

اما طنطيرا المذكورة فهي لاوبوليس اليونانية واسنا الحديثة (٢٤) وفي السنة الثالثة من جلوس طباريوس الى جرمايقوس قيصر والياً على المشرق وصعد الى تيبه وسأل كهنتها أن يفسروا له السكتابات القديمة التي على جدران معابدهم فأخبروه انها تصف عظمة البلاد في عهد رمسيس اذ كان يخرج منها سبعمائة الف مقاتل أخضع بهم رمسيس ليبيا والسودان والفرس والكلدان والارمن والسوريين ووضع عليهم الجزية من ذهب وفضة وخيل وعجلات وطاج وبخور للمعابد وحبوب لأهل عاصمته . ثم انه زار صنم عمونوظف وسمع نغمه الشهير وزار الفيليه وسيننه وهي اسوان الحديثة وبأيابه عرج على الاهرام وبحيرة ميريس التي كانت تحفظ مياه طوفان النيل للري بعده . وشاهد في منف المعجل المقدس ابيس وقدم له بيده شيئاً من القوت ولما أعرض عنه المعجل تفاءل الكهنة من ذلك واذ بعد قليل مريض هذا الامير ومات قال الكهنة بأن

فألمهم قد صدق فأسفوا عليه لأنهم كانوا قد أحبووه للطفه وكرمه
وتجولته بينهم بلا حرس ولا تكليف. وكانت زيارته لمصر ضد قانون
اغسطوس فعاتبه طباريوس على دخولها بدون اذنه. وهنا أقول انه
يظهر لي بأن «أيس» فيه تحريف لأن كتابته بلغة القبط تعادل *Kapi*
بلغة الاغريق ومعناها «الخطي» فصحة لفظها تكون ايضاً «خفي»
لأن اليا والفا مترادفتان فيصبح الاسم عربياً، واما سيراييس فهو
اسم جديد مشتق من اسمين اوسيريس وايس

(٢٥) وكان يهود مصر في ذلك الزمان زهاء الف الف نسمة، قسم منهم
كان ثلث سكان الاسكندرية في حين من الخمسة احياء بالمدينة
لهم فيها المشايخ والسهدرين وهيكل في عينون بدلاً من هيكل
اورشليم الا لمن ظل منهم متمسكاً بسهدرين اورشليم وهيكلها
ولسكن بالرغم عن قانون قيصر الذي ثبت لهم امتيازاتهم القديمة
ومساواتهم باليونان كان مركزهم بالبلاط حرجاً لأن اليونان ظلوا
يحتقرونهم والمصريين كانوا يحسدونهم على امتيازاتهم ويسمونهم
أولاد الشيطان تيفون

(٢٦) وكان بالقرب من الاسكندرية على تل بجوار بحيرة مريوط
طائفة من اليهود يسمونهم التيرايتيين قد تعلموا التنسك من
المصريين وتركوا لنا أول مثال من العيشة الرهبانية فيقول المؤرخ
فيلوقس أنهم كانوا زهدهم بالدنيا قد هجروا منازلهم واهلهم وتركوا

اهوالهم وحبسوا انفسهم منفردين بصوامع لهم ،رجالاً ونساءً ،منهم من لا يذوق طعاماً سوى ثلاثاً بالاسبوع ومنهم مرة واحدة بالاسبوع ولا يجتمعون الا في يوم السبت ،الرجال من جنب والنساء من جنب لابسين قميصاً يغطي ايديهم فيقف شيخ منهم يعظهم ثم يصأوت وينصرفون . وكانوا يعتقدون بأن للاعداد اسراراً فكان العدد السابع عندهم مباركاً وسبعة بسبعة كانت عندهم الاسبوع الكبير فيعيدون بالخمسين وفيه يأكون سوية متسكثين على القش طعامهم الخبز وشرابهم الماء ونقلهم الملح والجرجير ،يخدمون انفسهم ويستحرمون اتخاذ العبيد وكانوا يحتمون اعيادهم بالنشيد والتسبيح بصوت واحد ومترادفين

(٢٧) هذا ما حكاه فيلوعنهم ولسكنه لم يذكر كيف كانت تسد احتياجاتهم فأكثر الظن انهم كانوا يشتغلون بنقل التوراة ويمتاشون من ايمانها ولم يوضح ايضاً أسباب هذا الزهد الا أن تكون مما دعى غيرهم لئله من قبل ومن بعد وهو ظلم الحكام وفساد طباع الجمهور بأزمة أكثر من غيرها تتولد فيها كراهية الاختلاط بالناس وفتور بالعزم اللازم لقيام بالتكاليف الاجتماعية

(٢٨) وكان ايضاً فريق آخر من اليهود في فلسطين ينسكون على شواطئ بحيرة لوط الا ان تنسكهم كان عن قناعة وعفة لا عن
(٤)

يأس وكره للدنيا ، طريقة المصريين القدماء الذين كانوا ينقطعون عن معايشة الناس ويرون بالعذاب والشقاء فضيلة تكسبهم رضى الالهة فيهود مصر كانوا من هذا المزاج ومنه تولدت الرهبنة المسيحية في مصر بعد حين

(٢٩) وسنة ١٩ م تنكر الرومان من اليهود في روما ونفوا منهم اربعة آلاف الى سردينيا لا لسبب دينهم لأن الرومان كاليونان لم يكن يخطر لهم قط التعصب لذهبهم بل كانت لسبب حفظهم السبت وامتناعهم فيه عن مشاركة الجمهور بالاحتفالات الرسمية فشك في اخلاصهم للدولة

(٣٠) وسنة ٢٣ م قفل طباريوس بيت ضرب السكة بالاسكندرية لا سيما وان البلاد كانت يفقدها استقلالها قد فقدت سكتها الذهبية ولم يبق لها سوى عملة من فضة زائفة رومانية وصار القنى والجاه لروما وما وجد فيها ذهباً بهذا الزمان من ضرب طباريوس هو قائل جداً باسم اغسطوس تذكراً له كزوج امه

(٣١) ومن ولاية مصر في عهد طباريوس كان افلاقوس اوياريوس عرف أطوار سيده فسماها البلاد على أحسن منوال وحفر الكهنة اسم مع اسم الامبراطور على ما بهد طباريوس اسكنه تغير فيما بعد عما كان كما ستراه عن قريب

قاليفولا سنة ٣٧ م الى سنة ٤١

(٣٢) وسنة ٣٧ مات طباريوس وخلفه قاليفولا الذي كان يكره اليهود واذ نصب تمثاله في معابد المملكة ولم تقبله اليهود بكنائسها فنتى عليهم الاغريق بالاسكندرية و بمرور اغريباً ملك فلسطين بالاسكندرية سخروا منه للدرجة انهم البسوا صعلوكاً منهم تاجاً من ورق ووضعوا بيده صولجاناً من قصب الغرار وداروا به الاسواق ينادونه باسم اغريباً وكان افلاقرس الوالي يرى ذلك ولا يعارض به لاستيائه من وجود شخص بالمدينة أعلى منه مقاماً مع ان اغريباً لم يمر على مصر بايابه من روما الا باذن الامبراطور ونزل الاسكندرية مساء كاحد الناس لا بل انه لم يأت بمركب من راكب تجارة الاسكندرية الا لاجل الماء الذي تحمله هذه المراكب الكبيرة ويحل له الشرب منه خلافاً للمستقيات الخشبية بالمراكب الصغيرة التي لا يحل لليهود الشرب منها وذلك ربما من الفساد الذي يعتريها بالسفر الطويل

(٣٣) ولما رأى الرطاع عدم تحرش الوالي لسوء ادايتهم طمعووا ووثبوا على اليهود بمنازلهم وكنائسهم وعاثوا فيهم ومرتقوا الاعلان المنشور بامتيازاتهم وحلوا تماثيل الامبراطور لكنائسهم ونصبوها فيها غصباً عنهم واذ لم يجدوا منها ما يكفي غرضهم اخذوا بعض تماثيل البطالسة

من الجنازيوم ونصبوها بكثائسهم . ثم ان الوالي أصدر منشوراً به يصف اليهود بانهم دخلاء فازداد الاغريق حماقة واليهود حنقا واستمر القتال بين الفريقين ولكن يا ويل الفريق الاضعف والحاكم خصمه ! فانهمزمت اليهود واحتمت بحي من الحيين واتتهبت بيوتهم المهجورة بحميمهم الآخر وانسل منهم رجل ليتاع قوتاً لاولاده بالخفية فسكاه الاغريق واحرقوه بالطريق ولأن الاغريق ادعوا بأن اليهود يخفون سلاحاً في بيوتهم قبض الوالي على ثمانية وثلاثين شيخاً من اكابرهم ليقررهم بخفية السلاح ولم يكن لهم ما يكشفونه له فأمر بجلدهم بيد الجلادين المصريين زيادة في اهانتهم

(٣٤) ولم تصل اخبار هذه الحوادث للامبراطور حتى اغريباً بلغه اياها فغضب من عمل الوالي وبعث بالخال قائداً ومعه فرقة من العسكر للاسكندرية ليحضروا له هذا الظالم فلما وصلوا اليها نزلوها ليلاً وكبسوا الوالي وهو مع اصحابه على العشاء فمسكوه وقادوه لروما توتاً بالاغلال

(٣٥) وكانت اليهود في تلك الليلة بعيد المظالم فلما سمعوا حركة العسكر بالمدينة ورأوا المشاعل امامها خافوا خوفاً شديداً لثلاث تكون الحركة ضدهم ، لكن اذ بعد قليل انكشفت لهم الحقيقة فرحوا وشكروا الله على خلاصهم من هذا الجائر
وما من يد الا يدُ الله فوقها ولا ظالم الا سيُلبى بظالم

(٣٦) ورخص لهم بعدئذٍ بإرسال بعث يقدم شكواهم للامبراطور فأرسلوا بعثاً يرأسه الفيلسوف فيلو وارسل الاغريق بعثاً يدافع عنهم يرأسه ابيون المنطقي فكان من هذا انه سألهم بدائياً بحضرة الامبراطور الم يرفضوا وضع تمثال جلالته بكنائسهم فلما اجابوه ببلى وقبل أن يوضحوا سببهم الديني قطع الامبراطور الحديث وفض المجلس معتبراً اقرارهم بحضرة اهانة ظاهرة له ضد قانون الدولة ومستغرباً على زعمه حماقتهم فانسحب فيلو كئيباً وهو يقول ان يكن الامبراطور ضدنا فان الله معنا

(٣٧) واخبار هذه الحوادث وات اتنا من مؤرخ يهودي فان لنا بصفات فيلو السامية ومنزلته من العلم وكبر سنه كفيلاً على صحة شهادته . وهو الذي عادت مدرسة الاسكندرية بعلمه الى زهوها بزمان البطالسة الاولين فانه كان يهودياً ديناً افلاطونياً مذهباً والمولد مصرياً ولا بد الآن لدارسي الحكمة والباحثين عن الدين من مطالعة كتبه ليروا كيف كان تدرج الافكار من مذهب الى مذهب حتى وصلت لمذهب الشهداء كيوستين وقلامنس المسيحيين الافلاطونيين وكان فيلو اول يهودي اخذ عن المصريين اعتقادهم بسر الكمال بالثلاثة من العدد وجمع الاسنى من حكمة افلاطون الى الاسنى من التوراة حتى كاد ان يكون مسيحياً

(٣٨) فبجاء هذا الاستاذ عاد لليهود بالاسكندرية روتهم الاديبي حتى

صار الاغريق يلهجون بكلامهم ويرون له بلاغة وطلاوة لم يعرفوها من الوثنيين . واذ كانوا قد ابتدأوا من القرن الاخير ان يشعروا بانهم ليسوا خير البشر واصبحوا يعتمون بفهم افكار جيرانهم نراهم الآن يعترفون بأن اليهود هم اول العلماء بمدرسة الاسكندرية

(٣٩) ونعم انت ايون الرومي الصعيدي خصم فيلو كان منطقيًا بليغًا ومصحح نشيد اوميروس الا انه لم يبق لنا من كلامه سوى رد يوسفوس على انتقاده على اليهود ومن كتبه سوى حكاية اندروقلوس والاسد بينما كتب فيلو تشهد لصاحبها بالعلم والفضيلة والتقوى التي لا يُعلى عليها

(٤٠) وقبل الوداع من قصة البطالسة يسوع ان نذكر بأن اغسطوس لما ساق سيلينا ابنة قلاوفطرا اسيرة لروما زوجها فيما بعد يوبا الصغير مؤرخ افريقيا واقطعهما بلاد المغرب بالارث عن والدها لكن اذ مات يوبا وخافه ابنه بطليموس تغير عايه قالينولا ونفاه من مملكته فراح تائها في بلاد اليونان واسيا الصغرى حيث لاقى اكراما يليق بابن البطالسة . ثم ان قالينولا احتال عليه وقتله فلم يبق حينئذ من عائلة مصر الملوكية اليونانية سوى دروسيل حفيده قلاوفطرا وانطوني زوجة انطونيوس فيلكس حاكم اليهودية الذي كان له قبلها زوجة اسمها دروسيل ايضا

قلوديوس سنة ٤١ م الى ٥٥ وطريق الهند بحراً وتجارة القرطاس

(٤١) ثم لما مات قاليفولا وخلفه قلوديوس حصل عند اليهود فرح عظيم فطاشوا وتجهروا بالاسكندرية متهددين الاغريق بسيوفهم وعلى رأسهم ديميتريوس زوج مريم ابنة اغريباً الاكبر يطلبون اعادة امتيازاتهم القديمة ولم يسكنوا حتى اصدر قلوديوس منشوره باعادتها

(٤٢) وكان قلوديوس عادلاً حليماً لسكن الولاة والعمال لم يكونوا كذلك فاجتهد باصلاحهم ووجد بالسنة التاسعة من ملكه ان مصر بحاجة للعدالة فسن قانوناً لحفظ حقوق الشعب من التعدي والظلم وأمر الوالي قنيوس كيننو بنشره بالبلاد لكنه لم يقم قضاة داخل البلاد للحكم بموجب الشرع فكانه ما عمل شيئاً

(٤٣) وبنى مدرسة بالاسكندرية سماها باسمه وامر ان يُقرأ فيها تاريخه عن قرطاجنه اياماً معاومة بالسنة وتاريخه عن ايتاليا بالمدرسة القديمة اياماً مثابها . ونعم الامر ، لما لدرس التاريخ من الفوائد الذاتية والعمومية

(٤٤) واعاد لمصر حرية ضرب نقودها وباول ستة من جلوسه بدأضرب سكته البديعة بالاسكندرية وعليها تاريخ جلوسه وسنو ملكه مما أفاد المؤرخين افادة عظيمة وهناك فضل آخر لسكة الرومان على سكة البطالسة التي وان كانت لطيفة فان كتابتها المصرية كانت مشوشة واما تلك فكانت كتابتها ورموزها المصرية صريحة ومتعددة الشكل

(٤٥) وفي هذا الزمان اكتشف الاغريق والرومان على طريق الهند بجزراً من مصر واتسعت التجارة من وراء ذلك اتساعاً عظيماً . فقد سدر المعاصر والمؤرخ بليني الاكبر قيمة الذهب والفضة الصادرة سنوياً من مصر للهند بأربعمائة الف ليرة من عماتنا الدارجة الآن ثمن الأموال التي كانت تجلب منها وتباع في روما بربح مائة بالواحد اي بأربعين مليوناً وأعظمها كان من الحرير والالاس وأحجاراً كريمة أخرى ثم من التوابل كالزنجبيل والقرفة والبهار والفاقل عدا ما كان يجلب من أموال افريقية الجنوبية كالعاج وسن السكر كدن وجلد فرس الماء وصدف الاطوم والقروود والسعادين والعبيد آتية بجزراً الى برينية وهي سواكن هذا الزمان لان البرة عن طريق السودان واسوان لم يكن مأموناً . أما طريق الهند بجزراً فسكانت بالثيل الى قبطوس ومنها برراً على الجمال الى سواكن مسيرة اثنتي عشرة ليلة أو مائتين وستين ميلاً . ثم كانوا ينزلون البحر في منتصف شهر يوليو عند طلوع الشعري اليانية مع الشمس . وبعد ثلاثة ايام يصلون إما الى أوقليس على الشطوط العربية الجنوبية واما الى قانس على شطوط بلاد البخور من افريقية الشرقية بالقرب من خط الاستواء وهناك كان الريح الموسمي (وهو ما تسميه الافرنج الآن مونسون) المكتشف عليه بذلك الزمان من النوتي هبالوس يحملهم فيخترقون البحر العربي الى موزيريس من ملابار الهند حتى يصلون اليها

بأواسط سبتمبر ثم اذا كان آخر ديسمبر يقامون كما اتوا ببضائع الهند الثمينة ولم يزل هذا الطريق هو الوحيد المعروف بين اوربا والهند الى ان اكتشف البورتغاليون بالقرن الخامس عشر على طريق رأس الرجاء الصالح فتعطلَّ طريق مصر والبحر الاحمر (كما تعطل طريق رأس الرجاء الصالح بفتح ترعة السويس بأيامنا الحاضرة) وتأثر منه تجار العرب ومصر تأثيراً بليغاً لسبب انقلاب مجرى التجارة

(٤٦) وحكاية اكتشاف طريق الهند بجزراً هي أن الرومان كانوا كما دعتهم بأكثر أملاكهم ما خلا مصر قد ضمنوا خراج وكمارك البحر الاحمر العائدة لهم لتاجر رومي اسمه انيوس فلوقاموس صاحب مراكب كان يستخدمها لهذه الغاية ويتاجر وأحياناً يقرصن بها حتى على شطوط العرب الجنوبية . فيوما ما طاح بأحد نوثيته مركبه مدفوعاً بريح شمالية قوية جداً قذفته الى الاوقيانوس وتاهت به خمسة عشر يوماً الى أن وجد نفسه على شط جزيرة لم يكن يعرفها فكانت سيلان وكان هو أول رجل اوروبي أتاها لذلك الزمان وأفضى طريقها

(٤٧) وبجوار الطريق من قبطوس الى سواكن كانت مناجم الرخام السماقي وجبل الزمرد المسمى القلودياني لان الامبراطور قلوديوس كان قد حاه لنفسه

(٤٨) ولما اشتهرت طريق الهند البحرية بدأ علماء الجغرافية يحدثون عظم المسافة بين الهند وافريقية والافان الجمهور لذلك الزمان كان يظن

بأن بلاد فارس هي بالقرب من الحبشة وكان اليونان يظنون بأن النيل يخرج من المشرق او ما كانوا يسمونه الهند وهي البلاد المعروفة الآن بالحبشة أما اليهود فكانوا يقولون عن النيل انه نهر جيحون الآتي من جنة عدن غرباً دائراً حول بلاد قوش اي الحبشة (٤٩) والمؤرخ بليني بكلامه عن صنائع مصر يذكر خصوصاً السكولان أي الفافير أو البردي الذي منه أخذ الافرنج اسم الورق لترادف الغاء والباء فقالوا « پير و پاپيه » فيقول بليني بأنه نبات من جنس القصب ينمو بالمستنقعات التي يتركها النيل بعد انتهاء فيضانه فيؤخذ منه الخشب للوقد وللأثاث والزهر لزينه الأصنام والقشر لعمل الحبال والمراكب وحياسة الشراعات واللب منه لعمل القرطاس الذي يوجد منه ما يصعد عمله الى ٣٦٠٠ سنة ق. م وأجوده كان الكهنوتي الى ان كان عهد اغسطوس فصنعوا جنسين أحسن من الكهنوتي ، سماوا احدهما اغسطي والآخر ليوياني من اسم امرأة اغسطوس وصنعوا أجناساً أدنى منهما كالفانياني والافيتياتريك والسايستيك وأدناها كان يسعى امبوريتيك لا يصالح الا للصرّ وكان أجود هذا السكاغد رقيقاً شفافاً لا تمكن الكتابة عليه الا من جهة واحدة ففي عهد فلودبوس اخترعوا عمل جنس منه يصلح للكتابة على الوجهين وسموه القلودياني ، ويقول بليني بأن مصر كان لها تجارة واسعة جداً بالكتان والقطن أوّلها يطالع بالقرب من تانيس

وبلوزيوم وبوطوس يالارياف والآخر بالصعيد ناحية النيل الغربية
وان مخازن الحبوب الكبيرة كانت بالاسكندرية واليهما جاء يهود
فلسطين بأول هذا العهد يشترون منها لما أحلت أرضهم
(٥٠) وكان للمصريين براعة بالصبغ وتفنن بالألوان لا يعرفها اليونان
ولا الرومان وكذلك بالحبر الذي كانوا يكتبون به على اكفان
الموميا وهو الذي نستعمله الآن للكتابة الثابتة على القماش . وكان
علمهم بالاجمال بطريقة تحليل الأقسام وتركيبها يفوق كثيراً علم
جيرانهم ، وهكذا لما العرب أخذوا عنهم هذا الفن سموه خيميا أي
الفن المصري ، من اسم مصر القديم « خيم » كما ان اسم النفط
مأخوذ عن المصريين ومعناه زيت الجبل الذي وجدوه على شط
البحر الاحمر من جهة الطور . وكان يظن لذلك الزمان ان لا وجود
للالماس الا في مناجم ذهب السودان . أما رخام مصر فالمعروف
منه اسماء كلها رومانية كالأبسيديني للرخام النوبي الاسود من اسم
أبسيديوس المكتشف له ، والطباري للرخام الاسود المنقط بأبيض
من اسم طباريوس قيصر ، والاغسطي للرخام المعرق من اسم اغسطوس
والبورفيري للسماعي اللون الذي تفننوا بنحته بهذا الزمان أصناماً
وتماثيل أجسامها منه والوجه واليدين والرجلان من الرخام الأبيض
تشبيهاً بالأشخاص المكسوة

(٥١) أما الحجر فان الذي كانت ترغبه اليونان والرومان بذلك الزمان

كان أعظمه من عصير بلاد اليونان وايطاليا وبعده كان المربوطي
والنانيوتيك والقيومي ثم خمر النطالاً شرقي الاسكندرية ثم وارد
انطيفرا من ليبيا على بعد مائة ميل من الاسكندرية ، واردة خمر كان
من عصير الصميد ، أما الشعب فكان مشروباً من عصير الشعير
ولسكن أفر الخمر كان المصنوع من النبيذ المصري وله الشهرة في
روما وكانت يصنع أيضاً خمر فوار كالشعبانيا في سبينيتس
يسمى عيطلون

(٥٢) والخمر الغريب كان يأتي الى الاسكندرية بجرار من الخنزف على
شكل البطة ذات عروتين عند الرقبة اكثرها من جزيرة رودوس
وبعضها من قورنت واقنيدس على شطوط آسيا الصغرى ومن قبرس
وشيو وطاسوس التي كانت فيها مناجم الذهب قديماً ومن عباه على
الاورنتس ومن جنوبي البحر الاسود ومن صقاليا ومرو السودان
التي خمرها كان من عصير التمر لسكثرتة هناك وكل هذه الجرار قد
عرف اصلها من شقفها التي وجدت بتراب الاسكندرية وعليها اسماء
هذه البلدان ومن شكل هذه الجرار صارت العرب تسمى جرة الخمر بطة

(٥٣) والسائح استرابو والجغرافي بومبونيوس ميلا يذكرون بركة موريس
المصطنعة ووسطها هرمان صغيران كانت تسمى ألوفنا من الفدادين
بجوار ارسينويه الا أنها كانت بزمان بليني قد جفت وانحدرت
مياها الى بركة القيرون وأصبحت الأراضي حوالها قفراً ليس فيها

غير شجر الزيتون البري وذلك لانها كانت بمدة الخمسين سنة
الاخيرة قد أهملت وتمطلت جذراتها . وبهذا الزمان زيد في عهد
لاتوبوليس البديع المشاد من عهد البطالسة رواق منقوش عليه اسم
قلوديوس وبعدها حفروا فيه أسماء خلفه وكانت عمده جميلة الصنعة
جداً رؤوسها بشكل اغصان النخل وزهر الفاير والمعد كان
مكرساً للاله اقنيب الذي له عدة أسماء عند اليونان يظن انها كلها
تحريف اخيه بلغة القبط ومعناها الينبوع وكان في لاتوبوليس معابد
غيره لاله من جنس السمك

(٥٤) وكان اسم السنة بلغة القبط بيت وهو ايضاً اسم طائر عندهم وكان
اسم غصن النخل عندهم بي فزادوا عليه حرف التاء الذي هو
هكذا ■ ودائرة تحته وصاروا يعبرون بذلك عن السنة الى ان
صار البعض يسمون السنة طائراً او غصن نخل وكان اسم النخل
بلغة الاغريق فينكس فأخذوا هذا الاسم يرمزون به الى طائر خرافي
وهو ما تسميه العرب العنقاء وتقل عنهم الرومان بدون استقصاء
خبره فلما كانت سنة ٤٧ م وبها تم القرن الثامن من بناء روما
زعموا بأن الطائر قد جاء من مصر وزار مدينتهم وانه طائر عجيب (١)
يأتي من العربية على رأس كل خمائة سنة حاملاً رمةً أبيض التي خرج
من دودة منها ليلقيها بعشها المعطر ويحرقها على هيكل معبد الشمس

(١) ومثله عند اهل الصين

في هايو بوليس ثم يعود الى بلاده ، وبه استشهد المسيحيون على حقيقة البعث وذكره قلامنس أسقف روما برسالته الى القورنثيين بهذا المعنى

نيرو سنة ٥٥ م الى سنة ٦٨

(٥٥) وعند موت قلوديوس خلفه نيرو ، وظهر حينئذ في مصر رجل يهودي ادعى بأنه نبي وهيج اليهود للانتصار لاخوانهم في اورشليم فاجتمع اليه اربعة آلاف مقاتل على قول البعض او ثلاثون ألفاً على قول آخرين سار بهم اليها لسكنهم بوصولهم لحدود فلسطين لاقاهم الحاكم فلاقوس ومزق شملهم . فمثل هذا التعصب من اليهود من وقت لآخر كان هو الذي يضرم الحقد في صدور الروم ضدهم وهكذا لما كان هؤلاء مجتمعين بالجنازيوم لانتخاب بعث يرسلونه لروما دخل بينهم بعض اليهود بدعوى المساواة بهم فوقع اليونان عليهم وطردهم كجواسيس وكادوا أن يقتلهم لولا ان يأتهم المدد من اخوانهم ويرسل الحاكم طباريوس بعض مشايخهم ليردوهم فانسد الحرق حينئذ لكن ما لبث الشر حتى عاد بينهم فاقتتلوا أياماً واضطرّ الحاكم الى استدعاء خمسة آلاف من جنود ليبييا لمساعدته على اخاد الفتنة ثم قام بحراسة اليهود الى أن جمعوا قتلاهم من الازقة ودفنهم . اما قول يوسيفوس بأن قتلى اليهود بتلك الحادثة بلغ خمسين

الف فففيه ولا شك مبالغة عظيمة لما هو معروف من صداقة
الحاكم لهم

(٥٦) ولكن لما كان من سياسة المملكة ان الوالي يُعزل اذا وقع
شغب بولايته لأنه لم يتلافاه أمر الامبراطور بعزل طباريوس وابداله
ببليايوس الذي بوصوله من صقليا للاسكندرية بستة أيام عدت
سفره من غرائب الزمان بالسرعة . ولهذا الوالي تاريخ عن مصر ذكره
سَنكا بالاطراء عليه لكن لا وجود له الآن . ومما ينقل عن لسان
بليايوس ان التمساح الذي لا يرى الآن تحت ثيبه كان كثير الوجود
بالارياف بزمانه وانه قد رآه يطارد الدافين بالقرب من اسوان

(٥٧) وبهذا الزمان كانت مراكب الاسكندرية ونوتيتها أعلى شهرة من
سواها وتجاريتها مع ايطاليا أعظم تجارة فخصت لنوتيتها من وراء ذلك
خبرة كلية بالطريق حتى كانوا اذا ساعدهم الريح يقطعون مائة
وخمسين ميلاً بنهار وليلة أما اذا قاومهم الغربي منسه التجأوا الى
شعوط آسيا الصغرى واذا لاقوا هيجاناً عظيماً بالبحر التجأوا الى
اقريطش او مالطه وربما دخل عليهم الشتاء فيهما فيظلون محتمين
بمكانهم لدخول فصل الربيع فلا يصلون الى ايطاليا الا بخمسة
أشهر ، وهذا عين ما توقع لبولس الرسول ورفيقه يوسيفوس المؤرخ
بسفرها الى روما

(٥٨) ولأنّ خليج مالطه كان اوسع وامن مرفأً بالبحر المتوسط وماجأً

مستعمراً المراكب مصر وایتاليا اصبح اهلها خاليطاً من شعوب شطوطه .
ومن الجماجم التي وجدت بأرضها يظهر بأن اكثرهم كانوا مصريين
حتى في زمان الفينيقيين بانين المعبد الكبير فيها لاله مصر المسى
من اليونان معبد خيم او اجياخيم . كما ان نقود الفينيقية التي وجدت
فيها ترى عليها من جهة صورة اله صقايا ومن الاخرى صورة الثاوث
المصري ايزيس وعوزيريس ونفطيس والتي من زمان اليونان عليها
صورة ايزيس من جهة وعوزيريس مجنحاً من الجهة الاخرى
ومثل هذه النقود وجدت ايضاً بالجزيرة الصغيرة هنالك بين دقليا
وقرطاجنه المسماة قصيرة

(٥٩) في الخمس السنين الاولى من عهد نبرو وهو فاصر وتحت وصاية
الغياسوف سنسكا كانت المملوكة مثلاً للمدالة والانصاف حتى ان
نقود مصر للسنة الثالثة من جاوسه على سرير الملك ضربت بصورته
وعلى رأسه تاج مصر المزدوج واسمه عليها « السعد الفتي » وكان
المصريون يشكرون من واليهم الجديد بلبياوس اليوناني المصري الى
انهم قالوا بأن النيل قد اقتدى بكرمه واحسانه فأتى بزمانه وافياً .
سكن اذ شب نبرو واستلم زمام الملك تحوّل الحلم الى الحماقة
والعدالة الى الظلم وعمل الولاة بسنة ملكهم حتى ان بابيلوس الذي
اعطاه الامبراطور لقب طباريوس قلوديوس ايضاً تغير عما كان
فاظلمت الدنيا ونزل البلاء بالناس

(٦) ومن أساتذة نبرو كان الفيلسوف خيرامون رئيس مدرسة الاسكندرية سابقاً وله تأليف صغير يشرح فيه طريقة الرهبان المصريين القدماء، وكان زاهداً بالدنيا ويؤثر الموت على الحياة فقال فيه الشاعر الحجان مارتيال بأنه لكبر سنه وققره لم يعد يشمر بلذة الدنيا . أما علوم الاسكندرية فكانت بالقرن والتصف من حكم الرومان قد انحسرت بدرس المنطق

(٦) وكان رئيس مدرسة الاسكندرية لعهد تراجان ورئيس قلم المحابرات بالولايات أيضاً الاستاذ ديونيسوس تلهيد خيراءون له قصائد يتغنى بها بالنيل وبسبق المصريين أهل الارض بالتمدن والفلاحة والزراعة والعلوم وبجمال بلوزيوم الفييقية الاصل التي نسميها بلبيس وبعز الاسكندرية المقدونية مدينته ونصم تيمه العظيم الذي تسميه اليونان ممنون مصيها حبيته اورورا (أي الفجر) وهي إلهة اليونان الخرافية المسماة أيضا ايوس والدة ممنون من أبيه تيطون . أما النصم فهو حقيقة بالاصل تمثال الملك امنحتيف بن طوطمس الرابع

(٦) ومن تقرير مؤرخي الكنيسة يظهر بأن ابتداء التبشير بالمسيحية بعصر كان سنة ٥١ م رقص الانجيلي تلهيد بطرس الرسول ولكنه بالسنة السادسة من هذا العهد لحق بيواس في روما تاركاً الكنيسة الجديدة لعهدة حنانيا ، انما لا يذكر التاريخ عدد المنتصرين الاولين

وذلك لأنهم كانوا من الفقراء والبانسين والتقليبي الاحمال الذين دعاهم يسوع ليكونوا شركاءه في ملكوت ابيده (١) ، اولائك الذين كانت كهنة سيريس تلغتهم وتطردهم من وجهها ، لكن اذ تنصر الاغنياء والاكابر صار التاريخ يسجل الاسماء ويفتخر بالعدد

(٦٣) وحنانيا هذا هو المشهور بأنه كان أول أسقف للاسكندرية والمؤرخ عوزيبوس الذي كتب بعده باني سنة يسرد لنا أسماء الاساقفة الذين خافوه بدون انقطاع لذلك الزمان لكننا لا نجد دليلاً على جنسيتهم الاً من أسمائهم . فان حنانيا قد كان ولا ريب يهودياً كما كان مرقس أيضاً . انما خلف حنانيا نراه قد صار من اليونان وذلك لسبب انكسار شوكة اليهود وخراب اورشليم من الرومان بهذا الاثناء والاً فان اليهود الافلاطونيين لولا ان فيلو المؤرخ يعين لنا أزمتهم التي هي قبل التبشير بالمسيحية لظنناهم من الاولين قبل أن تختلط الخرافات والتقاليد اليونانية والمصرية بالمذهب الصريح وتغير مبادئه السامية الى آراء خسية

(٦٤) وبكل هذه الازمنة الاخيرة كانت حامية الرومان لا تتجاوز حدود برمبول وطميس من أرض النوبة التي منها كانوا يستجلبون بالنيل حجر الرمل المرغوب للبناء وأما ما وراء هذه الحدود فكان متروكاً لتصرف العربان اسلاف البشاريين الحديثين اولئك الغزاة

(١) ابيه وايعهم والاهمه والاههم (انجيل عيد القيامة ليوحنا الرسول)

الذين كان القبط يهابونهم ويعتقدون بأن لا رؤوس لهم وان عيونهم
وأفواههم بصدورهم
(٦٥) وما سوى ذلك فان مصر كانت بأتم السكون والراحة، حتى انه
لما القائد وسبازيان عجز عن اخضاع اليهود في فلسطين بالشر
كتائب التي معه امكن لنيرو أن يسحب كتبتين من حامية
الاسكندرية ويرسلهما مددآله تحت قيادة ابنه طيطوس، ووسبازيان
وولده طيطوس هما المرموز عنهما بسفر الوحي بالوحش الاول ذي
العشرة قرون الخارج من البحر والوحش الثاني ذي القرنين الآتي
براً ضد اليهودية

الفصل الثالث

سنة ٦٨ م الى ٩٧

غلبا اوتو ويتليوس وسبازيان طيطوس ودوميتيان

(١) لهذا الزمان كان قد تم قرن كامل المملكة الرومانية تداول الحكم

فيه خمسة رجال بصفة تشبه الارث لكن بموت نيرواتقراض النسل

الجواياني والقلودياني ولما صعد غلبا على كرسى الملك بارادة الجند

حاول أن يوهم الشعب الروماني اكتسابه الحرية

(٢) ثم أبدل حاكم مصر بطليبيريوس يوايوس اسكندر ابن حاكم

سالف بها من هذا الاسم ومن منشور هذا الحاكم الذي وجدت

صورته اليونانية محفورة على عاديات المرج الكبير بينما الحوادث

والانقلابات بالارياف دكت المعابد فيها وبحت الاثار ، يعلم ما أراد

غلبا اصلاحه من المظالم فانه يحرم اجبار افراد الرعية على تحصيل

الخراج او سجن الاحرار لأجل دين ليس عندهم ما يفونه به ان لم

يكن ديناً أميرياً أو تحويل جابي الخراج على مديون معسر أو

أخذ مهر امرأة لوفاء دين بعلها ، ويلغي كافة الضرائب التي وضعت

بالخمس السنين الأخيرة ولأجل ابطال عادة التجسس التي كانت

قد فشت بين الناس بعضهم على بعض بارتياح لها من الحاكم

بالاسكندرية أعلن بأن أيّ انسان اشتكى على الآخر مخفية ثلاث
شكايات ولم يثبتها يُعزم بنصف ماله ولا تقوم له شهادة او تسمع
له دعوى امام المحاكم فيما بعد . ولأن الخراج كان يؤخذ عادةً على
المسقي بالغيل والدولة صارت تطالب به بحسب مساحة الاطيان
زاعمة بأن مسئولية تعطيل بعض المزارع من انسداد الترعات عائدة
على الفلاح ، أمر بالعمل بالعادة ومن هذا الباب ما جاء بالحديث عن
نبي العرب ، ما سُقي بالغيل ففيه العُشر وما سُقي بالدلو ففيه نصف
العُشر ، ومن هذه القوانين يظهر بأن الناس كانت باحتياج للرفق
والعدالة

(٣) لكن حكم غالباً لم يطُل لان الذي يرفعه الجند يحطه الجند
خلافاً للحاكم المستند على عهد الامة وذمتها . فبعد سبعة أشهر
انقض عليه الجند وقتله . وما وجد من النقود بعد ذلك باسمه
مضروباً بالسنة الثانية من ملكه . معناه انه ملك بأواخر سنة
ودخلت عليه سنة جديدة بالملك وهذه كانت عادة الاسكندرية
بضرب النقود

(٤) وعند موته سلّمت روما زماءها لاوتو وتبعها المشرق وضربت
الاسكندرية النقود باسمه . ثم اذ بعد ايام اتاها الخبر بقتله من جنود
الجرمن التي بايعت قائدها ويتليوس وضربت نقودها باسم هذا
لكنها بعد قليل انكرته أيضاً وبايعت وسبازيان مختار جنود سنورية

- (٥) واذ وافى وسبازيان الاسكندرية بلغه قتل ويتايوس بعد ثمانية أشهر من جلوسه على كرسي روما وان جنودها وجنود الجرمن تريده ففرحت الاسكندرية بذلك وزينت وضربت تقودها باسمه وعليها كلمة « السلام » اشارة الى انتهاء الفوضى والنزاع الداخلي
- (٦) وكان ممن سعى بنجاح دعوة وسبازيان في مصر وهياً له استقبالا لائقا، العلماء ديون والفرات وابولونيوس فديون كان خطيباً يُقَبُّ بضم الذهب والفرات كان فيلسوفاً افلاطونيا اقترن فيما بعد باثثة حاكم سورية وقطن روما وفيها اكتسب صداقة بليني الصغير وذكرها حسناً جداً وأما ابولونيوس وهو أشهرهم وأصله من تيانه بالقرب من طرسوس فكان أول اغريقي طاف بلاد المشرق وأخذ عن حكماء بابل والهند وكهنة مصر علومهم وسحرهم حتى صار يُعَدُّ واحداً منهم وادعى بالاتيان بالمعجزات وبالنبوة ومؤرخه يقول بأن الشجرة المباركة كلمته ودعته بالاستاذ السماوي اما كتاب الوحي الذي رمز الى وسبازيان بالوحش وذكر النبي الكذاب الواقف امام الوحش فانه عني به ابولونيوس كما أنه هو الذي أشار اليه بولس الرسول بانه المنافق الذي سينكشف عنه الغطاء قريباً وذلك لانه كان قد زار طرسوس وانطاكية وافسس وخطب فيهن بفلسفته بينما كان الرسول بولس يعظ فيهن ايضاً بالمسيحية
- (٧) ولما رأى الاغريق نجاح الشموذة كالتى اتى بها ابولونيوس رغبوا

فيها فراجت حرفة الكهنة وشاع ذكر سحرهم فمنهم من ادعى
بمناجاة الارواح ومحاوره الجمادات والبهائم ومنهم من ادعى معرفة
أجل الانسان من خطوط جبهته فثبت اعتقاد الجمهور بالسحر حتى
ان القديس ايرونوموس لم ينكره فيما بعد ولا ما كان يُنقل عن
سحرة الوثنيين واليهود والمسيحيين بناء على أنه علم لا سرٌّ روحاني
(٨) وكان أبولونيوس لاتذاً بوسبازيان رافلاً بنعمته ووسبازيان
يكرمه ويصادق على دعوته ليسند بها سلطته امام الجمهور حتى انه
لما طلب من هذا المشعوذ أن يدعي له بتأييد ملكه اجابه « اني قد
مسحتك أمبراطوراً بساطة من عنسدي » فصار المصريون يطلبون
التبرك من وسبازيان أيضاً ولما تقدم اليه أحدهم وفي عينيه رمد
وطلب اليه أن يبصق عليها زاعماً ان الالهة سيراييس قد ألهمته
ذلك ليشفي ، وآخر قد سُتت يده طالب اليه أن يدوسها بقدميه
لتشفي ضحك وسبازيان منهما لسكنه اذ ألحّ عليه الناس ان يجيب
طلبهما استدعى الاطباء واستشارهم فأشاروا عليه أن يفعل لأنه ان
أفادها استفاد هو ايضاً ذكراً وان لم يفسدها لم يضره ذلك وعلى
قول المنزلفين اليه بأنه فعل وأفاد ، وهذا جائز بمثل هذه الامراض
لكن لسبب طبيعي قائم بنفس العليل لا بسرّ في الطبيب
(٩) ويقال ايضاً بأن وسبازيان رأى عجيبة وهي انه دخل يوماً معبد
سيراييس للصلوة ولما انتهى الى الغرفة القصوى حيث الصنم رأى

الشيخ باسيليديس جاثياً هناك وهو يعهده طريق الفراش بعيداً ثمانين ميلاً عن الاسكندرية فلما خرج سأل الكهنة عن سبب وجود الشيخ بالغرقة فأجابوه بأن لا علم لهم باتيانه المعبد اصالةً ودخلوا الغرفة فلم يجدوا فيها أحداً فبعث وسبازيان بالحال رسولاً للحل اقامة الشيخ ويقال بأنه وجدته ملقى على فراشه وعلى آخر رومق من الحياة

(١٠) ثم ان وسبازيان رد ابنه طيطوس لليهودية ليتم فتح اورشليم فزحف طيطوس بجنوده برّاً الى نيقوبوليس ومنها قطع التربة الى طمويس بالقرب من منديس ثم مشى ليلةً الى تانيس وليلةً ثانية الى هيراقليوم وثالثةً الى بلوزيوم حيث جاز النهر وبالرابعة كان في قاسيوم والخامسة في اوسنراتين حيث أخذ مؤنته من الماء وبالسادسة كان في رينينوقولورا وبالسابعة في رافيه آخر حدود مصر ومنها دخل أرض فلسطين

(١١) وكانت يهود الاسكندرية لا تبالي بما حل بيهود فلسطين وهيكل اورشليم لانهم كانوا من ثمانئة سنة وهم يحججون الى هيكلهم الجديد يعينون بالقرب من هليوبوليس، لا بل ان أحدهم يوسف بن متياس الذي اشتهر فيما بعد باسم فلايوس يوسيفوس المؤرخ كان من عدد الزاحفين مع طيطوس، فلما وصل طيطوس امام اورشليم وأحاط بها كان المدافع عن عالي المدينة القائد سمعان وعن أسفلها والهيكل

الثالث يوحنا وهما الشاهدان اللذان يذكرهما كتاب الوحي لكنهما احتلفا على طريقة الدفاع . ورعماً عن شجاعة اليهود أخذ الرومان المدينة منهم وهدموا هيكلها في شهر ايلول سنة ٧٠ م او على قول اوريجين بالسنة الثانية والاربعين من صلب السيد المسيح وقاد طيطوس من أسارى اليهود حينئذ سبعة وتسعين ألفاً لئلا يجد مصر وهاجر كثيرون غيرهم لمصر هرباً من الجوع والشفاء راجين المواساة من أهل دينهم هناك لكنهم خابوا لأن يهود مصر خافوا لئلا ايلافهم ينكي الحكام فأنكروهم وردلوهم وطردوهم ففترقوا بالصحراء تائبين ذائقين كل أنواع المهوان والعذاب حتى ان قلب يوسيفوس القاسي ذاته رقّ لهم فيما بعد

(١٢) إلا انه قد فات يهود مصر بأن سقوط عاصمة ملتهم واذلال أهل دينهم من شأنه أن يسوق الى اهانتهم ايضاً فاننا نراهم محترمين من الاغريق متبهمين من الرومان حتى ان الحاكم لوبوس أقفل هيكلهم في عينون ايضاً بأمر الامبراطور وساق كثيرين منهم بالاغلال الى روما وساق يوسيفوس معهم فكان اسيراً الى أن عرفه طيطوس فأطلقه

(١٣) ونعم ان ليوسيفوس فضلاً بالتاريخ لا ينكر وعنه نقلنا بعض أخبار اليهود إلا انه كان رجلاً بلا مروءة ولا ناموس كافرأ بدينه وقومه وامراته الغريبة لكنه بردّه على طعن ايون باليهود واحتجابه بأقوال

فلاسفة الاسكندرية قد أفادنا أفكارهم وأفكار يهود ذلك الزمان
التي لا وصول لنا اليها الآن من باب آخر
(١٤) أما سفر الحكمة المنسوب في بعض نسخ العهد القديم الى سليمان
الحكيم فيظهر لنا بأنه من وضع أحد رجال هذا الزمان لأنه
يذكرنا بأقوال فيا و ابن سيراخ ونفسه نفس يهودي مصري متصر
قد شاهد أعمال وسبازيان باليهود وعرف اهانتهم من المصريين
ويمدح من العيشة الرهبانية ويزعم بأن الله لم يخلق الموت ويعظم
الرجل الصالح الذي شتم وعُير وعُذّب لقوله بأنه ابن الله وبكلامه
عن الخالق وحكمته وكنهه التي بها أوجد الاشياء ترى المطابقة على
أول قول جاء بذكر الثالث من كاتب مسيحي وهو تيوفيلوس
أسقف انطاكية

(١٥) ولم يكن الاغريق اكثر ارتياحاً من تصرف وسبازيان معهم
لأنهم كانوا السابقين لمبايعة فلم يروا منه من المكافأة الا زيادة
الضرائب واذ بلغه بأنهم يعيرونه بالبخل ويقولون بأنه طالب صديقاً
له بستة دوانق كان قد أقرضه اياها شاط غيظاً منهم وجباهم مثلها
عن كل رجل منهم ثم عفى عنهم برجاء ابنه طيطوس ورحل الى روما
بلقب اليماق أي غسّال الصحون كما كانوا لقبوا سلوقوس قبله، ناهب
تابوت الاسكندر الذهبي

(١٦) وليث طيطوس في مصر نائباً عن والده فكان لطيفاً بالمصريين

(١٧) محبوباً منهم واذ شاركهم باحتفالهم بالثور الجديد ايس لابسا التاج الملوكي ليزيد ببهجة الاجتماع شكاه الاغريق بمزاحمة ابيه على الملك ومن آثار عهد وسبازيان في مصر كان اكالمعبد لاتوبوليس^(١) الكبير للاله اقنيف ، وهو من ابداع بنايات مصر القديمة ، فزيد عليه رواق قائم على أربعة صفوف من العمد رؤوسها منحوتة بشكل زهر النافير وعلى سقفها صورة منطقة البروج كما في معبد طنطيرا واسم وسبازيان محفوراً فوق الباب الكبير

دوميتيان سنة ٧٩ م الى سنة ٩٧

(١٨) ولما مات وسبازيان خلفه ابنه الأصغر دوميتيان الذي أباح للرومان دين المصريين وأقام في روما معبداً لآلهتهم ايزيس وابنها هوروس ومعبداً آخر لسيرايس فاشتغل المصورون بعمل التصاوير الممثلة ايزيس وعلى حجرها ولدها هوروس وتقش صورها الصباغ على فصوص الخواتم وطلق الرومان يقدمون على اقتنائها اقداماً عظيماً وراجت تجارتها حتى ان الشاعر يوينال المجان قال بأن الرومان قد باتوا يتعيشون من فضل ايزيس، ولشدة حرصهم على طهارة معبدها كانوا يستجلبون ماء النيل لغسله ولاغتسال كهنته . وبني دوميتيان مدرسةً فيه أحضر لها ما شاء من مكاتب الاسكندرية

(١) غربي منف على نحو سبعين ميلاً لجهة النظرية

وزرع نفسه بستاناً على حافة نهر تير الذي فاق بحسن ورده
المصري الشتوي حدائق منف والاسكندرية

(١٩) وبزمانه كان الشاعر يوينال شيخاً وحاكماً عسكرياً على أطراف
صحراء مصر، فيخبر بأنه وجد الجنود الرومانية هناك خالعة العذار
لا أدب يردعها عن الفساد ولا مروءة تصدها عن الجور على السكان
والقضاة لا يقدرون على الوصول الى الحقيقة لمجازاة الجانين لأن
الشهود كانوا يخافون من قول الصدق ضد الجند

(٢٠) ولما كان هذا الشاعر مطبوعاً على الانتقاد رأى بعبادة البهايم من
المصريين ما يشحذ قريحته فيقول بأنهم لمبادتهم أكثر البهايم لم
يتركوا لقوتهم لحمًا يستحلون اكله سوى لحم بني آدم ويستشهد على
ذلك بما رواه من قتال كان بين مدينتي عمبس وطنطيرا البعديتين
مائة ميل عن بعضهما وكان أهل عمبس يعبدون التمساح وإلهًا
آخر برأس تمساح اسمه سواق بينما أهل طنطيرا كانوا يعبدون الثور
ولهم براعة بصيد التمساح فالتقوا يوماً ما بسيران كان لهم وتقاتلوا
فانهزم أهل عمبس إلا رجلاً منهم عثر وسقط فمسكه أهل طنطيرا
ومزقوه وأكلوه . ولأن اسم ملكة السماء عند المصريين هو
ايزيس واسم الكرات ايزي ظن يوينال بأن معبودهم هو البصل
فزاد بقوله عنهم أنهم بعد عبادتهم البهايم والطيور والاسماك والبقول
لم يقتهم معبود سوى إله العفة

(٢١) وحكى ايضا عن قتال آخر شاهده بين مدينتي اخيرينخون وقينو بويس لأن هؤلاء كانوا يعبدون الكلاب فاصطادوا سمكةً يعبدها الآخرون اسمها اوقصيرينخوس واكلوها فقام أهل السمكة يقتلون الكلاب ويأكلونها واشتعل القتال بين الفريقين الى أن صدتهم جنود الرومان عن بعضهم

(٢٢) أما المؤرخ باوتارخ فإنه مع علمه بوجود هذه العقائد عند الجهال من الناس يقول بأن اعتقاد الكهنة انما كان بالله غير منظور وانهم كانوا لا يكتفون بالصلوة دون الحسنات ويزعمون بأن كلاً الاضرار منه حلال وما ضر فهو الحرام^(١) فلوحركوا ناراً بالسيف كان ذلك حراماً لأن النار تضر بفرنده . ويقولون بأن ليس كل من لبس الكتان واغتسل وحق رأسه بكاهن وان سُئِلوا عن اسم الآله أجابوا بأن الشمس واحدة أما اسماءها فكثيرة بلغات الناس وهكذا الآله . وكان لهم عيد للآله طوط يحتفلون به ليلة العشرين من الفجر يأكلون فيها العسل والتين اليابس وينشدون « طيبة هي الحقيقة » ولكنهم بوجه الاجمال كانوا كسائر أهل المشرق يعتقدون بوجود آله صالح و آله آخر شرير ويعتقدون بأن الآله الصالح مركب من ثلاثة بالعدد الذي هو عندهم صورة الكمال ، والزاوية التي بها يعبرن

(١) وهو مذهب فلسي جايل عند من تبعر

عن عوزيريس وايزيس وهوروس . وكان عيدهم الكبير تذكاراً
ليوم حزن ايزيس على بعلها عوزيريس الذي قتله تيفون ونشر
أشلاءه وبددها فجمعتها ايزيس ودفنتها ثم نشأ ولدها هوروس
وثأر بقاتل أبيه ، وانه كان لتيفون ابنان اسم احدهما هيروسوليموس
والآخر يهودا هما أعداء المصريين لكننا لا نرى أثراً يدلنا على هذه
القصة بين رسوم ثيبة القديمة فرما انها مما جد بالارياف ومنه ركب
الاغريق حكايتهم اللطيفة عن حزن وينوس على معشوقها ادونيس
أو انها مأخوذة عن حكاية استارته الإلهة الفيثية (١)

(٢٣) ثم بينما كنا نرى هوروس بصورة فتى وعلى رأسه تاج صرنا نراه
بصورة ولد صغير وأصبه على فمه ، يعنون بذلك انه قاصر عن
الكلام ، فالرومان لم يفهموا هذا الرمز وحسبوه إشارة الى الصمت
فسموا إله الصمت

(٢٤) ولما تمت الاحدى عشرة سنة لحكم دوميتيان طلب من السناتو
اقلته فلم يقبلوه وبايعوه لعشر سنين ثانية فاحتفلت الاسكندرية
بذلك احتفالاً كبيراً وضربت نقوداً جديدة تؤرخ جلوسه الثاني
أنت من أبداع النقود المضروبة لذلك الزمان

(١) ويمثل هذا اليوم محتمل الان مصر بعيد شم النسيم .

الفصل الرابع

سنة ٩٧ م الى سنة ١٨١

نروي تراجان هديران والانطونين

(١) النقود هي الاثر الوحيد لحكم نروي على مصر ولكنها تكفي
لثناء عليه لأنها تؤرخ رفعه الجزية عن اليهود التي كان قدرها نصف
مئقال عن كل انسان منهم وهو القدر الذي كان قديماً مفروضاً
عليهم لخدمة الهيكل

تراجان سنة ٩٨ م الى سنة ١١٧

(٢) اما أجل النقود المسكوكة لتلك الزمان فكانت التي لتراجان
لاسنة الحادية عشرة من ملكه فانها بدلاً من تشخيصها الانتصارات
الامبراطورية وفيضان النيل والالعب والتعبد لسيرايس صارت
تنقش بالرموز المصرية واليونانية لابل ان كيتها بهذا العهد والذي
بعده فاقت كمية كل النقود المضروبة قبلها واكثرها كان من
النحاس بقطع صغير من وزن مائة وعشرة شعيرات الى مائتين
وعشرين شعيرة وهو ما صارت العرب فيما بعد تسميه المئقال الذي

هو تسع وتسعون شعيرة وبعض هذه النقود كان من فضة لكنها
غير خالصة

(٣) ورغمما عن احتقار الرومان المصريين واعتبارهم آداب وصناعة
اليونان فانهم كانوا يثقون بأطباء المصريين ويتمسدون بمصر
لمشاورتهم فكان أحد أطباء قيقروا منهم ولما هر بوقراط المصري
تفى بابني الأصغر من مرض كان بعينه كافأه هذا بأخذه له فرأنا
يجعله رومانياً ، واذ لم تجز له القضاة هذه الجنسية لسبب نسله التمرقي
تكافؤوا جعله أولاً يونانياً وثم رومانياً اي حرراً

(٤) ومن اقتصادات تراجان الحسنة المذكور كان تخزينة بأهراء روما
خراج سبع سنين من حبوب مصر احتياطاً من جذب يطرا على
زراعة مصر ويقطع واردها لبحري خلفه على هذه القاعدة سنيناً وآتى
زمان انحلت فيه مصر ورات الاسكندرية انقلاب الآية بأن روما
صارت تمدتها بالطعام وتمتخر باقتصادها وكرها على المصريين

(٥) ولهذا الزمان كانت الاسكندرية لم تزل قطبا لتجارة المنرف مع
أوروبا ومرسى لمراكب سورية تزدهم فيه السفن بتراماتها المختلفة
الالوان والاشكال وميدانها لتجار المسكونة من كل لون ووري ولسان

(٦) أما أهلها فانهم على قول أحدهم ديون الملقب بعم الذهب لم يكونوا
حسني السيرة قط بل ان همهم كان بطونهم وفروجهم وسباق الخيل
وحرقتهم التهرج ايضحكوا الرومان بسفاهتهم

(٧) وبعد أن كانت الرومان قد أخفقت بزحفها ضد العرب في عهد أغسطس نراها الآن قد احتلت حجر عاصمة النبط ولم تنزل آثار احتلالهم لها اربعمائة سنة ظاهرة للآن

(٨) ومن آثار هذا العهد وبزمان حاكم مصر لوقيوس سوليقيوس سيميوس ما زيد على معبد بانوبوليس^(١) بالصعيد باسم تراخان بالسنة الثانية عشرة من ملكه ورواق معبد سيرابيس وايزيس بالمرج الأعلى بالسنة التاسعة عشرة من ملكه وأيام حاكم مصر مرقس روتيليوس لوبوس وكان تراخان بأول سنة من ملكه قد بنى معبداً صغيراً في دنديره بالقرب من معبدها الكبير تذكراً لزوجته بلوتينا باسم وينوس الفتاة ومع سكوت التاريخ عن حوادث هذا الزمان نفهم من صورة نقود الاسكندرية للسنة الرابعة عشرة لتراخان قدومه اليها آيماً من فتح أرمينيا والعراق وبلاد العرب واكباً على عجلة تيجرها أربعة أفيال ، ومن صورة نقوده للسنة السادسة عشرة من ملكه نفهم اقلاعه عنها بهيئة الإلهة ايزيس ماسكة شراعاً تدفعه الريح عن جزيرة الفنار

(٩) وبهذا الزمان حصل اعتناء باصلاح الترعة التي بالقرب من

(١) وتسمى أيضاً خيسيس وهي الآن اخميم ومنها خرج ذو النون
الانجيمي رئيس الصوفية

بوسطى التي هي الآن تل البسطه وكان أول خرقها من نيقوشم
اعتنى بها فيلادلفوس لكن اضعف مصب النسل اليها بهذا الزمان
رأوا أن يجعلوا رأسها فوق ما كان لحفظها من تسطي الماء المالح
فابتدأوا فيها من بابل بالقرب من منف آخذين بها إلى هليوبوليس
ثم شيناوترانوروم وهيروبوليس وسيرايون إلى البركة المألحة العليا
ومنها إلى البحر الأحمر وهناك بنوا لها سداً بموضع سموه قليسمون
على عشرة أميال جنوباً من ارسينويه التي كان تراكم الرمل على
ساحلها قد أبعدھا عن البحر ولا يعلم كم طال استعمالها بل المعلوم بأنها
تمطلت من عدم الاعتناء بها حتى أصلحها العرب عند استيلائهم
على مصر. وعليها بزمانهم ركب حججاج الافرنج بطريقهم لبيت
المقدس

- (١٠) ولما كانت الاسكندرية أم التزوير الكنائسي فبلا شك أن منها
خرج تركيب وصايا الأسباط الاثني عشر من تلميذ يهودي متصر
فأثار به تنجس المسيحين لتبشيريه بعود المسيح على رأس الألف سنة
واليهود لاشارته بقرب رجوع ملكهم فهاجوا ضد الرومان وأقلعوه
(١١) والأرجح أنه بهذا الزمان أيضاً نشر الشاعر حقيق نشيده الحماسي
باللغة اليونانية بخروج اليهود الأول من مصر كأنه يفرهم بالخروج
منها ثانية، لكن لم يصل إلينا من هذا النشيد سوى بعض مقاطع
(١٢) فوجود مثل هذه التصانيف كان إما نتاج حركة أفكار يهود

ذلك الزمان إلهاً سبباً لها لأننا نراهم بالسنة الثامنة عشرة من هذا العهد هاجمين ضد الاغريق ، وباليتي بعدها عاصين على الرومان . وكانوا بأول الأمر الفئة الأقوى بالقوى فهرب منهم اليونان للاسكندرية لكن لما اجتمع هؤلاء مع إخوانهم بالاسكندرية صاروا هم الحزب الأقوى فوقعوا على اليهود فيها وعاثوا فيهم . ولما انتصر لهم يهود الفيروان تحت قيادة أحدهم لوقواس تفاقم الخطب حتى اضطرّ الامبراطور لارسال جيش جديد وأسطول لمحاربتهم فأصاب منهم عدداً وافراً وهرب الباقون للبراري والقفسار تايهين يتأصّصون

(١٣) فبمثل هذه الحماقات سقط اعتبارهم وضاعت امتيازاتهم بالملكة ومع خراب هيكلهم بأورشليم وقفل هيكلهم الآخر في عينون بأمر وسبازيان أصبحوا أذلاء ، قانطين فالت أفكارهم للتوراة وتأويل النبوات المشيرة إلى زمان إتيان المسيح فتنصر منهم كثيرون إذا عصفت ريح الفنى قصفت أخوا

عناء ولو بالفقر هبت لربّتي

وربما أنهم بهذا الزمان قد كُفّوا ثانية لدفع الجزية التي كان نروى قد عفاهم منها

هدريان سنة ١١٧ م الى ١٣٨

- (١٤) في السنة السادسة من حكم هذا الامبراطور الشيطان نراه زائراً مصر بعد أن كان تفقد أحوال اسقوطلاندا شمالاً راجعاً الاطلاع على أحوال مملكته بروتها . وربما ان الذي دعاه لزيارة مصر كان قتالاً ثار بين أهل منف وهليوبوليس لأجل عجل ادعى فريق منهم بأنه أليس والآخر بأنه مناوس بعد أن كان قد مضى لمصر عدة سنين وليس لها عجل مقدس . وإذ كان هدریان صاعداً بالنيل لزيارة ثيبه سأل المنجمين عن بخته فأجابوه بأنه لا تتم له السعادة حتى يفقد أعز ما عنده وكان نديمه الشاب انطينوس يسمع ذلك فقال اجعلني أن أكون أنا الفداء ورمي بنفسه للماء بالقرب من القرية المسماة بيسه فهلك وحزن الامبراطور لفقده حزناً عظيماً فساد بذلك المكان مدينة تكون تذكراً لمروءته سماها انطينوبوليس وزينها بالمعابد ولم تزل آثارها ظاهرة للآن ازاء هرموبوليس على الضفة الشرقية من النيل وصار الرومان يكرمون تمثال انطينوس كأحد الآلهة ويطعمون له عيداً بالألعاب والسباقات مما كان يستغربه أهل الصعيد بأكرام الآلهة ثم بالسنة السابعة من وفاته ضربوا له تقوداً بالاسكندرية باسم انطينوس الفني
- (١٥) واجتمع الامبراطور بعلماء الاسكندرية وحادثهم وزار ضريح

پويي وأنفق مبلغاً كبيراً على زينة البلد وبنيات جديدة فيها فأكرمه أهلها بأن أبدلوا اسم شهر ديسمبر إلى هدریان ولكن إذ لم تتبّعهم المملكة أعرضوا عنه . ومن العلماء الذين أكرمهم هدریان كان ديونيسيوس استاذ الفاسفة في مليتوس وافسس وبوليمون الخطيب الذي كان يجتال في انحاء المملكة بحاشيته وخدمه على نفقة الدولة للخطابة

(١٦) أما علماء الاسكندرية بهذا الزمان فكان منهم ايسان مؤرخ الفتوحات الرومانية والمنطقي ابولونيوس الذي لنا منه حكاية الراعي الذي يقال بأنه رقد سبعا وخمسين سنة ثم اتبه (١) وحكاية رجل مات وظل شبحة يأتي بيته إلى ان ضجرت امرأته ولم يتركها حتى أحرقت مومته

(١٧) وعاد اليهود بهذا الزمان لعصيانهم فانهم سنة ١٣٠ قاموا بأورشليم ضد واليها تديوس روفوس وحشد لهم يهود مصر والقبروان لكنهم أحفقوا ونكّل بهم

(١٨) ومن الكتابات العديدة على صنم ثيبه العظيم تعلم زيارة هدریان الثانية لها مع زوجته صاينا بالسنة الخامسة عشرة من ملكه وهي سنة ١٣١ التي تقود الاسكندرية تشير إلى دخوله اليها ، وتعلم أسماء

(١) واعلم هذه الحكاية هي المشار اليها بخبر اهل الكهف الوارد بالقرآن أو ان هذا خبره مما زعموا انه حصل بعد هذا الزمان

بعض ولاية مصر الذين لم يذكرهم التاريخ وإلا فإن أسماء الزائرين تكاد تغطي ساقى الصنم ولو أمكنهم للملأوا الثلاثة والخمسين قدماً منه بتفاهاتهم المعتادة أما الصنم المذكور الذي أصله من حجر واحد كان حينئذ مكسوراً ولما رآته الملكة صابينا وراه قبلها استرابو ويوينال وبوزانياس كان نصفه على الأرض وإذ لم تسمع منه الملكة بأول صباح نغمه المشهور تكدرت فبالغد سمعته (١)

(١٩) ومن هذه الكتابات أيضاً عدة آيات باللغة اليونانية ايوليك القديمة التي هي ألطف مخرجاً من الدوريك تؤرخ زيارة هدريان وملكته المدينة كما أننا نجد اشارة لهذه الزيارة بصور من الفسيفسا في البسترينا التي تبعد ليلتين عن روما، تمثل النيل ومساحاً سابجاً فيه وحصان النهر وزهر البشنيين والامبراطور قائماً بجذآء معبد هناك ومناظر من الصعيد والسودان وحيوانات كالزرافة والفهد ووحيد القرن والطير الخرافي فينكس وبرا اسوان الفلكي . والاقربح تسمى الفسيفسا موزاييكا وتزعم بأنها محرقة من اسم موزيوم الاسكندرية حيث وجدوا آثار هذه الصنمة لكن لا يبعد أن يكونوا قد أخذوا هذا الاسم من العرب فيكون محرفاً من مجزّع وهو أصلاً من احجار

(١) قبل انكساره لم يكن له نغم الذي سببه امر طييمي بصادف أحياناً بالصخور المنخورة عند المنجر من الهواء فيها متى سخن فيخرج صافراً

طبيعية أما الآن فأكثره من حجارة مُصطنعة ولها معمل بنفس
النواحي كان قد شهدناه فيه

(٢٠) وها ان سبعين سنة قد مضت الآن على التبشير بالمسيحية من
مرقص الأنجيلي وصار عدد المسيحيين بالاسكندرية كثيراً إلا ان
سالة البلاد اجمالاً لم تتحسن فاننا نرى هدریان يكتب حينئذ
لصديقه سرويانوس ما فخراد

« من هدریان اغسطوس إلى سرويانوس ، سلام . أما بعد
فمصر التي كنت تطنب لي في مديحها أيها العزيز فاني أجد أهلها قومًا
بلا رصانة ولا تمييز فمنهم من يعبد سيراييس ويدعي بأنه مسيحي
ومنهم من هو من كهنة المسيحيين ويكرم سيراييس وليس منهم
كاهن ولا حاخام أو سامري إلا ويعمل بالسحر وكاهن مجبولون
على حب الفتنة والصلف والضعيفة لكنهم أغنياء أصحاب همة وأهل
صناعة يعمل الزجاج والقرطاس والكتان وعندهم حُرَف للعرجان
والعميان والمكتوعين يعبدون إلهًا واحدًا هو لا شيء وها اني قد
أوليتهم كل إحسان وأعدت لهم امتيازاتهم وزدتهم اعلمهم يشكرون
ويحسنون طويتهم »

ونرى على قود السنة السادسة عشرة من هذا العهد صورة
الملكة متكئة على أريكة في مركبها اشارة إلى سفرها من
الاسكندرية

(٢١) وبالزمان الأخير إذ صار سيرايس أعظم آلهة المصريين قابض الأرواح والديان في اليوم الأخير ضعف يقينهم بغيره . ولما سُئل هاتف الغيب عن الإله أجاب « أنا را ، أنا هوروس ، أنا عوزيريس » أو كما تقول الروم « أنا أبولو أنا الرب أنا باخوص » أنا محرّك الساعات ومدبر الفصول مجري الهواء والأعصار ومعيد الليل والنهار أنا رب الأفلاك وأنا النار الأبدية القرار . فمن هذا الاعتقاد نتج اشتباه هدریان بدين القوم . وكان يريد أن يصيف المسيح إلى عداد آلهة الرومان لكنه كان يكره إقامة التماثيل بالمعابد حتى صارت العارية منها تعزى إليه فيما بعد . وكيف كان الأمر ايس من الغريب وجود نزعة من عقائد الأقدمين عند المنتصرين لذلك الزمان

(٢٢) فان المسيحيين الأولين كانوا يهوداً من معاصري الحواريين وحدوا بالمسيح المنتظر تيمناً لدينهم . وأما القبط والافريق فانهم أحالوا الدين لما وافق خرافاتهم الأولى ، وإياهم عنى بولس الرسول بتحذيره تيموتاوس من المناققين . وكان قيرنطوس أول من سعى لتطبيق المسيحية على فلسفة الأقدمين فكان يزعم بأن يسوع هو روح من الأرواح التي يبعثها الأزلي من زمان لزمان لتسوس العالم الأرضي ، وكثيرون يظنون بأن سفر الوحي هو من وضعه لما فيه من المشابهة لهذا المذهب

(٢٣) أما مؤسس المسيحية على المبادئ المصرية فهو باسيليديس القائل

بأن الهدى من الله وان المؤمن مصوم من الخطيئة وان المادة أزلية
 كالفيسولي واغودود هو الإله الواحد ذو سبع صفات يسوس بها
 الكون (ربما هي العقل والكلمة والفكر والحكمة والقدرة والعدل
 والسلام المذكورة بسفر الوحي) وان الشيطان هو إله الشر وكان
 يسمى إله الخير « ابراقاس » لأن معناه لا تؤذي ، ومجموع أعداد
 حروفه يجاوب على عدد أيام السنة ٣٦٥ فكانوا يتبركون بهذا
 الاسم ويكتبونه على احراز يلبسونها للوقاية من الأمراض والهفوات.
 كما ان من وصف المصريين إلههم هوروس بالحنفاء وصف
 القديس امبروز يسوع بالحنفاء الصالحة

(٢٤) ومن معاصري باسيليدس كان قربوقراطيس الاسكندري الزاعم
 بأن النفوس إذا شعرت بصفاتها الإلهية التي لها قبل التجسد تألمت
 وأن يسوع كان ممن أشعر بها ، وكان يقول بأن آداب السلوك غير
 ضرورية . وحلفه ابنه ايفانيس على هذا المذهب وزاد عليه شيئاً من
 الفلسفة الافلاطونية . وبعده ظهر ايزيدوروس بن باسيليدس يعلم
 بمذهب أبيه في هذا العهد . وبالعهد التالي ظهر والتينوس الصعيدي
 المولد الجاعل الإله من ثلاثين اقنوماً . وظهر غيره بمذهب يسمى
 عوفيتا وهو إكرام الحية فقالوا بأنها المسيح أو أعظم منه لأنها أول
 عارف بالخير والشر وكانوا يصنعون أحرازاً بصورتها وباسم يهوه
 أيضاً كما باسم ابراقاس

(٢٥) وكافة هؤلاء القوم كانوا يعتقدون بالسحر والرقى ولهم كتب بالتماويز والخطاب للآلهة والشياطين والاقسام عليها اتجيب غرضهم وكتب أخرى بالتنجيم والفراسة ومكالمة الجمادات مع أن الفراسة علم طبيعي ومكالمة الجمادات من الشعوذة المحضة التي نسيها التكلم من البطر وكتب الرقى إنما أساسها فكان ما نعرفه الآن « بالهينوتيسم » العلم الطبي

(٢٦) ثم اننا إذا نظرنا إلى الدين المصري القديم وجدنا بأنه قد جاز فيه بأن عوزيريس يُقتل وأن يكون مع رآ وهوروس إلهاً واحداً وأن سيكون للبشر فادٍ منهم يوم الحساب

(٢٧) أما الكاتب المسيحي الذي يعتمد عليه بعد المعاصرين للحواريين فهو يوستين اليوناني الأصل السامري المولد الذي درس الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وتنصر عن اقتناع عقلي ثم ذهب لروما مبشراً بالدين الجديد ولأنه أهان الأصنام فيها قتله الامبراطور أنطونيوس بيوس وصار يُعرف بيوستين الشهيد

(٢٨) وكانت العادة قد جرت بأن استاذ الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية يكون أثينياً فكان بالقرب من هذا الزمان استاذها اثيناغوروس، لكنه بعد قليل تنصر وهو ويوستين كانا أول العلماء المنتصرين لذلك الزمان لكنه لما خاطب الامبراطور ماركوس اوريليوس بهذا الدين لم يتجاوز فيه الشهادة بالبهت والتوحيد

و بأن المسيح هو حكمة الخالق وإرادته و بأن المحبة واجبة حتى الأعداء .

ولاعبتُ والناس لم يخلقوا سدى وإن لم تكن أفعالهم بالسيدة
(٢٩) وبعهد هدریان كان ضرب النقود غزيراً وبشكل جديد فان
منها ما كان عليه صورة مركب يدفعه الهواء إشارة إلى قدوم
الامبراطور نصر بالسنة السادسة من جلوسه ، ومنها بالنامنة بصورة
أنطونيوس كأحد الآلهة، ومنها بالحادية عشرة عند تجديد انتخابه لعشر
سنين ثانية ما عليه اسماء بعض جهات مصر والحياة الصالحة والشريرة
وصورة ايزيس ربة العشق وسيرايس ربة الخوف وصورتهما مع
ولدهما هوروس قائماً على نسر بعد أن كانوا يمثلونه برأس نسر فقط

انطونيوس بيوس سنة ١٣٨ م الى ١٦٢

(٣٠) ولما انتقل الملك إلى أنطونيوس بيوس صادف ذلك انتهاء
الألف واربعمئة وستين سنة من دور التعري المائة الكبير (١)
وهي النجم المسمى أيضاً سيريس والكلب الذي يطلع من

(١) أي ان الشهور ترجع فيه الى مدارها الاول وهو ما نسميه الاقربنج
« الامام البلاطونيك » كما نسمي الهوى المصري « العشق البلاطونيك »
أما بخلاف ذلك فالنسبة الى اقلاطون وفلسفته هي « بلاطونيست أو
بلاطونيستان »

جنوب مصر بأبام قليلة قبل فيضان النيل ويبتدئ المصريون ستهم من طلوعه وبدوره هذا ينتظرون رجوع طيرهم الخرافي ويقيمون به فأقاموا لذلك الأفراح وضربوا النقود بصورة هذا الطائر الميمون الذي تسميه اليونان فينيكس المذكور آنفا وفي هذا الزمان كانت مصر بطمان وأمان وفيضان النيل لا ينقص عن ستة عشر ذراعا في منف وهو الحد المرغوب من قبل ستائة سنة بزمان المؤرخ هيرودوتوس ومنه يتضح بأن سطح أرض البلاد لم يرتفع عما كان قبل هذا الزمان الطويل (٣١) ولما شاعت حرفة التنجيم بين الاغريق صارت الاسكندرية تضرب نقودها بصور الابراج . وقرأء اليهود وجدوا بذلك وسيلة لاكتساب المعيشة فتسأهم كن يجلسن بالأسواق ينجمن للناس ويفسرن الأحلام . ومن أوراق وجدت مدفونة مع مومية في ثيبه تفصل طالما تمامه بالدرجة والدقيقة مع أبراج الشمس والقمر والكواكب بذلك الوقت أمكن لنا معرفة زمان هذا الامبراطور تماما بحساب الفلك . ووجد أوراق غيرها تفصل أبراج كل ساعة من هذا الزمان بفاية الدقة والضبط لاستعمال المنجمين

(٣٢) لكن لم ينحصر علم الفلك حينئذ بالتنجيم فان قلود يوس بطايموس الفلكي والجوغرافي كان إذ ذاك زينة مدرسة الاسكندرية واليه ينسب اكتشاف دوران الشمس والقمر والكواكب حوالى الارض من الشرق للغرب مرة بالأربعة والعشرين ساعة ، والحال أن هذا

علم قد عرفه الأقدمون وهو أثبتته بالبراهين فصار ينسب اليه
وبوضعه المجسطي ، دونًا الكسوفات التي عرقتها بابل والاسكندرية
في مدة الثمانمائة سنة قبل زمانه قد أمكن لنا تحديد زمان ملوك بابل
والفرس واليهودية ومصر تحديداً باتناً . وبتفصيله طريقة عمل الكرة
الأرضية ورسم الخارطات يكاد أن يحيط بهذا الفن على ما نعرفه
الآن كما ان افاداته الجوغرافية تفوق بدقتها كل وصف من نوعها
ظهر لذلك الزمان . وكتابه بالانعام هو أحسن ما لدينا من آراء
الأقدمين بهذا الفن

(٣٣) وبهذا الزمان أمر الامبراطور بمساحة السكك العسكرية بالمملكة
وسموا ذلك الدليل الانطونيبي فكانت سكك مصر العسكرية ستاً
أولها من النوبة إلى بابل على طول حافة النيل الشرقية وثانيها من
منف شرقاً إلى هليوبوليس وحي اليهود وقليسمون حيث تمر بترعة
تراجان للبحر الأحمر وثالثها من منف إلى بلوزيوم متصلةً بالثانية
على مسافة ثلاثين ميلاً ثم عند بابل ومفرقة عنها عند شيناوترا نوروم
ورابعها من الصحراء إلى البحر الأحمر عن طريق سيرايون خمسين
ميلاً من قليسمون وهي أقصر من الثانية بنحو مائة ميل تمر بحافة
النيل الغربية عند هيراسيفاميون بالنوبة إلى الاسكندرية منحرفة
عن النيل عند اندروبوليس على بعد ستين ميلاً من الاسكندرية
وخامسها من فلسطين الى الاسكندرية على شاطئ البحر المتوسط

من رافعه إلى بلوزيوم صاعدة براً هرباً من طوفان النيل بتلك
 البقعة ثم لاحقاً بالسكة السالفة عند اندروبوليس وسادسها من
 قبطوس على النيل إلى برانيقه من البحر الأحمر وبينهما عشرة منازل
 أو مانسيه أيضاً فتناقات بين كل منها ليلة أو خمسة وعشرون ميلاً.
 نعم ان سببته كانت آخر حدود مصر الرومانية إلا إن ساطة
 الرومان لم يكن لها فعل فوق هيراسيتاميون ابتعاداً عن مجاورة
 عربان تلك الجهة من أسلاف البشارين وغيرهم أصحاب العيون
 الخفيفة

(٣٤) ومن المؤرخ الريان نعرف كيف كانت أحوال مدن شواطئ
 البحر الأحمر بذلك الزمان والمسافات بينها والسكان فيها وأهمية
 تجارة مصر الداخلية والخارجية إلا ان إذ كانت الأموال الواردة
 لمصر تنقل من يد ليد وبلد لبلد بطريقها من بلاد العرب كان
 الرومان يجهلون مصدرها الهندي والحبشي ويفظنونهم عربياً. فان
 المصريين كانوا يرسلون نسيج الكتان وأواني الزجاج والنحاس
 والصفراء لسك النقود والحديد لعمل السلاح ويستجلبون العاج
 وسن الكركدن والفولاذ الهندي والحرير والعبيد
 وصدف السلحفاة والمرّ والبخور والتوابل وتسميل غايات تجارهم
 في البلاد العربية كانوا يهدون ملوكها الخيل والبراذين وأواني
 الفضة والذهب. ويذكر هذا المؤرخ تجارتهم بالحبوب والزيت

والغند ومراكب الخوص وهي أول مرة عبرنا بها على ذكر القند ومع ذلك يظهر بأنه كان صنفاً قديماً معروفاً، إذ لو يكن حديثاً لكان المؤرخ أشار إليه خاصة

(٣٥) ومن بعض الكتابات على سافي أبي الهول بالقرب من الاهرام نعلم زيارة هذا المؤرخ له وخبراً آخر كنا نجمله وهو وجود الأطباء بجمية الجيش الروماني فان أحدهم المسمى استلييادس الكاتب اسمه هناك يقول بأنه كان طيبب الفيلق الثاني ومن كتابة على قطع من الخزف بقلم رومي ردي بصفة وصلوات بالرسومات على صادرات الحنطة والفول والجزية نعلم بأن الجزية التي كانت ستة عشر درهماً في عهد وسبازيان صارت بعده سبعة عشر درهماً فضة وهي بالنسبة لحال ذلك الوقت تحسب فاحشة إلا أن تكون مضروبة على أرباب البيوت من الرجال فقط

(٣٦) وبهذا الزمان صار بناء معبد بالمرجة الكبيرة للإله عمون اقنيف وفيه تمثال الامبراطور رافعاً قرابته لهذا الإله ولعوزيريس وايزيس وهوروس. وبني أيضاً هذا الامبراطور مسرحاً بالاسكندرية لسباق الخيل، وبابين للمدينة سمي أحدهما المواجه للبحر شمساً والآخر المواجه بحيرة مريوط قرأ، وفتح بينهما طريقاً واسعاً يخترق المدينة عرضاً لكنه لم يكن له ايخلو زمانه من البلابل فان أهالي الاسكندرية أثاروا فتنة فيها وقتلوا الحاكم وينارخوص فاستحقوا عقاب الامبراطور لهم

مارقوس اوريلوس سنة ١٦٢ م الى ١٨١

(٣٧) ثم انتقل الملك إلى مارقوس اوريلوس فضربت الاسكندرية نفودها باسمه، والتي للسنة الخامسة من جلوسه ترى عليها صورة انسان عظيم الجثة متكثاً على تمثال أبي الهول وحاملاً بيده قرناً ملوّه فاكهة وعنباً وحوالي العالج بين يديه ومن فوقه ستة عشر طفلاً تُسمى بلغة الرومان « كُوَيْيد » وكل ذلك رمزاً إلى النيل العظيم وبركته وارتفاعه ستة عشر ذراعاً، وبلغة الرومان « كُوَيْيت ». وكان وسباريان نقل صنماً على هذه الصورة إلى روما وأقامه في قصر السلام بصفة إله النيل . وبالسنة الحادية عشرة من هذا العهد ترى على النقود صورة الإلهة ايزيس قابضة شراعاً تدفعه الريح لجهة المنارة إشارةً لتقدم الامبراطور إلى الاسكندرية

(٣٨) وفي السنة المذكورة انتفض الجند المؤلف من العربان المستأجرة وتفرق في القرى يعيث فيها فزحف القائد اوديوس قاسيوس ضدهم ونكّل بهم وإذ عاد بجيشه منصوراً اعجت الحية برأس الجند فصاحوا باسمه امبراطوراً على المشرق فأذعن لهم ومشى بهم الاستيلاء على سوريا تاركاً ابنه ميقانوس حاكماً على الاسكندرية فاستقبله جيش سوريا بالتصوع لكن إذ بعد قليل جاء الخبر

بزحف مارقوس ضده نكثوا عهدهم معه وقتلوه وقتلت جنود الاسكندرية ابنه وعادت البلاد اطاعة مارقوس (٣٩) وهو بوصوله الاسكندرية أعان عفوهم عما كان، وأكثر ما فعل بأولاد قاسيوس الآخرين فإنه أبعدهم تاركاً لهم نصف ميراثهم وكان يتجول بالمدينة كأحد الأفراد ويزور المعابد ويحضر مجالس العلماء بالموزيوم وأقام تمثاله بالمدينة لابسا الجبة الرومانية لا، الملوكية كسلفائه

(٤٠) وكانت الاسكندرية لم تنزل قطباً معلوم الدنيا بأسرها لا مثيل لمكتبتها ولم تكن بعد قد أُنرت فيها المسيحية بل كانت اشتغال النساخ العديدين بجوار المكتبة، وأكثرهم من البنات، بنقل كتب الأقدمين بالخط الرومي الديواني والنسخي

(٤١) وأكثر كتب هذا الزمان بالخط الديواني كانت على الرق وقليل ما وصل إلينا منها ككتاب مسامرة الالباء، للعالم أثيناوس من نوقراطيس بالقرب من سايس^(١) على حافة النيل الغربية الذي يقول بأنه جمع من ثمانمائة كتاب مختلفة المواضيع. وقاموس واليريرس هر بوقراطيون الاسكندري يفسر فيه كلام خطباء اليونان العشرة.

(١) الان صالحجر

والفتاوي الاثينية ويذكر سير الأشخاص الذين ألمع اليهم الخطباء .
 وكتاب بالعروض يُسمى الانخير يديون من تأليف المنطقي هيفاستيون .
 وكتاب باصطلاحات التعبير والكلام المنحوت بسائر الفنون لذلك
 الزمان تأليف المنطقي يوليوس بولوقس من نوقراطيس أهدها
 للامبراطور قومودوس . ونسج بكتاب من تأليف خيرون معاصر
 بولوقس بأخبار كهنة مصر وتراجم ملوكها لكنه يا للأسف مفقود
 (٤٢) ومن كتب هذا الزمان أيضاً كتاب المحاورات للوقيان كاتب
 أسرار حاكم مصر يُستنتج منه ضعف اعتقاد الجمهور بمذهبهم القديم
 لأننا نراه يتعجراً على السخرية من عبادتهم للبهائم والأباريق ومن
 حزنهم موت العجل ابيس وتصديقهم بالسحر ونسجهم الموميات
 حذاءهم وهم على الطعام كأنها تشاركهم به ووضعها رهينة عند حاجتهم
 للاستراض وحلقهم رؤوس شبانهم إلا ذوابة يرخونها فوق اذنهم
 اليميني كعادة ملوكهم في ثيبه من قبل الفين وخسمائة سنة

(٤٣) لكن لم يتم هذا العهد حتى تواترت الدلائل على انتشار المسيحية
 في مصر وأعظم برهان على ذلك أننا نرى مطران الاسكندرية
 مضطراً لرسم ثلاثة أساقفة لمدن الداخلية. والعلماء الوثنيين أكثر
 اشتغالاً بالتنديد على المذهب الجديد ومن ردة اوريجين على
 اعتراضات أحدهم قلسوس نعلم بأنهم لم ينفوا صحة الحديث الانجيلي ولا
 المعجزات المنسوبة ليسوع لكنهم يعتبرونها من نوع السحر وينكرون

قذامة التوراة زاعمين بأنها منقولة عن مذهب المصريين القديم بالتوحيد ويحتجون بأن علماء اليهود لا يرون بالنبوات ما يشير إلى مجيء المسيح بذلك الزمان ويدعون بأن المذهب المسيحي يثبط الهمم عن الاشتغال بالعلوم وغفراته للخطاة مما يغريهم على المعاصي (٤٤) فلذلك نرى بأن رد اوريجين على هذا التبرير ينحصر بتأويله للنبوات وباستشهاده بسمو آداب المسيحيين وتمسكهم بهذا الدين رغمًا عما أصابهم من الاضطهاد والعذاب، وباستناده على النبوات يبرهن على أن الاختلاف بين اليهود والمسيحيين إنما هو على تأويلها فقط بينما قاسوس يعترض على قصص التوراة برمته وخبر خلق آدم فيها على صورة إله لا صورة له فلو لا ان مجمع نيقيا فيما بعد يضلل ويكفر من خالف تأويله من اليهود لما آل الجدال بين أهل الكتاب إلى التلاعن والعدوان

(٤٥) ومن الحيل المصرية المنكرة كان تفتيق الكتب لأغراض الدين كالنشيد السيليني الذي هو خلاف النشيد الوثني قبله من هذا الاسم والقليمنتينا أو اقرار قلامنس أسقف روما وكلاهما تزوير محض من عمل يهودي متنصر ولا شك لأنه ينكر الوهية يسوع التي كان متمسكاً بها قلامنس رومانوس كل المتمسك

الفصل الخامس

سنة ١٨١ م الى ٢٤٩

قومودوس . پرتينكس . نيجر . سويروس . قارقالا . مقرينوس
الاجاباوس . اسكندر . مقسيمينوس . بليينوس
آل غورديان . فيليب

قومودوس سنة ١٨١ م الى ١٩٤

- (١) ابتدا قومودوس حكه بقتله اولاد قاسيوس الذين كان ابوه قد اکتفى بابعادهم وخلق رأسه إلا دائرة بالوسط اقتداءً بكنية مصر ليجوز له أن يحمل عصا أنوبيس بالاحتفالات الدينية
- (٢) وبزمانه كان الصعيد قد أمسى قایل السكان فقيراً لضعف التجارة مع البحر الاحمر بطريق اسوان وخراب بلاد النوبة
- (٣) لا بل ان تجارة الاسكندرية نفسها كانت قد خفت عن قبل من جراء مزاحمة مدينة قانوبوس على الضفة الغربية من النيل بالقرب من ابو قير لسهولة مدخلها للمراكب الصغيرة وخلوه من صخور

مدخل الاسكندرية فصار مصب النيل هناك يعرف بالمصب القانوني وهي المدينة التي انتقل اليها عدد من الكهنة قبل انتشار المسيحية والفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وفيها كرّس قومودوس هيكلًا اسيراييس وفيها كانت تصنع الجرار القانونية لحفظ أجزاء الجسد التي لا تصلح للتحنيط، رؤوسها من أربعة أشكال، شكل برأس بومه وشكل برأس كلب وشكل برأس أسد وشكل برأس انسان

(٤) ويرى اسم قومودوس بالكتابة الكهنوتية على معبد مدينة قونترالاتو بوايس أيضًا وهو معبد قديم من بناء البطالسة وربما انه لم يكن آخر امبراطور نُقش اسمه على معابد مصر القديمة إلا ان المعابد التي من بناء الاغريق قد انجى أثرها ومعابد الصعيد التي عليها المعول بتاريخ مصر لم يتجدد شيء منها نظراً لفقر الكهنة أولاً، وثانياً لظهور ضعف يقين الجمهور القديم حتى أن القضاة أصبحوا لا يقيمون حكماً للعقائد المصرية، وعدا ذلك لانتشار المسيحية مع ما فيها من اليقين بالبعث ويوم الحساب المطابق للدين القديم

(٥) أما الكهنة فكانوا لا يزالون يفتخرون بعلومهم ويحافظون على تقاليدهم وشرائعهم فكان كل منهم يحفظ عن ظهر قلبه الكتاب المختص بوظيفته من وصايا الإله طوط وهو مركور اليونان وعطارد العرب وبتطوافاتهم الاحتفالية كان المنشد بينهم يتقدم الكل حاملاً

آلات الموسيقى ويلبسه المنجم حاملاً ساعة الرمل وغصن النخل المرموز به عن السنة وبعده يأتي المنشي حاملاً طوماراً وشاكلاً دواة ثم الحاجب حاملاً عصا التريفة وائناء الضحية وأخيراً يكون الكاهن رئيس المعبد وكليم الآلهة فهو لاء الأربعة أصناف من الكهنة كانوا يحفظون عن ظهر قلبهم ستة وثلاثين كتاباً من هذه القوانين وكان صنف خامس منهم أطباء يسمونهم بستوفوري يحفظون ستة من الكتب الباقية ومن وظائفهم حمل الصنم بهذا الطواف . ومجموع هذه الكتب كان عندهم كالتوراة عند اليهود والإنجيل عند المسيحيين

(٦) ولكننا رغمًا عن ذلك نراهم بهذا الزمان قد أصبحوا يلتسبون عذراً لعبادتهم الأصنام والبهائم بأنها بظواهرها الحسي أكثر تأثيراً على عقول العامة وأما الباطن منها فسرّه في صدور العلماء وهو أن الألوهية الخالق غير منظور وغير محسوس وهذا عين ما نقله عنهم افلاطون بعد ما أتى هليوبوليس لدرس علومهم وما هيأ الأفكار لقبول المذهب الناصري أولاً ثم إلى مسخه مصرياً

(٧) وكان بالاسكندرية معبد مشاد من أربعمائة سنة أي في عهد فيلادلفوس مكرساً لقيريس وبروزرين الإلهتين الخرافيتين كدير للعذارى الطاهرات اللواتي كنّ بالأعياد يطفن شوارع المدينة حاملات سلة مقدّسة فشاع بهذا الزمان أن ما يحملنه ضمن السلة لم

يكن إلا الحية علة الخطية الأولى والموت وإن طهارتهم غير صحيحة
فسقط اعتبار هذا الدير

(٨) فبانحلال عرى الدين القديم على هذا المنوال لم يبق للناس ما يجمع
كلتهم أو من إله يستجيب أدعيتهم فلما سمعوا بالإنجيل ومعناه
«البشرى» بادروا اليه وترجوا منه أحد الأناجيل الأربعة بصورة لم
تكن اليونان تعتبرها ولم تصل إلينا لنحكم بها لأنها ضاعت بعد
انتشار ترجمة الكتاب برمه للغة القبطية

(٩) ومن هذا الحين ابتدأ الانقسام والخلاف بين المسيحيين وذلك
لأن أمزجة القبط أهل الصعيد نسل عباد ثيه الوريين كانت غير
أمزجة الاغريق المرآخي نسل عباد قيريس و بروزر بين أو برسوفين
فالولئك تعبدوا وتقشفوا ونسكوا وقالوا حاشا للمسيح أن يصاب بل
شبه ذلك للناظرين وأن الله رفعه اليه سالماً حياً وأولاً وأوا بالدين
الجديد ما يشهد قريحتهم على الفلاسفة فقالوا بخلاف ما قاله القبط
وعُدَّ هذا الاختلاف بينهم كفرآ من الطرفين

(١٠) ومن ترجمة الإنجيل للغة القبطية كان ابتداء استعمال الحروف
اليونانية فيها فصارت من الشمال لليمين خلافاً لباقي لغات المشرق
إلا أن القبط زادوا على الحروف اليونانية ست صور من لغتهم
فصارت كلها ثلاثين حرفاً وتلك الصور التي لم يكن لها مخارج يونانية
هي ϣ ϥ ϧ ϩ أي ش ف ك ح خ ص ومن ذلك

- الوقت لم يعد استعمال لكتابة الكهنوتية سوى بالمعابد الوثنية
- (١١) وبهذا الزمان كان الفيلسوف المسيحي بنطانوس الأثيني الذي
 حذى حذو اثيناغوروس وأسس مدرسة الفقه المسيحي بالاسكندرية
 التي خرج منها بعده بهذا القرن مشاهير العلماء المسيحيين . إنما إذ
 تكاثرت عدد المنتصرين بأواخر القرن التالي وجمع أخلاط الناس صار
 العلم بنظر هذا الجمهور كالكفر والزندقة ، والجهالة جلباب المؤمنين
 وكان بنطانوس أول مبشر بالحنثشة بالمسيح ويقال بأنه أحضر معه
 للاسكندرية نسخة عبرية من انجيل الحواري متى عثر عليها عند
 أحد اليهود المنتصرين الذين عرفهم بأسفاره لكنها لا أثر لها الان
 فلموجود من ترجمتها اليونانية لا سبيل للانتقاد على صحته
- (١٢) ومن معاصري هذا الاستاذ كان العالم اقليمس الاسكندري
 وقد خلفته برئاسة المدرسة المذكورة وربما انه كان أول من فسر
 الكتابة الكهنوتية بالكلام اليوناني بوجه يقرب من الاكتشافات
 الحديثة . وله تأليف كثيرة لا يأنف فيها من الاستشهاد بأقوال
 افلاطون وهذا الصنف من العلماء هو ما تسميه الافرنج اقلقتيق
 والعرب التصوف إذ إن الاعتبار فيه إلى حسن السلوك وصفاء
 الجنان وحصر الجدال بالأعمال لا الأقوال لأن العمل هو نتيجة
 العقل والجوهر أما القول فنتيجة الحس والعرض

برتينكس سنة ١٩٤ م وييجر سنة ١٩٤ م الى ١٩٦ م

(١٣) وقتل قومودوس خنأفه برتينكس على كرسي روما ولا أثر له في مصر إلا بالنقود لأنه لم يعيش سوى ثلاثة أشهر

(١٤) وكان قومودوس قد استعمل قائداً يدعى بشينيوس نيجر أي الأسود المحافظة على الصعيد من تعدي العربان الذين كانوا يسمونهم شرقيين^(١) وكان هذا الرجل عاقلاً حازماً ساهراً على القيام بوظيفته يشارك أنفاره بأعمالهم الزراعية ويمنعهم من شرب المسكرات حتى انه لما حامية اسوان سأله يوماً أن يدها بنيء من الخمر أجابها بأن ماء النيل يكفيها وكذلك لما كانت موقعة مع العربان انهزمت فيها جنوده وشكت من عدم وجود الخمر عندها قال لها مة فان العرب لم يكن لهم خمر أيضاً

(١٥) فلما مات برتينكس كان الاسود واليا على سورية فرفض مبايعة سبثيموس سويروس وأعلن نفسه امبراطوراً وبايعته جنود مصر فحشد جنوده ومشى بها لمحاربة خصمه سويروس في بانونيا من بلاد النمسا الحديثة فالتقى الجيشان في ميزيا على الساحل الجنوبي من بحر مرمر وقتل الاسود في مدينة قيزيقس التي العرب أخرجتها سنة ٦٧٥ م ومحت أثرها وهي مدينة قديمة كانت على لسان من بحر مرمر

(١) سرايزن بلغات أوروبا لا تينيته سراين

سبثيموس سويروس سنة ١٩٦ م الى ٢١١

(١٦) ولما مات الاسود آتى سويروس زائراً مصر واهرامها وبيته
ومعابدها وضحك من عبادة سيراييس والبهائم فيها ومنح الاسكندرية
استقلالها الاداري لأنه لم يعد يحسب للاغريق حساباً يقلقه بعد
انكسار شوكتهم وبنى فيها معبداً للإلهة الارض رحيا اليونان
واوڤس الرومان وجماعاً سماه باسمه

(١٧) وبهذا الزمان هاجر الاستاذ بروقلوس من نوقراتيس لعدم الراحة
فيها من تقلب الأحكام قاصداً اثينا حيث أقام مدرسته وكان
يأخذ من الطلبة مائة درهم أي نحو أربع ليرات انكليزية من عملتنا
الدارجة مرة واحدة على تعاليمه وبانتقال هذا الاستاذ من البلد
المذكور مسقط رأس اثينايس ويوليوس بواقس أقل نجم العلوم فيها

(١٨) والمؤرخ الوثني اسبارطيانوس يقول بأن سويروس حرّم على
الناس مذاهب اليهود والمسيحيين وأما المؤرخ المسيحي عوزيبوس
فيقول بأن اضطهاد المسيحيين بالسنة العاشرة من هذا العهد قد
كان فظيماً جداً في كل انحاء المملكة وفيها استشهد بالاسكندرية
ليونيدس تاركا سبعة أولاد أكبرهم كان اوريجين الشهير فيما بعد.
إذ ان الله سبحانه سخر له امرأة غنية ربه وعلمته فاشأ نابغة زمانه
علماً باللغة العبرية التي لم يكن يوناني يلتفت اليها وتمكن من قراءة

- التوراة بلغتها الأصلية وذلك في مدرسة اقليمنس
ومهما كان من الحديتين فاننا نعلم بأن الوثنيين لم يكرهوا اليهود
والمسيحيين عن غير دينية بل مجرداً عن أمر سياسي كانوا يخافون
معه من عصبية اليهود ودعوى المسيحية للمساواة بين الناس
- (١٩) فقال حينئذ ترطوليان القرطاجني ان الامبراطور يرضى من عبادة
المصريين للبهائم ويغضب من عبادتهم لآله غير منظور، ولما أغلقت
مدرسة الاسكندرية ظل اوريجين يعظ بالدين سرّاً إلى أن
انقرجت الازمة فعُين رئيساً للمدرسة بأمر المطران ديميتريوس ثم
اختلف معه واستعفى من وظيفته
- (٢٠) فخلفه بالمدرسة الاستاذ هيراقلاس وبزمانه ابتداء اقدم الاجانب
للاسكندرية لدرس هذا الدين ومن جملتهم كان يوليوس الافريقي
آتياً من فلسطين ليأخذ دينه عن الاسكندرية بدلاً من الجليل
وانطاكية وهو الذي وضع تاريخه المسيحي مستنداً فيه على تاريخ
مصر لمانيطو وكلاهما مفقود الآن ولولا نقل عوزيبوس عن الافريقي
لما عرفنا عنه شيئاً ولا عن مانيطو
- (٢١) وبرهاناً على فقر مصر بهذا الزمان هو أن النقيود التي ضربت
بالاسكندرية بعهد سويروس كانت كلها من النحاس أو مطلية فضة

قراقلا سنة ٢١١ م الى ٢١٢

(٢٢) ولما مات سويروس خلفه ابنه قراقلاً وجيكا لكن بوصولها لروما قتل قراقلاً أخاه واستبدت بالملك وحده وكان قصيراً ضئيلاً وكان اليونان بالاسكندرية قد عرفوا سوء خلقه وبلغه بأنهم قد هجوه فلما كان بانطاكية بعث يخبر أهل الاسكندرية بأنه سيأتي لزيارتهم وليستشير الإله سيرابيس بأموره

(٢٣) فاستعد القوم لاستقباله باللباقة والأكرام وهيئوا الهياكل لقرايينه وبوصوله للبلد دخلها بين المشاعيل والمصاييح والزينة والأنعام الموسيقية والروائح العطرية والزهور المنثورة وبعد أخذه الراحة قدّم ذبيحته بمعبد سيرابيس وزار ضريح الاسكندر وخلع عليه منطقتيه الملوكية وزناره المحلى بالجواهر وخواتمه الثمينة فعجب الناس من خشوعه وتقواه وتعشموا خيراً

(٢٤) وإذا كانت المدينة غاصة بالمتفرجين وزاهية بالملاعب والأفراح ايلاً ونهاراً أمر الامبراطور بأن يجمعوا له شبان الاغريق بفسحة في ظاهر البلد ليستعرضهم وينتخب منهم فيلقاً وطنياً لها، فخرجت الوف منهم واصطفت لاستعراضه يحفهم جمهور من أقارب وأصدقاء أتين للفرح معهم بهذا الامتياز فمشى الامبراطور بين الصفوف والجموع تهتف له بالنصر والبقاء بينما جنوده الرومانية تحيط بهؤلاء الشبان

عن بعيد ثم بدأت تتقدم رويداً رويداً إلى أن دنت منهم وأتمت الحلقة عليهم فانسلت قراقلاً من بينهم وباعطائه اشارة للجند صوبوا حرابهم نحوهم وصدموهم صدمة من لا يخشى قودا وأعمالوا سيوفهم بهم حتى صبغ الدم وجه الشاطيء وامتلأ قعر البحر من الفارين وعاد قراقلاً لانطاكية مشتفياً من اغريق الاسكندرية . ولكونهم عدلوه على قتله أخيه وضع سيفه الذي قتل به أخاه قرباناً على هيكل سيراييس وأمر بتسكير مراسح العابهم وقطع عنهم هدية الطعام المعينة لهم من الخراج ومدت سوراً وسط المدينة يقطعها نصفين لزيادة تحصينها منهم إذ أصبحوا هم الأعداء والتبطل الأصدقاء ومن أعضاء مجلس روما يدين الامبراطور بدينهم ويشيد معبد الإلهتهم ايزيس في وسط روما

مقرينوس سنة ٢١٧ م الى ٢١٨

والاجابولوس سنة ٢١٨ م الى ٢٢٢

(٢٥) ثم إذ كان قراقلاً زاحقاً ضد الأكراد قتله أحد الجند ، يقال بدسياسة من رئيس جنوده مقرينوس ، فأعان هذا نفسه حينئذ امبراطوراً وطار الخبر لمصر فضربت تقودها باسمه ولكنها بعد شهرين انتقض عليه الجند وقتله ، ويقال بأن ساعة هبطت عند

موت قراقلا على هيكل سيراييس ولم تضر منه شيئاً سوى سيف
قراقلا الذي كان هناك فاذا به

(٢٦) ولما مات مقرينوس بايعت جنود سورية باسيانوس بن قراقلا
وأخذت له بيعة مصر وأخذ هو لقب الاجابولوس أي كاهن معبد إله
الشمس الفيثيقي الأجل وحكم في روما إلى أن انتقض عليه الجند
وقتل سنة ٢٢٢ وفي مدته أفرغت أنابر روما من خراج مصر المخزن
فيها وتعطل ما كان يراد من اقتصاد سلفه

اسكندر سنة ٢٢٢ م الى ٢٣٥

(٢٧) ولما مات الاجابولوس غير مأسوف عليه، خلفه اسكندر سويروس
وكان شاباً لطيفاً سليماً فاستهان به اليونان ولقبوه بالسوري والكاهن
والحاخام

(٢٨) وبهذا الزمان اشتهر الاستاذ الافلاطوني عمونيوس سقاس
بغزارة علمه وعقله وصار تعليمه يُعرف بالافلاطونية الجديدة لكنه لم
يترك لنا من كلامه شيئاً فحکم به سوى شهادة تلامذته بلوتينوس
وحيرينوس واوريجين الافلاطوني ولونجينوس الذين أخذوا عنه
أجمل الصفات . ومن مدارسهم خرج فيما بعد اولئك اليهود
الافلاطينيون الذين كادوا أن يدعوا مسيحيين لولا ان مجمع نيقيا
يلعن اليهود وينقرهم من الاتساب لهذا المذهب

(٢٩) وأفضل علماء هذا الوقت كان اوريجين المسيحي السالف الذكر لكن لانكاره العذاب المؤبد والصلاة ليسوع أغضب أسقفه وتخلّى عن رئاسة المدرسة لتلميذه هيراقلاص وهاجر للقيصرية سنة ٢٣١ ومنها انتقل إلى صور حيث أكرمه السوريون وكان يدحض مذهب مرقيون الذي اختلط بالقرن السادس بالمشهد الماتويي وهو أن إله الخير نور وإله الشر ظلام وفيه يقول المتنبّي، اجنأ :
وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن الماتوية تكذب
(٣٠) وبعد قليل مات المطران وانتخب هيراقلاص لهذا المنصب وهو لما رأى ثقل الوظيفة من عظم انتشار المسيحية في مصر باشر برسم عشرين أسقفًا جديدًا لمدن البلاد فصار هو أكبرهم فلقبوه بالبابا أي الأب الأكبر

(٣١) واشتهر بهذا الزمان أيضًا من علماء الوثنيين هيروديان صاحب تاريخ روما من عهد ماركوس اوريليوس وهو زمان قات مؤرخوه .
ولوالده ابولونيوس قبله تأليف عديدة بعلم المنطق

غورديان سنة ٢٣٨ م الى ٢٤٣

(٣٢) ومات اسكندر سويروس تاركًا ايتاليا عرضة لمطامع القواد فدام التنارع بينهم لسنة ٢٣٨ حيث استقر الامر لغورديان بيوس حفيد غورديان حاكم قرطاجنه . فترى تقود الاسكندرية للسنة ٢٣٧ باسم

مقسيمين وباسم ابنه مقسيموس وباسم اثنين من آل غوردريان
لسنة ٢٣٨ وباسم مقسيمين ومقسيموس وبلينوس وبونابينوس
نيوس وغوردريان لسنة ٢٣٩

(٣٣) ولأن الفرس رأوا تضعضع المملكة الرومانية بهذا الزمان ابتدأوا
بالتسلي على أملاكها الشرقية فزحف غوردريان ضدهم موقنا بالنصر
حسبما تعوده الرومان من قبل لكننا فاته بأن جنوده كأخصامه كانوا
غير اولئك الذين عرفناهم قديماً ، فلاقى من جنود الفرس والعرب
والسوريين أنصارهم المجربين ما لم يكن بالحسبان فانهزم من وجههم
ويقال بأن قائد جيشه فيلبوس قتله . ولم يمض زمان بعد ذلك حتى
خرجت مصر وباقي البلاد الشرقية من يد الرومان ليد الفرس
وكان الفيلسوف باوتينوس قد ترك مدرسة الاسكندرية ذاهباً بجمعة
الجيش الروماني ليدخل بلاد فارس ويكتشف على علومهم لكنه لما
رأى قتل الرومان نجى بنفسه إلى إنطاكية بعد مشقة عظيمة ومنها
انتقل إلى روما حيث أخذ بتدريس الفلسفة الافلاطونية

فيلبوس سنة ٢٤٣ م الى ٣٤٩

(٣٤) وآل الحكم إلى فيلبوس فضربت الاسكندرية تقودها باسمه
وكان أصله عربياً من بصره ويذهب البعض إلى أنه كان مسيحياً
ولما لم تطمه أهل الدانوب أرسل عليهم القائد ديقوس ، لكن هذا

انتقض عليه سنة ٢٤٩ وأعان نفسه امبراطوراً فمضى فيلبوس ضده
وتلاقيا بالقرب من ويرونا على بعد اثنين وسبعين ميلاً من وينييس
فانكسر فيلبوس وانتقض عليه جنده فذبحوه واستقر الملك لخصمه

الفصل السادس

سنة ٢٤٩ م الى ٣٢٣

ديقيوس . غالوس . واليريان . غليانوس (عصيان)
 فلوديوس . اوريليان (عصيان) طاقيطوس . يروبوس
 (عصيان) قاروس . ديوقليتيان . (عصيان الكبير)
 غاليريوس . ليقينيوس

ديقيوس سنة ٢٤٩ م الى ٢٥١

- (١) وكان اضطهاد المسيحيين مستمراً لهذا الزمان لا لغيره دينية بل كما قلنا قبلاً لغرض سياسي وهو الخوف من أن المسيحية بدعواها إلى المساواة تنقض سيادة الرومان والاغريق على الشرقيين فكانت بنظرهم مزعجة للأحكام ومحركة للعصيان كالكومونيسم بهذا الزمان .
- (٢) فلما تواترت السعيات بهم لحاكم الاسكندرية اميليانوس بحجة إفسادهم أخلاق المصريين أخذ باضطهادهم فهرب منهم كثيرون للصحراء وطور سيناء حيث صاروا غنيمة باردة للعربان ولكن

أكثرهم أنكروا دينهم ايتخلصوا من العذاب وكان من جملة
 الفارين ديونيسيوس أسقف الاسكندرية. ثم ان اميليانوس مات
 فعاد الأسقف لكرسيه ولما ذاك الجمهور الذي أخفى دينه أراد
 الرجوع للكنيسة وقبل الأسقف توبتهم، اعترض عليه بعض
 المسيحيين البعيدين عن الاسكندرية وجورحا كها وشكوه لأسقف
 روما فشد هذا أساقفة المئة ليفتوا بالخلاف فحكوا لديونيسيوس
 مصوبين رأيه

(٣) وكان ديونيسيوس خلفاً لهيراقلاص برئاسة المدرسة أولاً ثم
 بالاسقفية ومن كتبه العديدة نفهم مذهبه بالتثليث ردًا على من
 ذهب إلى أن الأقانيم هي ثمانية ومن قال انها ثلاثون وعلى مذهب
 يولس أسقف ساموسطا على الفرات بأن الكلمة والروح القدس
 هما صفتان لفعل صادر من الأزلي لا اقنومان مميزان عنه. ومذهب
 سايلوريوس أسقف بطليمائيس بالقرب من القيروان بأن الإله واحد
 أحد وهو نفسه الظاهر بصورة يسوع .

واليريان سنة ٢٥٣ م الى ٢٦٠

(٤) وخلف ديقيوس غالوس وهذا خلفه اميلوس اميليانوس. ثم انتقل
 الملك إلى واليريان سنة ٢٥٣ لكن تمادي هذه الانقلابات السياسية
 من عهد سويروس للآن مما نتج منها من القلق والاضطهاد لم

يكن لترك غير تأثير سيء على حالة مصر الاقتصادية فاننا نرى
حركة تجارتها وصناعتها قد توقفت وعمالها افتقرت وجاعت واجتحف
الوباء نصف سكانها

- (٥) وكان القسم الشرقي من مملكة الرومان متروكاً بالسنين الاخيرة
لعهد اوديناطوس السوري ملك تدمر الذي بحكمته وحسن تدبيره
رفع شطره بمدة قصيرة لدرجة المالك العظيم ووقى البلاد من تعدي
الفرس، فلما آل الحكم إلى غليانوس بن واليريان وكان منهمكاً
بلذاته وشهوته لم يرَ بدءاً من اتخاذ اوديناطوس شريكاً له في الملك
(٦) لاسيا وان الخبر بموت واليريان على يد سابور ملك الفرس
كان قد زعزع أركان المملكة وصارت كل ولاية تباع حاكماً.
فجنود سورية بايعت قائدها مقرينوس امبراطوراً على المشرق
وتبعها جنود مصر، وكان شيخاً كبير السن فأشرك ابنه مقرينوس
الأصغر وقينيوس معه بالملك. وضربت الاسكندرية نقودها باسمائهم
مدة سنتين من الزمان لكنهم قتلوا ثلاثهم لما آتى دوميتيانوس
قائداً جيوش اوريليوس امبراطور الباقان وطرق سورية بمساعدة
جيوش اوديناطوس

غليانوس سنة ٢٦٠ م الى ٢٦٨

- (٧) وعند موت واليريان خلفه ابنه غليانوس على كرسي روما. وكان

حينئذ حاكم الاسكندرية اميليانوس، فيوماً ما ضربت الجنود خادماً له يونانياً لأنه قال لهم بأن حذاءه أحسن من أحذيتهم فتجمهر الاغريق حوالى قصره يشتكون من تمدي الجند ورشقوا نوافذه بالحجارة لكنه لم يعبأ بهم بل استدعى الجند لكفهم فسمت الجند بالاغريق وصاح باسم الحاكم امبراطوراً

(٨) وبايعته بقية جنود مصر فأعلن نفسه امبراطوراً باسم اسكندر وأظهر حزمًا فائقًا بسياسة البلاد وأراح ثيبه من تسطي العربان وقطع الخراج عن روما لكن بعد قليل حضر القائد تيودوتوس بجنود غليانوس وحاصره بالبروخيوم إلى أن ظفر به فأماتته خنقًا

(٩) وكان هذا الحصار طويلاً بذل باثناثة رؤساء المسيحيين وسمهم لتخفيف بلايا الحرب فعلى طلبهم أذن تيودوتوس لغير المحاربين بالخروج من البروخيوم وكان أحدهم عوزيبوس الذي صار فيما بعد أسقفًا على انطاكية، يتجول بالخنادق لانعاثة الجرحى، وأحدهم أناطوليوس يسعى داخل الحصن بالصلح حقًا للدماء

(١٠) وكان واليريان قد أظهر أولاً رفقته بالمسيحيين إلى أن لوته حماقة الاغريق عن عزمه فعاد إلى اضطهادهم، أما غليانوس فإنه لشعوره بضعف المملكة حينئذ ونظره كثرة المسيحيين والاعتبار الذي لهم بالبلاد رأى الترفق بهم أولى فأكرم أساقفتهم كرؤساء دينيين

محترمين من الدولة فتحسنت إذ ذاك حالة المسيحيين لدرجة لم تعهد
من قبل

(١١) وعاد الأسقف ديونيسيوس لكرسيه فرأى الاسكندرية كالرجة
من أثر الحصار والطرقات مملوءة من جنث ضحايا الجوع والوباء
رغمًا عن اهتمام المسيحيين بدفن الموتى وعبادة المصابين غير مهالين
بالعدوى التي ذهبت بكثيرين منهم ضحية مروءتهم وتقواهم

(١٢) ولقصر مدة مقرينوس واميليانوس واضطراب الاسكندرية لم
تضرب بها نقود باسم أحد منهما بل ظلت باسم غليانوس كشيريك
والده أولاً ثم كاهن ابراطور واوديناطوس شريكاً له

(١٣) وبإثناء هذه الحوادث تفتقرت مدارس الاسكندرية من
مسيحية وغيرها علماء وعملاً ما عدا مدرسة أناطوليوس المذكور
بحصار البروخيوم الذي كان يميل إلى فلسفة اريسطو وله كتابات
في الرياضيات وميعاد الفصح وصار فيما بعد أسقفًا على انطاكية بعد
عوزيبوس فانها كانت محط هذه الفلسفة بينما عمونيوس الوثني كان
يفضل فلسفة افلاطون (١)

(١٤) وبهذا الوقت كتب نيقوس أحد أساقفة مصر ردّه على قول
الزاعمين بأن لقصاص التوراة رموزاً روحانية واستشهد بكتاب الوحي

(١) والفرق بينهما ان اريسطو كان دهرانياً وافلاطون الهيئياً

فأجابة رئيس الأساقفة ديونيسيوس بأن كتاب الوحي المنسوب إلى
الحواري يوحنا ليس له فلا يُستشهد به، على أن كثيرين يعزونه إلى
قيرنطوس الغنوسطي^(١) لما فيه من المشابهة لأقواله وتوفي ديونيسيوس
سنة ٢٦٥ وللكبر سنه لم يحضر مجمع انطاكية الذي حكم على بولس
من ساء وسطه بالكفر

(١٥) ومن علماء هذا الزمان الوثنيين كان الاستاذ بورفيري الافلاطوني
تلميذ بلوتينوس وخائف عمونيوس له تاريخ مفيد جداً عن زمان
البعثالة، وغيره بالفلسفة المصرية وكتب طوط ونفاسها وكتاب في
الطريق المؤدي للسعادة الحقيقية

(١٦) ولما كان اوديناطوس بقيد الحياة كانت هيئته ساطية على
الفرس أعداء الرومان لكنه إذ قتل غيلة مع ابنه هيرودوس
سنة ٢٦٦ واستلمت أرملته زينوياً زمام الملك فقدت المملكة حسن
تديره ورأيه فلم تستقم الامور بين الملكة وغليانوس ولما أرسل
جنوده ضدها هزمتهم، وإذ مات هو سنة ٢٦٨ زحفت على مصر
مدعية أنها من نسل قلاو فطرا وان البلاد إرث لها ولولائها
هيرينوس وتيمولاوس

(١٧) فكان أمير جيشها زبده وانضم إليه القائد المصري تيموجين

(١) غنوسطيني هو ما نسميه «العارف بالله» وضده الغنوسطي
أي الكافر

ومعها من العرب والسوريين سبعون ألفاً فلاقاهم القائد الروماني بروباتوس بخمسين ألف وهزمهم لكنه باثنا عشر القتال رأى بعض جنوده ترتد فظن بأنها تهرب من العدو ولعظم تأثره من جبايتها قتل نفسه

قلوديوس سنة ٢٦٨ م الى ٢٧٠

(١٨) فاقادت مصر حينئذ لرأي روما وبايعت قلوديوس وضربت الاسكندرية نقودها باسمه

زينوبيا سنة ٢٧٠

(١٩) ومات قلوديوس سنة ٢٧٠ وخلفه أخوه قنطياوس لكن هذا مات أيضاً بعد سبعة عشر يوماً فاغتتمت زينوبيا هذه الفرصة وزحفت ثانية على مصر وامتلكتها فضربت الاسكندرية النقود باسمها وازدانت تدمر بسلب مصر ولم تزل ترى فيها ثمانية أساطين من رخام مصر السماقي طول كل منها ثلاثون قدماً كانت قديماً قائمة امام بابي معبدها الكبير

(٢٠) وكانت زينوبيا امرأةً جميلة المنظر سمراء عيناؤه قنواء الانف لها صوت كصوت الرجال تقيه العرض لا كنسيتها قلاو فطرا وكانت تتكلم بلغة الرومان ولغة الاغريق التي كانت لغة دولتها الرسمية ولغة

القبط عدا لغتها السريانية، وكانت يميشتها وبلاطها تجمع بين عظمة
ملوك الفرس واقتصاد البداوة، فمثلها امرأة ومثل حزمها جعل الناس
بذلك الزمان أن يعجبوا من رجل كغليانوس ضعيف العزم وامرأة
تسوس نصف المملكة بمزم وحزم الأبطال

(٢١) وجعلت زينوبيا انطاكية وبميرا عاصمتي مملكتها، احدهما لنقام
الصيف والأخرى لنقام الشتاء وتركت مصر ولاية تابعة لمملكتها
وكان دينها كلفتها سوريا صابئاً، فان اسم زوجها معناه بنية الالهة
ادونيظ واسم ابنها وبعلاطوس معناه بنية الإله بعل، وبما أن الكثير
من جيشها كان من العرب افتخرت بانتصارهم عربان الصعيد
وأصبحت أصعب انقياداً للاخريق وأعلى أنفياً

اوريليان سنة ٢٧٠ م الى ٢٢٥

(٢٢) لكن يجلس اوريليان على كرسي روما نراه أولاً راضياً أن تكون
زينوبيا شريكة له بالملك فضربت الاسكندرية تقودها بصورته
من جسة وصورتها من الجهة الأخرى لكنه ما لبث قليلاً حتى
اختلف معها فخاربهما بمحص وأسرهما وحملها إلى روما مكرماً مشواها
إلى أن ماتت بعد أن كانت الملكة أربع سنين في تدمر وبضع
أشهر في مصر

(٢٣) وترك اوريليان مصر لحكم ابنها وبعلاطوس وضربت

الاسكندرية تقودها بتلك السنة بصورة اوريليان من جهة لأول سنة من جلوسه وصورة وبملاطوس من الجهة الأخرى للسنة الرابعة من ملكه كانه يعد سني ملكه من موت أبيه . أما اسمه عند اليونان فهو أثينودوروس والتاريخ لا يذكر لنا قبل الآن ولداً بهذا الاسم لاوديناطوس

(٢٤) ولما كانت سنة ٢٧١ استبد وبملاطوس بالملك وأسقط اسم اوريليان من تقود مصر وأخذ لقب اغسطوس فكان ذلك سبباً لسقوطه وموته وبه انقرض نسل زينويا بالشرق

(٢٥) وعادت مصر لحكم اوريليان لكنهما لما كانت قد اعتادت على العصيان لم ترضخ لسلطته طويلاً لا سيما وأن اليونان كانوا قد قلوا وذلوا والمصريين والعرب قد زادوا وعزّوا بانتصار زينويا فأنفوا أن يحكمهم غريب عنهم فبايعوا رجلاً من سلفكيه يُسمى فرموس على الأمانة وهو اتكالا على قوم كان قد مضى عليهم ستمائة سنة بالعبودية والهوان طمع أن ينال بهم سلطنة الاسكندرية

(٢٦) وكان فرموس رجلاً قوي الجأش هماماً عظيم الثروة من وراء تجارة واسعة مع الهند وصناعة الورق ، وداره في سلفكيه من أجل دور ذلك الزمان مزينة كواتها بالزجاج الملون المحكم التركيب بالحمر إلا أنه كان فظاً جافياً غليظاً وكانت قوته بعربان الصعيد والبدو أنصار زينويا فجعل عاصمته قبطوس ولما جاء أوريليان يحاربه خاض

المعممة مع رجاله لكنه أخذ أسيراً وتفرقت جنوده فأمر اوريليان بتعذيبه وقلته ، ولأن روما كانت بوجل لثلاث يفتوها خراج مصر من الحبوب بعث لها اوريليان بشائر انتصاره بسرعة اتطمان

(٢٧) ويظهر من تاريخ الرومان بأن اوريليان قتل قائداً في مصر يسمى دوميتيانوس أما وجود البعض من نقود الاسكندرية باسم دوميتيانوس للسنة الثالثة من ملكه فلا علم لنا من هو إلا أن يكون رجلاً آخر بهذا الاسم لاسيما وان كتابة هذه النقود هي بالحرف اللاتيني الذي لم يكن دارجاً بالاسكندرية بذاك الزمان ، والنقود التي باسم اوريليان ترى غير منقطعة سنة بعد سنة من موت قلوديوس لسنة ٢٧٥ وكلها من النحاس تبرهن عن افتقار البلاد التي كانت روما لا تنفك عن استنزاف ثروتها

(٢٨) وأقام اوريليان القائد پروبوس حاكماً على مصر وكان رجلاً حازماً هابه الافريقيون بالقيروان والعرب والسوريون بتدمير وبأوان السلم كان يشغل جنوده بترميم الترع والقناطر والمعابد . وفي مدة ولايته زاد اوريليان نصف السدس بخراج الحبوب عدا عما زاده بخراج الزجاج والقرطاس والكتان حتى انه اضطر لزيادة المراكب لنقلها الى روما

(٢٩) أما المسيحيون فكانوا بهذا الزمان يأتم الراحة والعلمان حتى ان البطريرك نيروتجاسر على بناء كنيسة بالاسكندرية باسم القديسة

مريم وربما انها كانت أول كنيسة رسمية بُنيت في مصر وكانت
الصلوة فيها كما في سائر البلاد لذلك الحين باللغة اليونانية إلى أن
افترق القبط عن اليونان وصاروا يصلون بلغتهم
(٣٠) ومات اوريليان ولم يوص ققامت أرملته بإدارة المملكة بصورة
وقية لأن القانون الروماني عسكري لا يسمح بالملك للنساء. أما
الاسكندرية فانها ضربت حينئذ تقودها باسم الامبراطورة سويرينا

بروبوس سنة ٢٧٦ م إلى ٢٨٣

(٣١) وفي سنة ٢٧٦ لما انتخبت روما تاسيطوس امبراطوراً ضربت
الاسكندرية التقود باسمه على ستة أشهر وكان هذا حد ذكره بها
(٣٢) ومات تاسيطوس وخلفه أخوه فلوريان وهايته روما، أما مصر فانها
كانت تريد حاكمها بروبوس امبراطوراً وهو لا يرضى إلى أن
هو يستعرض الجنود في أحد الأيام خطف بعضهم جبة حمراء عن
صم هناك ورمها على ظهر بروبوس فغياه الجنود بالامبراطورية
ثم بثوا دعوته في اسيا الصغرى وسورية وإيطاليا فبايعته جنود هذه
البلاد أيضاً وقتل فلوريان وبعد قليل مشى بروبوس بجيشه لبلاد
الغال وجرمانيا لتوطيد السلم
(٣٣) لكنه بعد سنة أو سنتين إذ بلغه تعدي العربان على الصعيد
واحتلالهم البطلمية عاصمة أرض ثيبه عاد إلى مصر فردّهم ونكّل بهم

وبإيابه إلى روما دخلها بصفة غازٍ برهائناً على أن انتصاره كان أمراً خطيراً

(٣٤) وكان اوريليان قد أقام أيضاً القائد ساطورنينوس محافظاً على الحدود الشرقية محرماً عليه دخول أرض مصر لكن بروبوس لانهاكه بأطراف المملكة دعاه لولاية مصر وكان رجلاً شريفاً للغاية شهيراً بخدمته للمملكة في اسبانيا والغال وافريقية فدخل الاسكندرية بجيش كبير فطاش اليونان من رؤية موكبه وسلموا عليه امبراطوراً باسم اغسطوس أما هو فأنكر ذلك، ولقطع الاسباب رحل عنهم بجنوده إلى فلسطين لكن إذ بلغه انتشار الخبر ووقوعه تحت الشبهة خاف أن يُغدر به فأعلن نفسه امبراطوراً ثم بعد قليل طرقت جنود بروبوس فوق اسيراً ومات خنقاً خلافاً لتقصده بروبوس ورغبته

(٣٥) ولما توفي بروبوس سنة ٢٨٣ قام بالسلطة قاروس وإبناه نوميرانوس وقارينوس وأترهم الوحيد في مصر كان النقود المضروبة باسمهم بالاسكندرية وبعض نقود هذا الزمان كان أيضاً باسم فيلق تراجان الثاني المصري الذي كان مقيماً على الدوام بالاسكندرية وكانت له الرخصة بضرب ما يلزمه من النقود لحاجته فكان يضربها صحيحة بينما نقود البلاد كانت كلها مغشوشة

عصيان وفوضى سنة ٢٨٣ م الى سنة ٢٨٥

ديوقليتيان سنة ٢٨٥ م الى ٣٠٥

(٣٦) ثم آل الحكم إلى ديوقليتيان سنة ٢٨٥ لكن سنة ٢٨٨ خلع الصعيد طاعته وبايع أخلّوس امبراطوراً شرقياً. فبعث ديوقليتيان القائد غاليريوس ضدهً ولما لم يقدر على تطويع العصاة حضر ديوقليتيان بنفسه سنة ٢٩٢ فدوخمهم ولحقهم إلى قبطوس وبوسيريس فهدهما

(٣٧) ولما بلغ حدود مصر الجنوبية رأى انه من العبث دوام التثبيت بالسودان، والخراج منها لا يفي بنفقة جبايته، فصالح البلاد التي بين الشلال الأول والثاني تاركاً لهم ما كان من أرض النوبة على سبعين ميلاً من اسوان ومتعهداً بامدادهم بمبلغ سنوي ماداموا محافظين مع جيرانهم عربان الصعيد على السلم. ثم أحكم تخصيص حدوده الجديدة بالفيلية ولم يزل أثر سوره بطرف الحقول من حافة النيل الشرقية شمالي الشلال ظاهراً للآن

(٣٨) لكن لسبب ضعف العنصر اليوناني بالبلاد بذلك الزمان مع ازدياد حمية المصريين وكرههم للدولة لم تلبث الاسكندرية إلا قليلاً حتى هي أيضاً بايعت أخلّوس فاضطر ديوقليتيان أن يعود ثانية

لمصر وامتنعت عنه الاسكندرية فحاصرها ثمانية أشهر ثم دخلها
وقبض على اخاؤس وقتله واحترق قسم كبير من المدينة وبدخوله
للإسكندرية سجع فيه فرسه فتفائل من ذلك وظن أنه يفدي نفسه
باستعمال الرحمة فخرم على جنوده القتل والسلب وأعطى الناس
الأمان فشكروه على إحسانه ثم نصبوا له ولفرسه تمثالاً من الفلز
على العمود المعروف بعمود بومبي بساحة معبد سيرابيس وكتبوا
على قاعدته ما تقرأه الآن « إلى الامبراطور المعظم راحم
الإسكندرية ديوقليتيان المنصور » أما التمثال فلم يبق له أثر الآن

(٣٩) ولما كان تمادي العصيان قد طال ورأى ديوقليتيان بأن نفقات
الحرب لم تعجز المصريين ظن بأن لهم سراً بتحويل المعادن
الحسيسة إلى ذهب وفضة فأمر بجمع كتب السحر والكيمياء التي
عندهم وأحرقها . انما حقيقة الأمر هي أن اليأس وحده كان السرفي
هذا الجلد الطويل وهو الذي أدنى أخيراً إلى خراب البلاد التام
من توقف التجارة بالنيل وتعطل الترع والزراعة والصناعة لحد لم
تكن مصر تعرفه من زمان احتلال الفرس لآسيا وانها كانت
بالسنين الستين الأخيرة قد عصت على روما ست مرار وقل فيها
العنصر اليوناني واعتزل ألوف عديدة من القبط رجال ونساء
بالاديرة من جراء عدم الامن وضيق المعيشة

(٤٠) فلتقوية العنصر اليوناني رأى ديوقليتيان أن يزيد بالاحسان

لفقراتهم من خراج الحبوب فأنت النتيجة بخلاف القصد لأنهم أخذوا حينئذٍ إلى البطالة وزادوا تمراً على اليهود والمصريين وتساقفوا على الحكام وكانوا لأدنى سبب يتجهرون ويثيرون الشعب والفتنة بالمدينة مشهرين سلاحهم بوجوه اليهود والمصريين الذين لم يكن جائز لهم حمل السلاح ولا اقتناؤه

(٤١) ثم انه النقي رخصة ضرب النقود المصرية وأبدلها بالنقود الرومانية فانقضى بذلك عهد تلك النقود التي كانت بنفسها كتاباً مفتوحاً للتاريخ وقد جمعها العالم سويغا بكتابه المسمى « نومي اجيتي امبراطوري » أي أسماء امبراطورات مصر

(٤٢) ومن أشنع حوادث هذا الزمان كان اضطهاد ديوقليتيان للمسيحيين، فإنه سنة ٣٠٤ حرّم على الناس اتباع هذا الدين بسائر المملكة وهدّم الكنائس وأمر بحرق كتبها ونفي أو قتل من تمسك بهذا الدين، فكثيرون من المسيحيين هاجروا لسورية ولكن العدد الأكبر كان يستحيل عليه أن يهاجر أو أن يقاوم فاستشهد منهم كثيرون إلا أن يكون المؤرخون الكنائسيون قد بالغوا بما نقلوه عن عدد هؤلاء الشهداء

(٤٣) ولكن لا يمكن إلا تصديق المؤرخ عوزيبوس الذي يخبرنا عما رآه بعينه من الأعدام بيوم واحد قتلاً وحرقاً حتى كّل الجلاذون وذابت قلوب القضاة من الشفقة على هؤلاء المساكين وبينهم كثيرون

من أهل العلم والتسرف والمال كبطرس أسقف الاسكندرية وكهنته
فوستوس ودايوس وعمونيوس والعالم فيلياس أسقف طمويس
وحزقييوس جامع القاهوس الرومي وناقل الكتاب السبعيني
والاستقفين باخوميوس وتيودوروس ووكيل الخراج فيلوروموس
الخطير المنصب النقي العريض

(٤٤) اما بعض المستشهدين كميديسيوس الذي شتم الناضبي ورد
نصيحته بالجفاء واعلمه على وجهه ففعله هذا بحد ذاته يستوجب
القتل في مثل هذه الظروف

(٤٥) وكان المولجون بتنفيذ هذا الامر السلطاني الشنيع قولايانوس حاكم
مقاطعة ثيبه وهيروقليس حاكم الاسكندرية مؤلف الكتاب المسحى
فيلا ليتيس أي محب الحقيقة نعرفه فقط من رد عوزيوس عليه
وفيه يكذب الحواريين ويزعم بأن المعجزات المنقولة عن ابولونيوس
هي أصدق خبراً وأعظم خطراً من المعزوة ليسوع الناصري

(٤٦) فكان هذا الاضطهاد أشد ما عرفه المسيحيون من الرومان ومع
ذلك فانا نراهم سنة ٣٠٥ هتمين بانتخاب اسقف جديد الاسكندرية
وينهم الكاهن اريوس الذي اشتهر فيما بعد اشتهاراً سيئاً بالتاريخ
الكنائسي

(٤٧) ولما في سنة ٣٠٥ تنازل ديوقليتيان عن كرسي روما ، استولى

غاليريوس على مصر وباقي مملكة المشرق واستولى قسطنطين
خلوروس على مملكة اوروبا فغاليريوس ترفق نوعاً ما بالمسيحيين
اولاً

تقسيم سنة ٣٠٥ م الى ٣١٢

(٤٨) ويُعرف غاليريوس بتقسيم ثم انه أعاد الاضطهاد على المسيحيين
واتخذ الجواسيس ضدهم فكثرت الوشايات والسعايات واشتبه الجار
بالجار وصارت الناس تطلب من الحكام ابعاد كنائس المسيحيين
لوراء اسوار المدن . واذ صار علماء الهيئة يؤرخون السنين من عهد
ديوقليتيان سمي المسيحيون ذاك العصر عصر الشهداء

(٤٩) واذ كان لا بد من وجود كثيرين من المسيحيين ممن كتبوا
دينهم وقت الاضطهاد فانهم عند انكشاف الازمة أرادوا الرجوع
لكنائسهم فحصل ضدهم ما حصل في عهد ديقويس وكان من
أشد أخصامهم أحد أساقفة الصعيد المسمى ملاتيوس لكن باقي
الاساقفة والجمهور كانوا على قبول توبتهم وأصر على رأيه كفره
وطردوه وحزبه من الكنيسة الجامعة

(٥٠) لكنّه لشدة رفضه ظلّ يتربّح مسيحياً يجرّحه فسمع بأن اريوس
كاهن كنيسة البقاله يمترض على القول بالوهية يسوع فشكاه
للاستقف واضطر هذا الى مرافعته فهرب منه الى فلسطين وظل

هناك الى أن دعاه مجمع نيقيا (وهي الآن ازنيق) بالعهد التالي لمتل
هذه المرافعة

(٥١) وبهذا الزمان وما كان فيه من انحطاط اليونان مادياً وأدبياً
واضطراب البلاد المتوالي ساءت عبادة مترا ، إله الشمس الفارسي ،
بالاسكندرية وكان مثاله كتاب ينحر عجلاً وبجانبه كلب وحية
وكان معبده المسمى مترايوم بصحراء البلد بكان قدر . وشاع ايضاً
مذهب مالي الفارسي بواسطة تلامذته بايوس وهرمز وهو ان إله
الخير من نور وإله الشر من ظلام

(٥٢) ولهجت الناس كثيراً بمذهب هيرافاس القبطي بأن الاجسام
لا تُبعث بل الارواح فقط فخير المسيحيين الذين كانوا يستندون
بيقينهم بالبعث على يقين المصريين وتحنيطهم موتاهم من الفي سنة

(٥٣) وبهذا الزمان كان تعويل المسيحيين المصريين على النقل
السبعيني المصحح من حزقيوس الاسقف المستشهد بالعهد السالف
ولشهرة الاسكندرية العلمية كانت الكنائس البعيدة تطلب هذا
النقل منها ما عدا القسطنطينية وانطاكية فان اعتمادهما كان على نقل
لوقيانوس وفلسطين ايضاً التي كانت تعتمد على نقل اوريجين القديم
ولكن فيما بعد صار نقل حزقيوس الاكثر استعمالاً الا انه لتفنن
النسّاخ فيه وتعليقهم عليه الحواشي صار التابعون يعتبرونها كالأصل

كما فعل قباهم اليهود بنقل التوراة فأنت الترجمة اللاتينية منه اكبر
من اصلها اليوناني

(٥٤) وبهذا الزمان ايضاً ترجم القبط النص السبعيني لغاتهم السنفسية
والصميدية والبشمورية حرفاً بحرف من اليوناني لا بل ان كل كلمة
من خمس منه كانت يونانية

ليقينيوس سنة ٣١٣ م الى ٣٢٢

(٥٥) ولما مات مقسيمين بطرسوس على يد ليقينيوس خلفه هذا على
مملكة الشرق ودخلت اوروبا في حكم قسطنطين بن قسطنطيوس
وبالعشر السنين الاولى كان قسطنطين يحاول الغدر بليقينيوس الى
أن ضاق صدر هذا منه فزحف ضده الى تراسيا بمائة وخمسين الفاً
من المشاة وخمسة عشر الفاً من الفرسان وثلاثمائة وخمسين مركباً
لكنته اضطرّ فيما بعد الى المهادنة وطلب الصلح فلم يرض منه
قسطنطين الا التسليم ضامناً له الحياة فسلم له على هذا الشرط . ثم
ان قسطنطين غدر به واماته شتقاً فمادت المملكة كلها بيد
امبراطور واحد

الفصل السابع

سنة ٣٢٣ م الى ٣٧٨

قسطنطين . ابنه قسطنطيوس . يوايان . يويان . والنس

قسطنطين سنة ٣٢٣ م الى ٣٣٧

(١) يمتاز حكم هذا الامبراطور عن غيره بالانقلاب العظيم الذي حصل فيه بدين المملكة وهيئتها عند تنصره سنة ٣٢٣ ، فان اضطهاد المسيحيين قد توقف بالحال واعفيت كتبهم من كل التكاليف الملكية والعسكرية . أما تنصره فغير معلوم ان كان عن اقتناع أم سياسة ، انما المعلوم هو ان المسيحية لم تصل لسكرمي الملك حتى كانت دين الاكابر والاعنياء ، فيه وبعد أن رأيناها تنمو وتعلوت تحت الاهانة والجور من الحكام سنهاها الآن وسيلةً للقرب منهم والتزلف لهم فان كثيرين اعتنقوا الدين الجديد عند تنصر الملك ولما يدخل الايمان في قلوبهم واصبحت الاغلبية المصرية منهم تقدر أن تصف الاقلية اليونانية من هذا الدين بالكفر كما سبق للفئة اليونانية عينها مع الفئة اليهودية المنتصرة قبلها

(٢) أما تنصر اليونان بالاسكندرية فانه كان أولاً من نوع الفلاسفة

وليس عن اقتناع بدور رباني، كما اتهم بدخولهم مصر مع الاسكندر تركوا مذهبهم ومعابدهم في نوقراطيس واتبعوا اديان سيراييس وميترا، ثم صاروا يضحكون منها الى أن ساءت بينهم فلسفة افلاطون التي هيأت أفكارهم للمسيحية. وقبل تنصر قسطنطين كانت المسيحية قد عمّت كل بلاد مصر، وترتيب كنائسها كان قد تم تقريباً على ما نراه الآن. فلزمان هيراقلاس وديونيسيوس كانت الكهنة تنتخب الاساقفة والشمامسة تنتخب الكهنة فديونيسيوس كان يصدر بلاغاته الاسقفية باسمه واسماء كهنة أبرشيته لكن بعد ذلك تغير هذا الحال الى الاستبداد ولما اتى قسطنطين جاباه على رؤساء الكنيسة كثير منهم زادوا على امتيازهم الكبرياء والبخل وحب الجاه

(٣) فلعبت بهم الالهواء النفسانية وابتدأت الانقسامات الكنائسية

وانفصمت عرى ذلك الاتحاد الذي كان الاضطهاد يربطهم فيه. فان قسطنطين كان قد آمن اما بالوهية يسوع واما برسالاته ولكنه اذ صار يسأل اساقفة الاسكندرية عن مذهبهم بصفة ملك الحب والرحمة وجددهم يتشاحنون ويتلاعنون فيما بينهم على آرائهم فيه بعيدين عن مباديء ذلك الشارع الوديع الحنون

(٤) ومع وجود مصر زمناً طويلاً برق العبودية لليونان والرومان

فانها كانت قدوتهم باللدين اولاً وآخراً وفيها نشأ الانقسام بين

فئة تذهب الى أن يسوع الابن هو من جوهر واحد مع الآب .
 وفئة تذهب الى انه من جوهر مماثله بينما هذا البحث لم يكن قد
 خطر بفكر العلماء الاولين ولا بفكر اليهود المنتصرين اولا المؤمنين
 بأنه المسيح المنتظر . وبينما اليونان يعتقدون به كالحكمة الربانية ،
 والكلمة على مذهب افلاطون ، والمصريون الاولون يعدونه من
 احدى الآيات الربانية فان اقليمس رومانوس صديق الحواري
 بولس يدعو الكاهن الاعظم والربان لا سوى . وحينما دعاه
 الوثنيون المنتصرون إلهًا متجسدًا انكر ذلك عليهم اليهود
 المنتصرون ، وديونيسيوس أسقف الاسكندرية يدعو بكر الخائفة
 واوريجين لا يرى أن يُصلى له . فالاسكندرية حولت الافكار إلى
 الجدل بالصفات والتجبر بالآراء والمنازعات إلى حد الطعن والاضطهاد
 شنيعة عرفناها من اليهود الذين صلبوا المسيح فكان انه لم يأت .

(٥) فلما بلغ الامبراطور وجود هذه الخال ولا سيما ما كان بين أسقف
 الاسكندرية اسكندر والكاهن اريوس سآه ذلك وطلب من
 الاسقف أن يكف عن مناظرة هذا الكاهن حبًا بالسلامة لكن
 لما بلغ الخبر كينة الاسكندرية هاجوا وماجوا خوفًا من أن يقوى
 حزب اريوس بذلك وأصروا على طلب مرافعة فاضطر الامبراطور
 لحشر أساقفة المملكة ليحكموا على الخلاف فاجتمع منهم في نيقيا

سنة ٣٢٥ ماثان ونخسون استقفاً وعدد كبير من كهنة المشرق
 وأسقف أم اثان من الافرنج
 (٦) وهناك احتدم الجدل وكاد يأول إلى المضاربة والقتال لولا ان رغبة
 الامبراطور وحده يضعان حداً للخصام . وامتاز حينئذ الشماس
 اثناسيوس بجماعة مقاومه لآريوس ثم عاد المجلس للوقار وجرى
 أخذ التصويت لآراء الخصمين فنجم عن تضليل آريوس والحكم
 بأن يسوع الابن هو إله من جوهر واحد مع الأب وسموا هذا
 المذهب « الهوموسياني » وقرروا قانون الايمان المعروف الآن
 بالنيقي وعينوا وقوع الفصح الذي تقيمه اليهود ليلة تمام القمر
 الربيعي ، بأن جعلوه يقام بالأحد الذي يتلو تمام هذا القمر ولعنوا
 اليهود وانفض المجلس مكثفياً بنفي آريوس غير مدرك ما أثاره
 بصدور المصريين من الخيالاء بانتصار حزبهم مما جعلهم فيما بعد
 شوكة بحجب الامبراطور ناصرهم على اليونان أصدقاء دولته
 بالاسكندرية

(٧) وهذا الزمان كان أسقف الاسكندرية هو الذي يعين لاساقفة
 البلاد حلول الفصح فيجري بلاغه مجرى الامر لمسيحي المسكونة
 لأن روما كانت قد فقدت كرسي الملك واورشليم سقطت من
 عزها والقسطنطينية لم تبني بعد

(٨) ثم بعد زمان قدّم آريوس استرحاماً للامبراطور بالعفو عنه مبرهنًا

بأنه لم يتخذ عن قانون ايمان الرسل فعنى الامبراطور عنه وكتب
 لاسقف الاسكندرية بلياقة رده لكنيستة اسكن الاسقف كان
 إذ ذلك عين ذلك الشماس اثناسيوس خصم أريوس الالذ بمجمع
 نيقيا فأبى الامتثال لطلب الامبراطور مدعيًا بأن قبول هذا الكاهن
 عضواً بالكنيسة غير جائز دينًا ، فرفض الامبراطور اعتراضه وطلبه
 للوقوف بين يديه ولما وجدته مصرًا على رأيه أبعدته الى صور وهناك
 أقام مجمعًا من الاساقفة سنة ٣٣٥ لرافته فحكوا بفساد رأيه واعادة
 أريوس لوظيفته فظل مبعداً مدة هذا العهد كلها

(٩) ولكن أقل ما يقال عن شناعة الاستبداد من الرؤساء المسيحيين
 هو أنه بازدياد سلطتهم دخل الكنيسة رجال غير لائقين بها اتخذوها
 وسيلة للحصول على غايات زمنية وأغراض ذاتية بعيدة عن التقوى
 والرافة المسيحية

(١٠) وكانت أولا الاسم العام للمسيحيين « النصارى » وذلك لان
 أولهم كانوا من اليهود قوم الناصري يسوع ، ثم لما شاعت المسيحية
 بين المصريين وذهبوا مذاهبهم فيها كتمروا أولئك اليهود القائلين
 بأن يسوع هو المسيح والنبي الاعظم المنتظر ، فلما مجمع نيقيا لعن
 اليهود كره الجمهور الاتساب للنصارى وانحصر هذا الاسم بعد زمان
 قسطنطين بيهود الحبشة واليمن المنتصرين

(١١) ومن مآثر هذا الزمان كان بناء القسطنطينية سنة ٣٢٨ وانتقال

كرسي الملك اليها فهايت روما حينئذ بأعين الناس وقلة
الاسكندرية خوفاً من تحول رياستها الدينية لعاصمة المعايكة
واحتفاف عاهاها بكرسي الملك لا سيما وانها اضعف العنصر اليوناني
فيها كانت قد أمست تدعى من زمان ديوقليتيان المدينة المصرية
بعد ان كانت تدعى المدينة اليونانية على حدود مصر وفعلاً هكذا
جرى فاننا نرى عند بناء القسطنطينية ان جاذب اليونان لحر مصر
قد خف وانقطعت مادة هذا النسل فيها

(١٢) ونقل قسطنطين احدى مسلات مصر لزينة عاصمته الجديدة
وجاب مسألة أخرى من هاليوبوليس للاسكندرية لينقلها للعاصمة
ايضاً لكنه توفي قبل ان يفعل ونقلها ابنه فيما بعد الى روما . وأخذ
قسطنطين مقياس النيل ايضاً من ^{مسيح} مسجد سيرايس ووضعها باحدى
كنائس العاصمة ليُطال احتفال المصريين الديني بقيضان النيل فتقال
كينة مصر الوثنيون من عمله لكن اذ تمّ الوفاء بتلك السنة صار
المسيحيون يحفلون به كهيد كنائسي . وأحضر الامبراطور من
الاسكندرية خمسين نسخة من الانجيل لاستعمال كنائس القسطنطينية
محررة على الرق من تصحيح عوزيبوس أسقف القيصرية

(١٣) ولم يبق حينئذ للعالم الوثنيين من عضد ، فقل الاقدام على
مدارسهم وصار علييوس وصديقه يامبايخوس مدرسي فلسفة
عمونيوس وپلوتينوس يتجولان بين الاسكندرية وپرغاموس وروما

وكل ما وصل اليها من تأليف أولها هو كتابه ببادي، الاتغام مرتبة على خمسة عشر رسداً وعلاماتها على سطرين كأن سطرأ منها للصوت والآخر للعود يقال بأنها علامات يثاغورية . وأما ثانيها فيوجد له للآن عدة تأليف مذهبه فيها يشبه مذهب أفلاطون

(١٤) وأقام الاستاذ سوپا تر بتدريس الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وكان يدعي بأنه أفلاطون الثاني ، ولادة من الزمان كان قسطنطين يودّه ويكرمه ثم أنكر عليه مذهبه وقتله وعلى قول المؤرخين الوثنيين انه نعم عليه رفضه ان يُدريء ذمته من قتله ابنه

قسطنطوس سنة ٣٣٨ م الي سنة ٣٦١

(١٥) ولما مات قسطنطين خلفه بالملك أولاده الثلاثة مقتسين المملكة بينهم فجلس قسطنطين الثاني على كرسي القسطنطينية وكونستان أصغرهم على كرسي روما وقسطنطوس على كرسي انطاكية كعاصمة المشرق ، فزاد بذلك انحطاط مقام الاسكندرية السياسي . ولما أصاحت أنطاكية سفر التكوين بترك عشر سنين منه تبعها بذلك الاسكندرية لكنها فيما بقي ظلت مدة حياة هذا الامبراطور تدعي الاسبقية بأورالدين

(١٦) وكان قسطنطوس على مذهب اريوس بينما أخواه كانوا على مذهب اثناسيوس فتجاسر هذا تحت حمايتهما على الرجوع للاسكندرية

لكن لما بعد قليل نشبت الحرب بين هذين الاخوان وقتل قسطنطين
 الثاني تقتط قسطنطينوس لدفع مداخلة كونستان في أمور مملكته
 وعزل اثناسيوس من كرسيه وأقام مجمعا من الاساقفة بانطاكية
 لينتخب أسقفًا عوضه فانتخبوا أولاً عوزيبوس من حص لكنه
 استعفى متعرا بأن المصريين لا يرضون أن يكون عليهم أسقفًا
 أريوسياً ولم يكن من رأيه اكراههم على ذلك فانتخب المجمع حينئذ
 أسقفًا على الاسكندرية غريغوريوس الجسور على أي مقاومة تصدر
 ضده من أهلها

(١٧) ثم انه قرّر الغاء « إله من إله جوهر واحد مع الاب » وابداله
 « بيكر المخاوقات وصورة جوهر الاب » وبعد بضع سنين التأم
 هناك مجمع آخر وسنّ قانوناً أقرب الى مذهب اثناسيوس لكنه
 لانكاره أيضاً وحدة الجوهر مع الاب رفضه المصريون واللاتين
 وصار كل فريق يضل الآخر ويلعنه

(١٨) ولم يجسر غريغوريوس على التمدوم لكرسيه حتى أمر الامبراطور
 القائد سيرانوس بخفارته فأدخله الاسكندرية ليلاً وبالغد آتى به
 للكنيسة محفوفاً بالجنس فوجدوا اثناسيوس قد سبقهم اليها مع
 أتباعه وأغلق أبوابها ، لكن لما تهددهم القائد خرجوا من باب السرّ
 حنقين وتبع ذلك اضطراب بالمدينة وشغب وانقطع وارد الخراج عن
 البلد اياماً فخاف اثناسيوس من المسؤولية بذلك وهرب الى روما أما

حزبه فلكونه اكثر من الحزب الاریوسي فظل هائجاً حتى انه احرق الكنيسة مؤثراً ذلك على تركها بيد الاریوسيين ثم انه قوي عليهم الى أن امكنه طردهم من كل كنائس وأديرة مصر

(۱) وبعد سبع سنين من هذه الحال مات غريغوريوس وبرجا اسقف روما وكواستان أعاد قسطنطیوس اثناسيوس لكرسيه مشروطاً عليه عدم التحرش بالاریوسيين

(۲) لسكنه برجوعه لابرشيته أظهر الاستبداد - فقسم من حزبه من القبط لم ترضهم معاملته لمواطنيهم الاریوسيين فانتقضوا عليه وانفصلوا عن كنيسته منضمين الى كنيسة الاسقف ملاتيوس

(۳) وبهذا الزمان بدأ الحكام يشعرون بالانقلاب الناتج من انتشار المسيحية أولاً ثم من دخول الامبراطور في دينها واعطائه للاساقفة رتبة الامراء

(۳۲) ثم مات كونستان فعاد قسطنطیوس لعزل اثناسيوس سنة ۳۵۴ لكنه لاقى بذلك تمعاً جماً الى أن في سنة ۳۵۶ اختفى اثناسيوس وظل مستتراً عن الحاكم سيرانوس في غرفة صبية اجارته لآخر هذا العهد

(۳۳) فلما أعجز سيرانوس أمره أرسل الامبراطور القائد سباستيانوس حاكماً على مصر ومأموراً بالقبض على اثناسيوس حياً أو ميتاً . فرفع

حينئذٍ حزب أريوس قرنه وانتخب جرجس من قبادوسيا أستقماً
على الاسكندرية

(٢٤) وكان جرجس رجلاً عالياً هماماً لكنة أقل حكمة وسياسية من خصمه
وكان أبوه خياطاً من ايفانيا في آسيا الصغرى فلما رأى نفسه بهذا
المقام الخطير تجبر وترنج بسلطته فاضطهد أخصامه بكل أنواع العذاب
والقتل والابعاد حتى كاد أن يحاكي عمل ديوقليتيان بالمسيحيين
فكره الناس اسم الامبراطور ناصره وحط من شأن الاسم المسيحي
بين أعداء هذا الدين

(٢٥) وبهذا الزمان كانت البلاد التي على الطرف الجنوبي من البحر
الاحمر قد ابتدأت أن تُعرف اكثر من قبل بالاسكندرية فان الرحالة
ميرويوس وصل اليها في عهد قسطنطين ودخل اخصم عاصمة
الحبشة وفرومنطيوس رفيقه سمى بارشاد أهلها للمسيحية والمتاجرة
مع مصر وعاد اليها أستقفاً بأمر اثناسيوس وقسطنطينوس بعده أرسل
بعثاً مع الراهب تيوفيليوس لاهل حمير الصابئين نسل اولئك اليهود
المستوطنين البلاد من عهد سايمان فبنى لهم الكنائس ثم انتقل
للحبشة عوضاً عن فرومنطيوس الذي عزله جرجس الاسقف الاريوسي
فأحكم فيها ربط عرى الوداد مع شعبها اليهودي الاصل أيضاً الذي
كانت العربان تحجز بينه وبين مصر. ووجد هناك بجنوب العاصمة
مستعمرة سورية يُقال بأن الاسكندر أسكنها تلك البقعة. وكانت

لغة تلك البلاد كلها عريية غير لغة السودان وبها تُرجم لهم
الانجيل من اليوناني لسن انشار الدين الجديد بينهم لم يتم لقرنين
بعد هذا الزمان لسبب الموانع التي كانت تطراً من وقت لآخر
فتقطع مواصلاتهم مع الاسكندرية

(٢٦) وها انا نرى كلما تقدمنا بتاريخ المسيحية في مصر كلما بعدنا عن
أزمة العلم ودخنا غياهب الجهل الممتد منها الى أوروبا فان الرهبانية
التي نشأت من نسك انطونيوس وتولي المصريين في عهد فيليبوس
قيصر على حافة بحيرة لوط لم تكن الا تقليد رهبانية الوثنيين واليهود
من قبل ، والمعجزات المنسوبة لبعض الرهبان المسيحيين من بين
الالوف من رجال ونساء في عهد قسطنطين وعهد اولاده ليسها جزءا
مما نقل عن رهبان الوثنيين قبلهم

(٢٧) لا بل ان هؤلاء الرهبان المسيحيين تقلدوا عادة رهبان الوثنيين
السالفين بخلق رؤوسهم الا دائرة في وسطها وحاق لحام وشواربهم
فحرم عليهم ذلك اثناسيوس وحرّم أيضاً عليهم استعمال الرقى
والافراط بالصوم لتفاخر به ومكاملة النساء والاعتسال بالحمامات
العمومية وحفظ السبت . وبعد هذا الزمان بسنين قليلة صار وضع
قانون الرهنة المطول المعمول بأكثره للآن

(٢٨) ومن الاخبار عن بعض هؤلاء الرهبان خبر أحدهم عمون الذي
يقال بأنه كان رجلاً ذا نعمة اقترن بصبيبة حسنة لكنه باليوم

والساعة أغراها بالتزام العفة وهجران العالم ناذراً بالأّ يغتسل طول حياته ولا يغير ثوبه كي لا يرى جسده عرياناً . وعلى قول مؤرخه الكنائسي انه كان اذا اضطر أن يقطع ساقية تأتيه الملائكة فتحمله كيلا يبأل وفاة بنذره

(٢٩) واشتهر بعده الناسك انطونيوس المقيم في ذلك الوقت بالقرب من هيراقليو بواميس الزاعم بأن روح عمون آتته وعلمته الفرائض الدينية فكان سكنه بين القبور حيث أتاه الشيطان بأشكال شتى منها انه أتاه بشكل اسود ونمور وذئاب وحيات وعقارب وزنابير كثيرة واذا انتصب ليصلي هربت من وجهه توتاً . ومنها انه أتاه بشكل زائر لكنه اذ سمع اسم يسوع ولّى هارباً . ويزعمون انه كان يشفي المرضى ويخرج الشياطين بعلامة الصليب ويعلم بالغيب وينكر فائدة العلوم لمن اهتدى للدين ، وهكذا لما شاع ذكر فضائله ومجزاته كتب له الامبراطور كتاباً فلم يمكنه أن يرد له الجواب بلغة اليونان لكنه قد خلف بعض وصايا للرهبان باللغة القبطية ترجمت فيما بعد لليونانية وبواسطتها عدّ من الآباء اللاهوتيين . وبعد أن قضى بهذا النسك عشرين سنة خرج يعظ الناس ضد المذهب الارثوذي

(٣٠) وبالاجمال فان تاريخ الكنيسة بهذه الازمنة يرى مفعماً بمثل هذه الاخبار ولكل زمان حال تُحاربها الافكار

(٣١) ومن علماء المسيحيين بهذا الزمان كان سيرايون اسقف طس

وصديق انطونيوس ، له كتاب نفيس ضد المذهب المانوي ، انما العالم السني فكان الاعمى ديديموس رئيس المدرسة اللاهوتية الرياضي المبلغ المتبحر في الفلسفة الوثنية واليه كانت تشد رحال الطلبة من كل فجٍّ وكان مولعاً باتناسيوس وعلى مذهبه حتى قال الارويوسيون بأن كل عالم لذلك الزمان كان على مذهبهم الا هذا . وله شرح على الانجيل ومقالة ضد المانوية

(٣٢) وفي كل هذه الجدالات الدينية وثنية كانت أم مسيحية ، نرى روما في غالب الأحيان تابعة لآراء مصر ، فان كونستان لما أراد أن يهدي بعض نسخ من الكتاب المقدس طلبها من اتناسيوس . وكانت روما مثل مصر تكره مذهب اليونان الارويوسي وهكذا لما جيروم الروماني زار مصر قال بأنه وجدها على المذهب الحقيقي الرسولي . ولكنه مع اعتراضه على مذهب اوريجين يتهدله بالعلم والفضيلة والتقوى

(٣٣) أما علماء ذلك الزمان الوثنيون فمنهم المنطقي افتونيوس الذي اكتسب شهرة عظيمة بحكمته وفصاحته وكان يميل الى مذهب ماني فأتاه طالب علم يدعى عطيه ، ارويوسي المذهب ثم صار يجادله بالدين الى أن طلبه للجدال بحضور من الجمهور فتجادلا ولكن قبل

(١٠)

أن تظهر النتيجة اعتلَّ الأستاذ ومات فقال الاريوسيون بأن
حجتهم قتلته

(٣٤) سنة ٣٤٧ تمت الاحدى عشر قرناً من بناء روما فضربت تهودها
بتلك السنة وعلمها صورة الطائر الخرافي « فينكس » بصورة نسر
بريش أحمر وأصفر وهو المسمى عند العرب العنقاء وأهل الصين
يزعمون بأنه طائر ميمون يظهر بالبلاد عند اكتمال سعدھا

(٣٥) ومن كلام يولايوس فرميقيوس بالوثنيين يظهر بأنهم كانوا بذلك
الزمان قد تركوا عبادة الهائم وغيرها وحصروا عبادتهم بايزيس
وعوزيريس والنيل . وكان عيدهم الكبير يوم حزن ايزيس على
زوجها عوزيريس الذي قتله تيفون الشقي حسداً فيحلقون فيه
رؤوسهم ويطوفون بالمدينة باكين متحبين يضربون على صدورهم
ويقطعون جلودهم ثم يزعمون بأنهم يبخذون عن اشلاء القتل التي
القها تيفون بالنيل فترهبهم اياها ايزيس بمساعدة اختها نفطيس
والقناص انوييس فيدفنونها ثم يعيدون فرحين . واسم ايزيس باللغة
الكهنوتية حيز

(٣٦) وبهذا الزمان اشتهرت ايدوس^(١) الصعيد بمعبدھا للإله يسا
المجائي فقصده الناس من مصريين واغريق يستشيرونه في

(١) هي السمائة الآن المدفونة

حفاوظهم ويقدمون له الضحايا ومن جملتهم كان أحد ولاة مصر
بارناسوس فلما بلغ الامبراطور خبره عزله ونفاه ولكنه لم يتحشر
لكونه المعبد لما كان لهم من السلطة على عقول كثيرين من ذلك
الجمهور

(٣٧) وربما انه بهذا الزمان ايضاً ألف هيفستيون الرياضي الثيبي كتابه
الذي يزعم فيه بأن لأبراج الفلك فعلاً يؤثر بأجسام الناس وطبائهم
فأعلى لكل بلاد برجاً لكن بدون اعتبار خط الطول كأنه قسم
الأرض كالفلك الى شرق وغرب ثم قسم كل برج الى ثلاثة منازل
كل منها عشر درجات كما هي بالمنطقة المرسومة على سقف معبد
دنديره من زمان تيريروس المؤلفة من اثني عشر برجاً فزعم بأن
صفة كل انسان تتبع صفة النجم الطالع مع الشمس يوم ولادته .
وقد رأيت بزماننا هذا كتاباً اميريكيًا يسند هذا الزعم
(٣٨) أما الحكم بهذا الزمان فانه كان قد ضعف لدرجة انه اصبح
كالمعدم ، لا يضر ولا ينفع ، فاستقلت فيه اكثر المدن والقرى
بالصعيد أو احتمت الصغيرة منها بالكبيرة تحت سيطرة أحد الاساقفة
حتى صارت اوامر الامبراطور نفسه لا تعمل فيها

يوليان سنة ٣٦١ م الى ٣٦٣

(٣٩) ولما مات قسطنطينوس خلفه يوليان وهو آخر امبراطور وثني فلم

يرضه تصرف المسيحيين ضد أخصائهم الوثنيين . واذ أرسل هؤلاء
بعضاً للقسطنطينية يتظلمون من حاكمهم ارتيموس ومن الأسقف
جرجس ، طلب الحاكم اليه وبعد محاكمته في خلقيدونيا أمر بقتله
فقطع الوثنيون بانتصاره لهم وثاروا ضد المسيحيين بالاسكندرية
فقبضوا على الأسقف وداسوه بأرجلهم حتى الموت وقتلوا أيضاً
رئيس دار السكة دراكونيتوس لانه كان قد هدم لهم معبداً بتلك
الدار واهلكوا معه أحد الاعيان ديودوروس لانه كان قد نكاهم
يقص نواصي الشبان المصريين المختصين به بحجة انها أثر وثني وقد
كانت أصلاً عادةً عندهم مختصة بالنسل الملوكي من عهد رمسيس
ثم صارت بزمان البطالسة علامةً لشرف النسل ثم أصبحت عمومية .
وحملوا جثث الثلاثة على الجمال الى حافة البحيرة فأحرقوها هناك
وذروا رمادها بالهواء حتى لا يتركوا لها أثراً يرجع اليه المسيحيون
لينوا فوقه كنيسةً

- (٤٠) واذ بلغ الامبراطور خبر جنائياتهم أنبهم عليها وتهددهم بالعقاب
لا اكثر ان عادوا لمثلها ثم جعل كل اهتمامه بالاستيلاء على مكتبة
الأسقف المقتول متهدداً وكيهه بقطع رأسه ان فاته كتاب واحد منها
(٤١) أما حزب اثناسيوس فلم يعبأ بمقتل هؤلاء الاربوسيين بينما
الامبراطور مع عدم مبالاته بما حل بهم كان يكره اثناسيوس

وحزبه أشد الكره فلما عاد اثناسيوس للاسكندرية بدون اذنه غضب عليه وأمر بطرده من كل أرض مصر

(٤٢) ولم يتحرض لجمهور المسيحيين أكثر من نظره اليهم بعين الاحتقار وعدم قبولهم بالمدارس الساطانية . فسأ ذلك مسيحي الروم وسورية وامسيا الصغرى . أما القبط فانهم كانوا بعد سقوط الار يوسيين لا يهتمهم علم أبداً لا بل انهم أمسوا بعد قليل يكرهون العلم والعلماء ككرههم للشياطين

(٤٣) لكن حب الامبراطور للعالم وتشيدته مدرسة جديدة بالاسكندرية لغن الموسيقى ووضعها لها الجوائز لم يفد الوثنية شيئاً إذ كان الخراب قد عم وطم بلاد ثيبه مقر هذا الدين من جراً تسطي العربان عليها ، والقيروان اصبحت قاعاً صفصفاً . والنل صار مزية للقبط حتى أصبح الفلاح يوتر الجلد على اداء الخراج واذا تخلص من الدفع ينكوى الفاقة هز عطفه مفتخراً بنفاذ حيلته على الدولة . أما الاسكندرية فكانت لم تزل أول مدينة بالعلوم ومكتبها ذات السبعائة الف كتاب لم تزل اعظم مكتبة بالدنيا كما ان السيرايوم حاويها كان اعظم بناية على وجه الارض بعد القبتول معبد يويتير في روما ، وهو المشتري وبرجيس العرب

(٤٤) أما السيرايوم فكان معبد سيراييس على التل غربي المدينة وله مدخلان احدهما للمجالات والآخر للرجل من مائة درجة كل

درجة أعرض من التي تحتها وبعلاه رواق على اربعة أعمدة وصحن البناء مشكوف تحوطه رواقات على صفتين من العمدة وفي البعض منها خزانات الكتب وعلى سطحه قبة مذهبة ورؤوس أعمدته محلاة بالصفير والذهب وجدرانه زاهية بالنقوش والصور وفي وسط ساحته عمود شاهق يستهدي به الملاحون عن بعد . وكان صنم الإلاهة القائم داخله من عهد البطالسة خشباً مكسواً حلةً مجوهره ، ولقاعته كوة يقع منها شعاع الشمس على فم الصنم في وقت معين عند الصلاة فتوهم الناس بأن هناك سرّاً إلهياً . أما رجلاه فالمنظون بأنهما كانتا من الرخام . ولا يوجد الآن أثر لشيء من هذا البناء سوى عموده المسماة عمود بُمبي الموازي فخامة آثار القبط الاقدمين

يوليويان سنة ٣٦٣ م الى ٣٦٤

- (٤٥) ولما مات يوليويان خلفه يوليويان وكان مسيحياً على مذهب المجمع النيقى فأعاد اثناسيوس بكرسيه بالاسكندرية لكنه ترك للار يوسيين أسقفهم لوقيوس غير متعرض لهم
- (٤٦) ونعم ان الاختلاف بين المذهبين بظاهر الامر كان دينياً إلا ان أكثره كان لاسباب مرجعها النسل واللسان والوطن فكان اليونان أكثر إدعاءً بالفهم يحثرون مذهب المصريين بالطبيعة الواحدة بيسوع ويقولون بالطبعيتين وكان كل فريق يكفر الآخر

الى أن بشكائر عدد القبط المنتصرين تغلبوا على اليونان ولم يمضِ
قرن بعد هذا الزمان حتى تحرروا منهم مادياً وادبياً

والنس سنة ٣٦٤ م الى ٣٧٨

(٤٧) واذ تُوفي يوريان خَلَفَهُ والتينيان وهذا أعلى أخاه والنس مملكة
المشرق وكان اريوسي المذهب فرفع الارويسيون رؤوسهم
بالاسكندرية وأرادوا الاستيلاء على القصر الروماني المسمى قيصرية
ليجعلوه كنيسة فقاومهم الوثنيون سنة ٣٦٤م ثم أحرقوه. لكن الامبراطور
بعد سنة بنى للمسيحيين كنيسة بتلك البقعة عينها

(٤٨) ثم ان اثناسيوس وجد مركزه حرباً بالاسكندرية فرحل عنها
لكن إذ هاجت رعيته أعاده الامبراطور وأمنه فاستراح وأراح إلى
أن مات مخلفاً ذكراً أشهر من ذكر ماوك زمانه وملقياً أساس تلك
السلطة الكنائسية التي رفعت وحطت ممالك عديدة في مستقبل
الايام واهتز لها الخافقان. اما التأليف التي لنا منه فكلاما جدلية
بالمذهب وأكثرها ضد الارويسيين. ولكن القانون المنسوب اليه
فالصحيح بانه ليس منه، لا لأن اللعن الموجود فيه كثير على طبع
اثناسيوس بل لأن لا ذكر فيه لوحدة جوهر الاب والابن التي
كان أعظم تثبيت اثناسيوس بها قبل كل شيء

(٤٩) وعند موته انتخبت رعيته بطرس اسقفًا عوضه فادعى بأن الكرمي الاسقفية بالمدينة هي حقه وان لوقيوس الاربوسي منتصبها فغضب الامبراطور وأمر بالقبض عليه وسجنه وضبط كنائسه وأحالتها لأخصامه والغى شريعة قسطنطين التي تعني الرهبان من الخدمة العسكرية والتكاليف الجمهورية فرفضوا الامتثال لأوامره. لكنهم إذ كانوا على مذهب الطييمتين تجرد لوقيوس لا كراههم تنفيذاً لشريعة الملك فصيح له استخدام الجنود فكبس أديرتهم وقتل وهدم ما استطاع من رجالهم ومنازلهم

(٥٠) وهذا بينما كانت الرهبنة قد شاعت جداً في مصر واستعرقها الدولة وسمحت لها باستملاك العقارات والاراضي ومنحها والنس حق الارث من الرهبان الذين لم يتركوا وصية ولا وارثاً شرعياً. ومن أعظم أديرتها كان دير طيناً بالصعيد الذي رئيسه باخوميوس كان اولاً ناسكاً بكهف هناك ثم التف حول الوف من العباد ينظرون اليه كنبى، منهم الف وثلثمائة بهذا الدير وستة آلاف بغيره لباسهم الجلود وشغلهم الحرث والصلاة. وطيناً او بالحري طينيز يعني مدينة ايزيس، والدير ربما هو المعروف الآن بالدير الابيض بالقرب من عمرو ديتوبوليس وفيه كنيسة على الهندسة اليونانية وشكل الصليب وأما ظاهره فكما بدمصر القديمة التي أعارتها أحجارها

(٥١) وكان صنف آخر من الرهبان يرأسهم زاهد آخر يدعى عنوف يزعم بأنه ينال ما شاء بصلاته (١) وغيرهم يرأسهم راهب أمي اسمه هوز مولع بانشاد الزبور، وآخرون يرأسهم سيراييوت كانوا أهل كدّ وتعبد ومواساة للفقراء حولهم. وكان بالقرب من نظريته (التي وجدوا بجوارها البورقي فسموه نظرون) جهة مريوط خمسون صومعةً بنسأكها وأما الأشد زهداً فكانوا يتوغلون بالتفارق لحد سطيس مقام أنطونبوس على حافة بحيرة مالحة جداً حيث الهوآء ككليب النار والسماء كالمهل المرفوع وهناك كان يقيم الناسك موسى التائب من مآثم شبابه الذي يقال بأنه قضى ست سنين لا ينام فيها أبداً وأنه اذ طرقة ليلة ما أربعة لصوص شدهم بيمضهم بحبل ورفعهم على ظهره وسار بهم لدير بالقرب منه ليتأصصوا لأنه كان قد نذر بالألأ يوجع إنساناً يده. وكان هناك ناسك آخر يدعى بيايين الذي اشتهر بزيتة المقدس لشفاء الامراض فكانت المرضى تأتيه ليمسحها به حتى لما كان على فراش مرضه بالاستسقاء وكان ناسك آخر يدعى هالاس يحمل النار في جيبه ولا تحرقه (٢) وكان بالصحراء العربية بالقرب من أنطينوبوليس إبليس الزاهد أقام فيها سبعين سنة. وبالتقرب من أخوريس كان أبياس الحداد الزاهد الذي يقال بأن الشيطان أتاه

(١) أو بالحري بتصدده وهو مذهب والقول فيه كل من جد وصل وكل من صد حصل

(٢) كانه اكتشف على المعدن اسبستوس الذي يخاله ولا تؤثر فيه النار وقد

بصورة امرأة جميلة المنظر فكوى وجوها بالحديد المحمي . وكان هناك أيضاً الناسك أبولوس متهجداً وقاهراً ذاته مدة أربعين سنة وأخبار عجايبه منقولة لنا من تيموتاوس أسقف الاسكندرية . وكان بالقرب من الاسكندرية الناسك دوريتوس وبواس ناسك فرما الذي كان يعيد صلاته تلمائة مرة باليوم ويعدها بحصى يحملها لهذه الغاية وكان من أصدقاء أنطونيوس الذي أهدها جبة كان اثناسيوس أهدها له فلما كانت بولس على فراش موته طلب أن يلقوا عليه تلك الجبة ويقال بأنه أول مسيحي تنسك اذ هو ابن ست عشرة في عهد واليريان وزمان الاضطهاد ومات وهو ابن مائة وثلاث عشرة سنة فتكون مدة تنسكه سبعا وتسعين سنة

(٥٢) فصر هؤلاء الرهبان والنسك على ضنك المعيشة بالفقر ومشايرتهم سنيا على التعبد والصلاة جعلهم محلاً للاعجاب والاكرام لأن الناس لا يرون إلا ظاهر الاشياء ، وإلا فإن حاجة الكون الى راهب المعصية اكثر منها الى راهب الصومعة ، لاسيما وان المصريين قد فرطوا بصفات هؤلاء العبّاد وغالوا بأخبار عجايبهم واكثرهم كانوا هموسيين يقولون بالطبيعة الواحدة والجوهر الواحد للآب والابن البعض منهم على مذهب اثناسيوس بالتثايت والبعض يعتقدون بأن يسوع لم يُصلب بل شبهه للناظرين ورفع الله اليه حياً ، والبعض يعتقدون بأنه صورة الخالق . وكلهم يكفرون الاروسيين واغريق

الاسكندرية القائلين بالطبيعتين ولذلك غريغوريوس النازينزي يقول بأن مصر هي محجة الدين المسيحي ومذهب التلاميذ الصحيح وبنفس النظر عن أساليب كثيرين من هؤلاء الرهبان فاننا نجد بينهم من يُشهد له بالعلم حقيقة كالراهب مكار يوس المصري من دير نظريه (وهو غير مكار يوس الاسكندري) صاحب كتاب الكمال المسيحي الذي هو من خيرة الكتّاب بالفضل والتقى

(٥٣) وكان كثيرون من أغنياء المسيحيين الاجانب يقصدون مصر لزيارة أديرتها، فأحدهم المسمى روفينوس من جوار المدينة الحديثة تريسته يخبرنا بأنه تجشم مشقة السفر للصعيد مع بعض رفقاته وشاهد هناك مدينة أوخيرنيقوس وفيها اثنتا عشرة كنيسة وعشرة آلاف راهب وعشرون الف راهبة وبينهم ثيون العالم باللغات اليونانية واللاتينية والقبطية، وقابل في ضواحي مدينة ليقوبوليس^(١) الناسك يوحنا الذي كان القائد الروماني يعتبره ويستشير به ضد السودان والعربان بتلك الاصقاع. ووجد في دير طبنًا ثلاثة آلاف راهب رئيسهم عمون ناذر بن الصمت، وخمسمائة راهب في دير بالقرب من هرموبوليس^(٢) رئيسهم أبولونيوس رجل ذكي عاقل، أثوابهم بيضاء نظيفة وقلوبهم مثابا. ويقول أيضًا بأنه وجد الوثنية لم تزل شائعة بجوار هرموبوليس ولها تناوش مع أهل ذلك الدير. وانه زار بصحبة ثلاثة

(١) هي اسيوط الحديثة (٢) هي اشمونين الحديثة

من الرهبان عدة أديرة أخرى بقري لا يعرف أسماءها منها فوق
صخرة على حافة النهر ومنها ضمن جدار عال وله بستان فيه أبار
وفاكهة. وواجه إيلياس الناسك بالقرب من أنطينو بوليس. وزار ديراً
بالقرب من هيراقلو بوليس. ورأى في الجهة الارسينوتية بالادأكل
أهلها رهبان أصحاب كدّ وعمل بالحقول وتجارة مع الاسكندرية
ووجد ضواحي مَنف وبابل غاصّة بالرهبان. وزار الاهرام وقيل له
بأنها كانت الاهراء التي خزن فيها يوسف غلات سني الخصب.
وأخيراً زار دير جبل نظريه الذي كان أشهر أديرة مصر ثم زار بيت
القدس وعاد راجعاً لبلاده حامداً مما شاهدته وعرفه

(٥٤) فديهيّاً ربما أننا نستغرب وجود هذا الجهور من الرهبان بين سكان
مصر، إلا أن بالنظر لأحوال ذلك الزمان وما عرفناه من الأسباب
الجارية فيها يرتفع باب العجب ويتضح بأن تلك الرهبنة لم تكن
أولاً الأردّ فعل من عظم فساد اخلاق أكثر الناس بتلك الايام
ودواء لداء لا ينفع فيه غير السمّ فأن شيطان الطيش والبطر
والسفاهة وحب الذات كان قد أخذ بكامل حواس القوم وأصبح
غايتهم الوحيدة بالدنيا، فنفر البعض إلى البراري والقفار مبتعدين عن
هذه الخساسة والسناة. ولما أحبوا الفقرا أحبهم الفقراء والفلاحون
ووزروهم على أعمال الخير والاحسان متبرعين لهم بالعشر من غلاتهم
اقتداءً بالشرعية الموسوية. وبمادي هذا التبرع صارت الكنائس

تعتبره فرضاً وبعد إن كان يصرف كله على الفقراء والبائسين صار
يصرف عليهم منه ثلثه فقط ثم أحاط به الكهنة برمته فماتت منهم الذاتية
(٥٥) وكان صنف من الرهبان يُسمى ريمبوت، وُلِّمًا من الثلاثة
والاربعة يعيشون بالمدن لكنه لا اختلاطه بالجمهور لم يسلم من عدوى
الفساد فساعت سيرته وسقط وتلاتى ذكره

(٥٦) وبهذا الزمان أمر والس باستيفاء الخراج عيناً من الفلاحين
وجعله كسوة جندي عن كل ثلاثين فدائماً فضايقتهم بذلك، ونرى فيه
بقية من الوثنيين بسباقات الخيل في غرة فانهم كانوا يتسابقون فيها
مع المسيحيين، فيعوزون خيلهم بالهتهم والمسيحيون يرشونها بالماء
المصلّى عليه من كهنتهم وبالأخص من راهب يُسمى هيلاريون الذي
كان لما أنه شهرة بالفوز على الاخصام^(١)

(٥٧) وقبل هذا الزمان كانت سطوة العرب تمتد شيئاً فشيئاً بالحدود
الشرقية وانما تجمل القسطنطينية للعرب كان يوقنهم عن التوغل بأمالك
الرومان، لسكن إذ مات ماسكهم قادتهم الملكة ماوية لخرق معاهدتهم

(١) ومن هذا النوع ما يحكى عن سكان السكونكو بأوريقا الشرقية وطريقة
دخولهم بالاسلام ان احدهم طلب من الشيخ حرزا يملفه على ديكه اذا قاتل
ديكا آخر فكتب له الشيخ آية من الفاتحة ولما غلب ديكه اقبل جيرانه على
الشيخ يشترون منه هذا الحرز فاعترض عليهم الرحل بأن الحرز خاصته فصار
الشيخ يكتب لهم احرازاً من آية بعد آية من الكتاب الى ان علمهم
القرآن برمته

مع الرومان فاجتاحوا أرض فلسطين وفينيقيا وتخطوا إمارة حَجَر
متهددين مصر من جهة رأس البحر الاحمر فهادنهم والنس وعمل
معهم مهادنة جديدة . ولأن كثيرين منهم كانوا مسيحيين من مذهب
المصريين اشترطوا عليه اقامة اسقف منهم بالاسكندرية وبثوا لها
كاهناً يدعى موسى الذي بوضوله أراد لوقيوس أن يرسمه لسكنه أبي
الآن أن يكون ارتسامه من الأساقفة الهروموسياتيين المبعدين بالصعيد
(٥٨) ومن هذا الوقت خرجت حَجَر من ملك الرومان وبعد ان كانت
أسقفية عامرة بالكنايس ولها باب نصر جميل ومرسح للالعب لعبت
فيها ايدي سبا وأهملت حتى صارت ركة يعوي فيها الذئب ثم
انقست من الناس اعصاراً إلى ان اهتدى اليها الرحالة بركهرد
وكشف عما بقي من آثارها من وراء الاثل والدفل والشوك

الفصل الثامن

تيودوسيوس الاول . ارقاديوس . تيودوسيوس الثاني

سنة ٣٧٩ م الى ٤٥٠

تيودوسيوس الاول سنة ٣٧٩ م الى ٣٩٤

(١) يمتاز حكم تيودوسيوس بضربه القاضية على الوثنية ، لا سيما وان هذا الدين كان قد ابتداء ان يسقط حتى من قبل ان صارت المسيحية دين الملوك وكان قسطنطين قد زرع أركانه بقله عدة من معابده لكن تيودوسيوس فانه بأول سنة من ملكه سنّ شريعة بأن دين المملكة بأسرها (ما خلا من كانوا يهوداً) هو الثايت ، وبعد قليل أمر بحفظ يوم الاحد عن العمل فيه دون السبت وبعث حاجبه قينجيوس لمصر مأموراً بتنفيذ هذه الاوامر

(٢) فاستقبل أسقف الاسكندرية تيوفيليوس هذه البلاغات بأعظم الفرح والسرور وبأدر حالاً بتطهير معبد مترا وكسر الأصنام بمعبد سيراييس الشهير وعرض ما كان فيه من آلات العبادة لسخرية المسيحيين رغمًا عن وجود كثيرين من اهل المدينة ممن كانوا لم يزالوا

يكرمون هذا المعبد فاجتمع منهم جمهور عظيم وثار مدافعاً عن دينه
وتفاليده من هذا التعدي فاصطدم الفريقان حتى جرى الدم كالسيل
إلا أن الوثنيين كانوا أقل عدداً فاضطروا للانزمام وهرب زعماءهم
من الاسكندرية خوفاً من الحكماء

(٣) ثم استأنف الأسقف هدم معابدهم وكسر أصنامهم فصب منهم
أجراساً، إلا صنماً واحداً أبقاه ليكون سخرية لرجاله. وقطعت الجنود
صنم سيراييس الحسبي بالفؤوس وأحرقوه أما رجلاه فيظن بأنهم
كانتا من الرخام واحداهما الآن محفوظة « بالبريتش موزيوم » في
لندن ولا دليل على أصلها إلا كبرها

(٤) وعند انتهاء معبد سيراييس نشأت السبعمائة الف كتاب التي
كانت فيه لأن المؤرخ الاسباني أوريوس الذي زار الاسكندرية
بالعهد التالي لم يجد فيه طلبة الكتب أثراً سوى الخزانات الخاوية

(٥) وهنا يجبرنا الانصاف أن نقول بأن كل اضطهاد ديني هو ممقوت
أركان من وثنيين أم مسيحيين لا سيما وأنه يصيب أحرار الناس
أكثر من سواهم فإن الذين اضطهدهم أسقف الاسكندرية كانوا
من علماء ذلك الزمان حنفاً، وأحدهم أوليوس كاهن معبد سيراييس
كان مع كبر سنه ومقامه رجلاً وديماً حليماً عاقلاً مسموع الكلمة
لا عيب فيه كفضل شهداء المسيحيين ومثلهم حر الافكار، لا بل ان
الفرق بين الاضطهادين هو بعيد جداً لأن الوثني كان عن سياسة

واققتصاد فقط . واما المسيحي فكان عن غلوّ بدين اساسه الرحمة
والوداعة سليم دواعي الصدر لا باسطاً اذى ولا مانعاً خيراً ولا
قائلاً هُجراً

(٦) وبعد هذا الاضطهاد لم يبقَ للوثنيين معابد ولا مدارس يأوون
اليها بالاسكندرية فانسحب البعض منهم الى قانوبوس وفتحوا
هناك مدرسة لتعليم الكتابة القديّة وبالاخص للسحر والطلاسم .
وتحولت معابدهم لكنائس طُمست نقوشها وصورها بالطين والكس
ولكن الآن وقد مات اهلبا فقد قُشط عنها الطين وها هي ترى
الآن فلا تحرك عاطفة ولا ساكناً .

(٧) وثابر المصريون المسيحيون على تحنيط موتاهم كالسابق ، رغمًا عن
تحریمها عليهم من انطونيوس . أما اغوسطين فكانت بالضد يحمّد
من ثباتهم عليها ، يقيناً منهم بالبعث . وكانوا قبلاً يصورون ايزيس
كالنجم سيروس طالماً مع الشمس عند اول فيضان النيل ،
فصاروا يصورون العذراء فوق هلال صاعدة للسماء . وكانوا
يشعرون الشموع بمعابدهم المظلمة ، فصاروا يشعرونها بالكنائس الفيز
مظلمة . وكان لهم عيد يُسمى عيد الشموع ، فصار عيد الشعائين .
وكانوا في الخامس والعشرين من شهر طيبي الموافق عشرين من
كانون الثاني يعيدون بأكلهم الحلاوى فصاروا يأكلونها في
(١١)

السادس من هذا الشهر بعيد الظهور . كما انهم بوضعهم بالقرن الرابع رتبة كهنوتية قد اتبعوا بذلك الطريقة المصرية القديمة التي لم تكن تعرفها الاغريق ولا الرومان وبنينا كهنة مسيحي الدنيا تلبس الصوف كان لباس كهنة مصر من الكتان النقي البياض كلبس كهنة الاوثان من قبل ، او لأنه كما جاء في كتاب الوحي «لبس الابرار» . ثم انهم قلدوا اولئك الكهنة بخلق واسط رؤوسهم . ومن قبل النبي سنة كان للمصريين كاهن في ثيبه لقبه حاجب باب السماء ، فصار حامل مفاتيح السماء البابا

(٨) وبعد أن صار الايمان بالثلث اجبارياً انتدب الامبراطور مائة وخمسين استقفاً للقسطنطينية لتقرير قانون الايمان النقي فصادقوا عايه ولعنوا الاريسيين وطردوهم من كنائسهم ففرح بذلك المصريون والعرب وازدادوا محبة وولاء الامبراطور حتى انه لما احتاج لجند يثق به ليرسله لتساليا لم يجد أوثق من المصريين لهذه الغاية

(٩) وإذ حان الوقت لفيضات النيل بتلك السنة ولم يفر ، ضجّ الوثنيون وتفاءلوا من خراب معابدهم وهياكلهم حتى خشى الحاكم اواغريوس ان يعقب ذلك شغب وقاتل فكتب يخبر الامبراطور بالامر لكن اذ بعد قليل فاض الماء زال البأس وسكن الناس

(١٠) وبعد زمان اثناسيوس وسقوط الاريسيين بالاسكندرية

انحصرت العلوم عند الوثنيين كشيون وقافوس وديوقنطوس ممن وصات الينا كتبهم بالحساب والجبر والهندسة والاسطرلاب الصغير وفيضان النيل والسنة المصرية من ٣٦٥ يوماً، اما بولس الاسكندري فانه يحسب السنة من ٣٦٥ يوماً وربع يوم على التقويم اليولياني مبتدئاً من عهد ديوقليتيان . ومن تفصيله عن كيفية معرفة يوم الاسبوع من معرفة يوم الشهر وطريقة معرفة رأس السنة بأي يوم يقع من الاسبوع نعلم بأن تقسيمنا الايام الآن هو عين تقسيم المصريين . كما ان من سرده اسماء الآلهة المختصين بايام الاسبوع نعلم بأن تسميتنا لها منقولة عنهم ايضاً . وقبل ذلك كان المؤرخ هيرودوتوس قد أشار الى مثل هذا ، وديون قاسيوس يزيدنا بأن كل يوم من اسبوع المصريين هو باسم نجم وان سبت اليهود كان يُسمى « سب » وهو ساتورن الرومان وزحل العرب

(١١) ومن كتبه هذا العصر كان المنطقي هورابولو احد أساتذة الاسكندرية ثم القسطنطينية ، ألف كتاباً باغة القبط يفسر فيه الكتابة الكهنوتية ترجمه ليونانية كاتب يدعى فيليب ولكنه لم يحسن الصنعة فأتت ترجمته قليلة الفائدة

(١٢) ومن نتائج اضطهاد الاريسيين بأول هذا العهد كان تعطيل المدرسة العليا المسيحية التي كان يرأسها غودون خائف ديديوس الاعشى والثالث عشر من رؤسائها الفضلاء مدة القرنين الاخيرين

منهم اثنان ام ثلاثة على المذهب الهوموسياني بينما اكثر التلامذة كانوا اريوسيين ، فلما عادت السلطة للهوموسيانين انسحب غودون مع تلامذته الى صيدا من بفيليا ولم يبق بالاسكندرية مدرسة عليا الا عند الوثنيين وضاعت حينئذٍ منها تعاليم اقليمس واوريجين وهيراقلاس وديونيسيوس

(١٣) فلم يخرج بهذا الزمان كاتب من مسيحي مصر البتة اذ يوجد لمطران الاسكندرية تيوفيليوس رسالات سنوية كانت يصدرها لاساقفة مصر مبيّناً لهم فيها يوم الفصح وفيها طعن بحق اوريجين ترجمها جيروم للاتينية . وكان بالصعيد الراهب يوحنا الموصوف بالقداسة وروح النبوة وكان الامبراطور يعتبره ويستشير به بمخاطوئه

ارقاديوس سنة ٣٩٤ م الى ٤٠٨

(١٤) ولما توفي تيودوسيوس انقسمت المملكة مرة اخرى ، فان ابنه الاكبر ارقاديوس استولى على القسم الشرقي منها وابنه الاصغر هونوريوس على القسم الغربي ، اما الحاكم فعلاً في مصر فكان الأسقف تيوفاييوس خصم الاريوسيين مذهباً والاغريق سياسةً وبذلك استمال عواطف المصريين لجهته . ولما رهبان الصعيد زعموا أن بسفر التكوين وقانون ايمان نيقيا تصريحاً بتجسد الخالق ، وانكر عليهم ذلك ديوسقوروس اسقف هرموبوليس ورهبان شطيس

مستشهدين بقول اوريجين ان الخسالىق هو روح لا غير، رأى تيوفيلوس أن يطاوع الاولين وحزبهم الأقوى . ولكونه لم يجتهد على تكفير اوريجين بالاسكندرية فطاب من ايفانوس أسقف قبرس أن يسنده وهذا جمع في سلاميس اساقفة الجزيرة وقرر معهم تكفير اوريجين ، ذلك الفاضل الذي ظل مدة قرنين من الزمان قدوة للمسيحين وامامهم

(١٥) ولم يكن هذا الخلاف لينتهي بالجدل فقط بين المصريين اكان الموضوع مسيحياً أم عاجلاً أو تمساحاً فان اثناسيوس قام بجنود الاسكندرية الى جبل النملون واجتمع اليه رهبان الصعيد فكبسوا منازل رهبان شطيس وأحرقوها وعاثوا في اهلها

(١٦) وهكذا نرى اننا كما تقدمنا بتاريخ المسيحية المصرية كما زدنا حزناً وأسفاً فان الناس شرعوا بهذا الزمان ينبشون قبور الشهداء والقديسين ليتبركوا بعظامهم ويستشفون بمسماها وازدحت كنائس القسطنطينية بالموميات حتى ان يوحنا فم الذهب شكر من مصر لتغذيتها اجسام فقراء العاصمة بمخاطها وقلوبهم بايمانها ، وقال هذا وهو ليس من مذهب المصريين

(١٧) ومن تقاليد المسيحيين الوثنية بذلك الزمان كان اكرامهم لبعض اشجار بأنها مقدسة . فقالوا بأن الأبخ (برسيا) هي شجرة يسوع المقدسة لأنها أظلته وابويه حينما أتوا مصر وسجدت له . وان شجرة

منها في هرمو بوليس كانت تشفي مرض لامسها وان الامبراطور يوليان أمر بقطعها نكابة بالمسيحيين وكانوا يزرعون هذه الاشجار في حدائقهم واذا ذبلت قالوا بأن الوثنيين كانوا يؤذونها فأمر ارقاديوس بأن كل من قطع أو باع شجرة منها يعرم بدفع جزاء قدره خمسة ارطال من الذهب، ولكن رغمًا عن ذلك فإن وجودها انقرض مع الزمان ربما لعدم معرفتهم بطريقة تربية شجرة غريبة لا علم لنا بحقيقة جنسها الآن انما اكثر الظن بأنها كانت شجرة السام (ميموزا) التي اذا مستها يد حنت أغصانها كأنها تسام ولذلك تحبها العرب وتحرم أذاها

(١٨) وقد رأينا انحطاط العنصر اليوناني بالاسكندرية بسقوط الحزب الاروسي بالمائة السنة الاخيرة فالآن نرى ايضًا انحطاط الاسكندرية من ثروتها وعجزها عن نفقة تنظيف النهر والترع بجوارها لأننا نرى الامبراطور أمراً بتخصيص اربعمائة صولدي من مدخول كاركها لهذه الغاية وذلك عبارة عن مائتين واربعين ليرة من عماتنا الدارجة

(١٩) وبهذا الزمان اشتهر قلوديان اليوناني الاسكندري بشعره اللاتيني حتى كاد أن يُعدّ من طبقة ورجيل ولوقريتيوس واويد وكان ارقاديوس واخوه هونوريوس يكرمان منزله كثيراً

(٢٠) وكان بهذا الزمان من مشاهير الغرباء بالاسكندرية النطاسي يولس من اجينا، جزيرة بالقرب من اثينا، له كتاب بالطلب مفيد

وسيزينيوس الفيلسوف الافلاطوني المنتصر على يد البطرك تيوفيليوس الذي لم يعترف بالبعث الا بعد أن صار أسقفاً على البطلسيه ، بالقرب من القبروان ، وهو رجل متزوج مع ان القانون يستدعي عفة الأسقف . وكان البطرك قد سأله أن يترك زوجته لدى ارتسامه اسقفاً لكنه أبى هجرها ، لابل قام معها يخدمان الدين والرعية أحسن خدمة . وكان قد درس الرياضيات بعصاه على الاستاذة هبأثيا ابنة ثيون الوثنية فخلل يكاتبها من البطلسيه بالمسائل العلمية ويكلفها بارسال آلات الرصد التي أهدى منها اسطرلاباً للقائد الروماني رفيقه هناك

(٢١) أما من وجه الحالة الاقتصادية فان مصر كانت حينئذ بأسوأ الحالات . فمن جهة كانت قبائل افريقيا تسلبوا على ليبيا وبعض الارياف فتسلب وتمهب ما أمكنها ومن الجهة الاخرى كانت الرمال تسبوا على المزارع فتعطلها حتى ضاقت الاماكن على الفلاحين فهجروها وتحول اعظمها الى مستنقعات وبائية وأهملت المقالع لتوقف البناء ، ومناجم الذهب لفراغها منه . وكان سيزينيوس يرى هذه الحال بعين ملؤها الدموع من فقر البلاد ويسأل الله اعلمه بالعباد ليلاً ونهاراً

تيودوس الثاني سنة ٤٠٨ م الى ٤٥٠

(٢٢) واذا مات ارقاد يوس خلفه ابنه تيودوسيوس وهو بسن الثماني

سنين وبعد ذلك بخمس سنين مات البطريرك تيوفيليوس فتجدد النزاع بين الاريسيين والهوموسيين على خلفه فاولئك كانوا يريدون تيموتاوس وهؤلاء، وهم الاكثرون، كانوا يريدون كيريل نسيب البطريرك المتوفي فتجادلوا وتشاحنوا وتضاربوا بالأسواق ورغمًا عن ميل القائد ابوندتينوس للاريسيين فان الفوز كان لحزب كيريل فأقاموه بطريركاً

(٢٣) ولم يكن كيريل أقل بغضاً من سابقه للاريسيين ولليهود أيضاً وكثيراً من الأوقات كان المسيحيون يتعدون على اليهود لا سيما في مرسح الالعاب والرقص يوم السبت فتخاصموا يوماً وفصات الجنود بينهم قبل أن يؤل الامر الى قتال لكن المسيحيين ادّعوا بأن اليهود تهددوهم بحرق بيعتهم فتجمعوا باليوم التالي وعلى رأسهم البطريرك وهجموا على كنائس اليهود فتهبوسا وأحرقوها وطردوا كافة اليهود من المدينة

(٢٤) فاستاء الحاكم اورستيس من تصرف البطريرك ولا سيما من خسارة الجزية اليهودية ولكن لما بلغ رهبان جبل نظريه بأنه يرغب التعرض للسلطة الكنائسية هزلوا للاسكندرية وتجمعوا بأسواقها. واذا مرّ بهم الحاكم بعجلته شتموه صارخين بوجهه «يا وثني يا اغريقي» لا بل ان احدهم عمونيوس رماه بحجر أدماه فسل حرسه سيوفهم وبددوا هؤلاء الرهبان وطردوهم من البلد وقبضوا على المجرم وقتلوه فاعتبره

البطرك شهيداً وابنه باسم القديس توما، لكن لما الجمهور لم يطاوعه على ذلك برجل أحق عدل عن رأيه والنهي التابن المذكور (٢٥) إنما كل هذه الشناعات لا تعد شيئاً إزاء ما كان من جنابة هذا الأسقف ورعيته فيما بعد. فان هبأثيا إينة ثيون المذكورة آنفاً المولودة سنة ٣٧٠ زوجة ايزيدور الفيلسوف البديعة الحسن والكمال ومعدن اللطف والذكاء، ومن عام آزمانها الملقين، وخطباء المدرسة الأفلاطونية المعدودين، كانت عن غير قصد منها قد أتارت حقد الهوه وسين عليها لعدم اتباعها دينهم فعمدوا نيتهم على هلاكها وترقيوها يوماً وهي مارة بعجلتها فهجموا عليها وسلوها من مركبتها وجروها وراهم على الأرض إلى معبد قيصر وهناك جردوها من ثيابها ورجعوها حتى ماتت ثم مزقوها إرباً إرباً وحملوها لأتون خارج المدينة أحرقوها فيه وذلك في الصوم الكبير سنة ٤١٤^{٤١٥} ولضعف الحكم ذهب دمها هدراً (٢٦) وبهذه الأيام انحصر المذهب الأريوسي بين الجنود اليونانية، فالذين كانوا يحصن بابل أقوى حصون مصر بنوا فيها كنيسة لهم باسم القديس جرجس أي الاسقف الاربيوسي الأخير، والذين كانوا بالبطلسية فعلوا نظيرهم ولم يزل اسم هذا المكان جرجا وصاروا يسمون صورته كفارس يشك برمحه تيناً هو أثناسيوس الهوموسياني كما هي صورته على بعض النقود الانكليزية. أما اتخاذ الانكليز القديس جرجس شقيقاً لملكهم لا يُعرف له باب إلا أن تكون الصورة

أعجبهم فنقلوها . ولكن القديس الذي يستحق أن يسمى شفيعاً لهم فهو
غريغوريوس لأنه كان أول مبشر لهم بالمسيحية فرجأ انهم قديماً قد
اشتبهوا بالاسمين لقرب مخارج حروفهما فبدلوا أحدهما بالآخر وهم
لا يشعرون

(٢٧) أما الهوموسيون فكانوا يبنون كنائسهم على اسم القديس
اثناسيوس وصاروا يسقفونها بالخشب عوضاً عن الصفاح القديم ثم ان
تيودوسيوس لكثرة الوفود التي كانت تأتيه من الاسكندرية
بسمايات ضد البطرك أو الحاكم أمر بأن لا يخرج اليه منها وفد إلا
بإذن الحاكم ورأي المجلس البلدي فاستراح هو ولكنه فتح باباً
لاستبداد الحكام لا طريقة لسنده

(٢٨) وبهذا العهد نُفي يوحنا فم الذهب من أسقفية القسطنطينية لاسباب
لا تعلق لها بتاريخ مصر سوى أن المحرك فيها كان أيضاً أسقف
الاسكندرية . ونُفي معه بلاد يوس أسقف غلطة مبعداً إلى اسوان
وهذاله كتاب تراجم كثيرين من نساك الصعيد الذين عرفهم قبل هذا
الوقت ثم لما أفرج عنه سار قاصداً بلاد الهند ليطلع على حكمة براهمتها
وبوصوله إلى عدوله على البحر الأحمر وجد هناك أسقفها موسى راغباً
بمراقبته فركبا مركباً تجارياً سار بهما طويلاً وبعد مشقة بلا فائدة
عاد بهما خائبين من غرضهما فصعد بلاد سيوس إلى ثيبه وهناك تعرف
بتاجر اسمه قوسماس وقص عليه خبر سفره فأجابه هذا بأنه قد أفلت

(٢٩) من بلاء عظيم لانه هو أيضاً سافر مرة قاصداً الهند لكنه أخذ أسيراً في جزيرة سيلان ولم يتيسر له الهرب منها الا بعد ست سنين مرة جداً وكان أسقف القسطنطينية بهذا الأثناء نسطور يوس ولأنه أنكر على الجمهور قوالم مريم أم الله وقال بل هي أمة الله واضطرب الناس لذلك حشد الامبراطور مجمعاً من أساقفة المملكة بافسس ليحكموا بالخلاف فحكموا بتضليل نسطور يوس فنفاه الامبراطور إلى حبيبه بالمرج الكبير بين أخصام مذهبه لكن لما بعد ذلك سطت العربان على المرج هرب منهم إلى بانوبوليس وتوفي فيها على أثر مشقة الفرار إلى بالصحراء

(٣٠) وبالقرب من هذا الزمان جاء مصر الراهب الغالي قاسيانوس ليدرس قوانين الرهينة الصعيدية ومن كتاباته لآخوانه في إيطاليا وغيرها من بلاد المغرب يظهر بأنه كان يجب لهم هذه المعيشة لان كثيرين منهم أتوا مصر وقطنوا الصعيد، ولعدم معرفتهم لغات القوم القبطية أو اليونانية وجب إرسال قوانين الرهينة لجيروم في روما ليترجمها لهم وهم الذين نشرها في تلك الجهة من مصر رسم الخواري بطرس قابضاً مفتاحاً. ويرى الآن رسمه على جدران معبد السبوعه القديم بالنوبة مواجهاً صورة رمسيس الثاني الذي أصلاً كان يواجه أحد الآلهة مقدماً له هداياه

(٣١) وللرهبان فضل لا ينكر لانهم ترجموا العهد الجديد للثلاث لغات القبطية وهي الصعيدية والبشورية والقبطية الصحيحة لغة الارياف

وترجموا قوانين مجمع نيقيا وأخبار الشهداء والآباء الاولين وقوانين الكنيسة القبطية وكتاب الحكمة الدينية المسعى بستيس صوفيا الذي ينكر معجزة الحمل يسوع ويزعم بأنه إذ درج أتاه الروح القدس بصورة صبي من سنه وعانقه فامتزجا وان من هذا الامتزاج كان اتحاد الطبيعتين يسوع

(٣٢) وترجموا التوراة والانجيل لليوناني مكتوبين على جنس من الورق لكن أقدم صورة وصلت الينا من هذه الترجمة هي على الرق . صورة منها بالواتيكان وأخرى بمكتبة باريس وأخرى في بطرسبرج وأخرى بالبرتش موزيوم جميعها من نقل الاسكندرية . والاوليتان ربما هما أقدم هذه النسخ . وبمقابلة النسخة التي في لندن على التي بالواتيكان يظهر لنا كيف كان التدرج للمجدال بين علماء اللاهوت عن يسوع لقول بعضهم « نُنُّ بوسِّه بكاره » وقول آخرين « بوسِّه نُنُّ بكاره » اي لا يقدر يخطيء أو يقدر ألا يخطيء . أما الترجمة اللاتينية المسماة « ولجات » فانها منقولة عن ترجمة يونانية قديمة ولضعف لغتها وترجمتها الحرفية بدون اعتبار وضع الكلام بين لغة ولغة يظهر بأن مترجمها كان يونانياً من الاسكندرية

(٣٣) وبهذا العصر تقدمت صنعة عمل الورق من الفافير (ومنه اسم الورق بلغات الافرنج لكون الفاء والياء مترادفتان) حتى جاز أن يسمى ورق الكتاب أي الكاغد اما ورق الفافير المستعمل بأول

قرن من هذا التاريخ فكان يؤخذ على طبيعته ويلصق بمادته ، ثم بالقرن الثالث صار يلصق بالغراء انما ورق هذا الزمان لم يكن بقوة القديم منه فلم يبق له أثر . وبوجه الاجمال لا يوجد كتاب مسطر قبل القرن الحادي عشر إلا ما هو على الرق

(٣٤) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية بعض شبان الأرمن لدرس اللغة اليونانية وتصحيح ترجمة الكتاب المقدس وكان بينهم موسى الخوري بني الذي عرف فيما بعد بمؤرخ الارمن . وكلهم كانوا مرسلين بعناية البطررك اسحق والعالم مزروب ، رجائين من أهل الفضل والذكاء ، وغايتهما كانت إبدال حروف لغتهم المنقولة عن لغات الفرس والاعريق والسريان بحروف يونانية تناسب مخارج لغتهم وأيضاً تصحيح ترجمة الكتاب المقدس المنقولة عن العبراني والسرياني على الصورة اليونانية فلما وصل هؤلاء الشبان للاسكندرية لم يجدوا فيها أستاذاً مسيحياً فاضطروا لدخول المدرسة الافلاطونية التي كان رئيسها سيرانوس فقرأوا فيها كتب اللغة اليونانية والتاريخ وتاريخ أرمينية لموسى يشهد باستفادته كثيراً من هذه المدرسة . ولما اكملوا دروسهم عادوا لبلادهم فازدهت أنديةها بعلومهم وآدابهم ولم تزل مؤلفاتهم بأيدي رهبانهم بدير القديس اليعازار بالبندقية واكثرها منقول على رق قديم مغسول يظهر فيه أثر من آيات الكتاب المقدس بلغة اليونان القديمة

(٣٥) أما كتبة هذا الزمان المسيحيون فما منهم من يستحق الذكر . فان

كبيريل البطريرك لم يترك لنا سوى تشييعه على التسطوريين ويوليان
والرهبان المجسمين . وايزيدوروس ترك رسالات دينية جدلية كتبها
من بلوزيوم ونونوس من بانو بوايس الذي ترجم انجيل يوحنا شعراً
وله نشيد بوصف باسوخس الاله الخمر اليوناني

(٣٦) وكانت رهبان جبل سيناء عرفة بذلك الزمان لتعدي العربات
لا حصن لهم سوى القمريين تلك الجبال حول وادي فاران وسفوح
جبل سربال وكان جبل سربال يسمى أولاً جبل سفر والعرب
لأن تسميه وادي المكتب . انما اسمه الاول فلاعباره منزل الوصايا
العشر والثاني فليسب الكتابات التي تركها الزوار على صخوره من
الف سنة أو أكثر قبل هذا الزمان ، بعضها رومية و بعضها عبرية
من زمان حزقيا لا يفهم منها الا القليل

(٣٧) وكما كان الطب قديماً من اختصاص الكهنة كان صنف من الرهبان
أيضاً مصلحة الطب يسمى فارابلافي لداواة وخدمة المرضى المحتاجين
بجانا . فحصل له اعتبار من الحكام وحاز على امتيازات وعلوفة من
الدولة مما جعل كثيرين يرغبون الاستخدام فيه حتى من ذوي الثروة
لكن الدولة رأت أن تحصره بستائة نفر من ذوي الحاجة . وكان صنف
آخر من الرهبان يعنى باسعاف الفقراء والغرباء البائسين

(٣٨) ورأى الامبراطور قعر الاسكندرية بهذا الزمان فأمر بزيادة مائة
وعشرين أردبا من القمح للاحسانات اليومية ومنح أعضاء مجلس

البلدية امتيازات تتشابه على الخدمة وبنى كنيسة كبيرة على اسمه
وأمر الحاكم بترميم الكنائس العتيقة وبناء كنائس جديدة
بقدر الامكان

(٢٩) نعم ان الوثيقة كانت قد ضعفت جداً بعد هدم معابدها إلا أن
علماء الفلسفة الغير متصدين كانوا لا يزالون من مدرسي العلوم الرياضية
واللغة والتاريخ بالاسكندرية لكنهم لانكسار شوكتهم واهمهم
من الدولة صدمت قرائنهم فالتحقوا اشتغالهم بتفسير أرسطو وأفلاطون
والجدال بأبهما الأفضل . ثم لما انتقل سيرانوس رئيس المدرسة
الافلاطونية إلى أثينا صارت هي الكرسي لهذه الفلسفة

(٤٠) أما فلسفة أرسطو فكان الاستاذ فيها بالاسكندرية أوليودوروس
الصعيدي المولد الذي تعلم منه ان بزمانه كانت الزراعة بالصعيد نامية
جدداً وانها كانت تُسقى كل ثالث يوم مرة بالصيف وكل خامس
يوم مرة بالشتاء من آبار عمقها مائتان الى ثلاثمائة قدم فتعطي موسم
من الشعير وثلاثة من الدخن بالسنة . ويقول بأنه زار أرض النوبة
قاصداً جبل الزمرد بالصحراء العربية بين قبطوس وبرينقة التي هي
الآن ساقية القبلة بالجبهة الغربية من البحر الاحمر ، لكنه لم يصل اليه
لاعتراض العربان بتلك الجهة . ويوجد له كتاب بالكيميا في مكتبة
باريس لم يطبع بعد

(٤١) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية فروقلوس للدرس فيها ، قرأ

فلسفة أرسطو على أوليبيودوروس والرياضيات على هيروديان على ليوناس والمنطق على اوريون الذي كان يفتخر بأنه من نسل كهنة ثيبة ، ودرس اللغة اللاتينية بمدرسة الرومان ونبغ فيها ثم مال للدرس فلسفة أفلاطون فلهق بسيرانوس في أثينا وفيها صنف كتبه بالرياضيات والفلسفة الأفلاطونية على منهج خاص له ربما شغل فيه أكثر من شطط بلوتينوس بالموضوع . وهذا شأن كل مذهب اما بالزيادة اما بالنقصان يضيغ معهما التقصد الاول

(٤٢) ومن هاجر من علماء ذلك الزمان لاثينا ففريتوس وأوريون وأسقليبيودوتوس الكاتب بالعاب والرياضيات والآداب وهو برهان على وجود بقية لم تعتق الدين الجديد، لا بل ان كثيرين من الناس كانوا يزولوا على اعتقادهم القديم لأننا نراهم سنة ٤٣٦ بمجتمعين سرا بالليل باحدى مراسح الاسكندرية للاحتفال بعيد النيل لما سقط بهم المكان وهلك منهم بسقوطه خمسمائة نسمة أو أكثر

(٤٣) وبهذا الوقت كانت إدارة الأمور الخارجية بالقسطنطينية متعلقة بوزيرين من الأعيان أحدهما للمشرق والآخر للباقان وكانت مصر حينئذ متسومة إلى ست ولايات، القيروان والمرج والصعيد والأرياف الغربية والأرياف الشرقية وليبيا . وكل وال من ولايتها له دائرة من مستشارين وقضاة ومحاسبين وكتبة أما الجنود فكانت موزعة بين خمسين من مدنها كبا تحت قيادة أمير كبير ودوقين لو كانت

قوتها بنسبة عددها لكان حكم هذا الامبراطور يُعدُّ بعظمة حكم اغسطوس لكن الجنود الرومانية واليونانية كانت بينها قليلة والباقي كانوا اخلاطاً اكثرهم من رعايا الافرنج والمغاربة والصرمط والاشوريين والبلقانيين والافريقيين والسودان ، بينما حامية العراق كانت من السودان وحامية تراسيا اكثرها من عربات الصعيد بنجيلهم وجمالهم ، لان القبط كانوا قد نسوا الرجولية من زمان طويل لا يصلحون للجنديَّة . وكان جبي الخراج مناطقاً بعدة امراء ومستخدمين بكل من هذه المقاطعات ما عدا الاسكندرية التي كانت لا تعطي خراجاً بل تستفيد منه

- (٤٤) ثم بعد قليل من هذا الزمان انقسمت الولايات الى ثمان ، الصعيد الأعلى وفيه احدى عشرة مدينة والصعيد الأوسط والمرج الكبير وفيهما عشر مدن ثم القديوان ثم شطر من ليبيا جهة مصر ثم شطرها الآخر جهة الصعيد ثم النصف الغربي من الارياف ثم نصفها الآخر ثم بوسطي التي هي الآن تل البسطه الى البحر الاحمر منها ما كان تحت حكم دوقا ومنها تحت حكم قائد عسكري ومنها تحت حكم متصرفين ، أي ان مصر اصبحت اقليماً رومانياً
- (٤٥) ولكن بينما كانت دولة المشرق تزداد ضعفاً ونحولاً كان المغرب يهول الى الخراب التام هرولةً بسبب انتفاض الولايات الاوربية
- (١٢)

وشطوط افريقيا على الدولة . فالغوط اهل جنوب الدانوب سطوا
 بأول هذا العهد على ايطاليا ونهبوا روما تحت قيادة ملكهم العريق
 وبعدهم جاء الهن من شمالي الدانوب تحت قيادة ملكهم اتيلاً
 واستولوا على شمالي ايطاليا بعد موت تيودوسيوس الثاني بستين
 ولولا ان التليان يرضونهم بالمال ويموت اتيلاً لكانوا دخلوا روما
 ايضاً ونهبوها ولكن لم تكن هذه الوسائل والمرقّادات مما يفيد المرض
 العضال ، فانشقت المملكة الى نصفين وانفصلت مصر عن روما
 انفصالها الاول بعد ائتلافها مدة سبعائة سنة وعادتا غريبتين
 بعضهما عن بعض كما بالزمان الذي فيه ارسلت سناتور روما بعثاً
 لبطليموس فيلادلفوس تخطب مصادقته

الفصل التاسع

مرقيان . ليو . ليو الثاني . زينو . باسيل . انستاس

سنة ٤٥٠ م الى ٥١٨

مرقيان سنة ٤٥٠ م الى ٤٥٧

(١) ولما مات تيودوسيوس الثاني استولت اخته بولشيري على زمام الملك وعمرها اثنتان وخمسون سنة واختارت مرقيان احد الاعيان زوجاً لها واصله كان جندياً ككثيرين من ملوك الرومان ، فوجد المنازعات الدينية قد عادت بصفة جديدة بين المسيحيين بعد ان كادت بزمان قسطنطيوس ووالنس ، بالتحزب للهوموسيين والاريوسيين ، ان تفصل مصر عن جسم المملكة لولا تلافي هذا الخطر من تيودوسيوس الأول وسلفائه بحسن سياستهم . فان كاهنهم يدعى اوتيخيوس اخذ يعظ بهذا الزمان بالقسطنطينية بالطبيعة الواحدة ضداً لمذهب رؤسائه القائلين بالطبعتين ، واذ طرده البطرک من الكنيسة انتصر له ديوسقوروس بطرك الاسكندرية خلف كيريل ، وكفر اسقف القسطنطينية فرأى الامبراطور ان يجشد اساقفة

المملكة للنظر في هذا الخلاف فاجتمع منهم ستمائة واثنان وثلاثون استقفاً في خلقيدونيا وحكموا بضلال الكاهن المذكور واستقفاً الاسكندرية فعزله الامبراطور واقام بروتيروس عوضاً عنه (٢) وكانت مصر إذ ذاك قد تبرأت تماماً من مذهب اريوس وأحدثت على مذهب الطبيعة الواحدة الذي صار فيما بعد يُعرف بالمذهب اليعقوبي فأبت أن تأخذ دينها عن اغريق القسطنطينية وأنكرت قرار مجمع خلقيدونيا

(٣) وهكذا عند دخول بروتيروس للاسكندرية محفوفاً بالجيش استقبله الجمهور بالرجم والسهام . ولما التجأت عصابته الى معبد سيراييس الشهير اضرم المصريون فيه النار وأبادوهم عن آخرهم واستبدوا بالمدينة حتى اضطرَّ الامبراطور ان يعث جيشاً ضدهم ، فحاصروا المدينة وهدموا اسوارها واقروا الاسقف على كرسيه . ثم امر الامبراطور بتسكير مراسع الالعباب وقطع الاحسان من الخراج مدةً من الزمان عقاباً للمدينة

(٤) وبينما هذه الحوادث تعرقل الحكام وتزعزع اركان الدولة كانت العربان تكتسب جرأةً لتشويش اطراف المملكة والتعدي عليها حتى في جنوب الشلال . ولمدة ما كانت الحامية الرومانية المقيمة في اسوان قادرةً أن تصدم عن التوغل بالبلاد ، لكن إذ انضم اليهم النبط دخلوا الصعيد وامتلات ايديهم من الغنم حتى حسبوا

أن لا قوة تقدر على ردّهم . فخرج اليهم القائد مقسيمينوس ونال منهم فطلبوا الصلح حالفين بأنهم بالآ يتخطوا حدودهم ما دام مقيماً في ثيبه فأبى مصالحتهم على هذا الشرط واشترط عليهم ردّ السلب والاسرى والمهادنة لمائة سنة ووضعهم الرهائن من أكابرهم بين يديه ، فرضوا بذلك وصالحوه

(٥) لكنه بعد قليل مات فتحرك النبط من جديد وخرقوا المعاهدة واستعادوا رهائهم وعاثوا في البلاد كالأول

(٦) فبانتصار هؤلاء النبط تلاشت المسيحية من الصعيد وعادت الوثنية الى ما كانت من قبل سبعين سنة ، لا بل ان البعض ممن كانوا قد تنصروا رجعوا يصلّون لايزيس وسيرايس

(٧) اما النوب ، مجاوري هؤلاء العربان ، فيظهر بأنهم كانوا ارقى منهم بالمدينة لاننا نجد كتابة رومية بلغة رديّة من هذا الزمان أم بعده قليلاً على جدار معبد طاميس التي هي الآن قرية قلابشي ، تشير الى ان ملكهم سلخو قد حارب هؤلاء العربان اسلاف البشارية الحديثين مراراً عديدة واطاعته البلاد من طاميس الى فرميس وكان يوصف بالمريخ والاسد ومن اعظم ملوك الدنيا ، انما تلك البلاد كانت بتوالي الاضطراب المحيط بها قد تعطلت زراعتها بنصف مساحتها والرمال غطت على النصف الآخر منها مع ما فيه من المعابد

والاصنام كأنها تخفيها عن انظار لم تعد تعرف لها قدراً لتبقى عبرة
لقوم آخرين

ليو سنة ٤٥٧ م ٤٧٣

(٨) ولما مات مرقيان خلفه ليو وكان اول امبراطور قسطنطيني توجه
اسقف. فاعتزم الاسكندريون فرصه غياب القائد ديونيسيوس بحرب
النبط واستقطوا بروتيروس من كرسي الاسقفية ونصبوا عوضاً عنه
الراهب تيموناوس العروس اليعقوبي وبلغ ذلك ديونيسيوس فهرب
مسرعاً للاسكندرية لكنه لم يصلها حتى كان العصاة قتلوا بروتيروس
بصومعته وعلقوا جثته بالترافيلون ، ولأن الأعيان شاركوا الرعاع
بهذه الجناية خشي الامبراطور لئلا تكون الحركة سياسية تحتاج
لتدبير سياسي فاستشار الاساقفة كي يدّوه برأيهم لكنهم كانوا
كالمصريين لا يهمهم شيء سوى المذهب فألحوا عليه بالتمسك بقرار
مجمع خاقيدونيا وعزل الاسقف اليعقوبي فاضطر الى مطاوعتهم
واقام اسقفاً آخر اسمه ايضاً تيموتاوس الذي صار يعرف
بالامبراطوري

(٩) ثم انتفضت ليبيا عليه فأخضعها بقليل من الجند تحت قيادة
هيراقليوش ، الا انه لما كان على شطوط قرطاجنه ليسترد البلاد من
الوندال فقد عمارته كلها وبعد قليل توفي

زينو سنة ٤٧٤ م الى ٤٩١

(١٠) ولما مات ليو سنة ٤٧٣ خلفه حفيده ليو الأصغر لكنه بعد سنة مات هو ايضاً وخلفه ابوه زينو وكان رجل هو ولعب فانتقضت عليه فئة بايعت باسيل صهر ليو الاول ومن المذهب اليعقوبي فاستولى على العاصمة بدون قتال ونفى منها زينو ورد الاسقف تيموتاوس العروس لكرسي الاسكندرية سنة ٤٧٧ والنفي قرار مجمع خلقيدونيا، فلما عاد هذا الاسقف للاسكندرية دخلها كفاتح فاستبد بالامر وعزل ونصب وقطع ووصل كما شاء واعاد لمدينة افسس مقامها البطريركي الذي كان مجمع خلقيدونيا حرما منه. لكن لسوء حظ المصريين لم تمض سنتان حتى تغلب زينو على باسيل وقتله

(١١) ثم عزل الاساقفة اليعقوبيين من كرسي مصر وجدد العمل بقرار مجمع خلقيدونيا اما تيموتاوس العروس فكان بهذا الاثناء قد توفي وخلفه بطرس منجوس فأبدله زينو بتيموتاوس الامبراطوري ليكون طوع يده ومراقباً سياسياً على المصريين

(١٢) الا ان لما كان مصدر المداخل الكنائسية هو الشعب جاز له الاعتراض على تأديتها لاسقف من غير مذهبه فبعث للقسطنطينية كاهناً اسمه يوحنا يسترجم الامبراطور بابدال الاسقف، فوعده

الامبراطور انه سيفعل متى سنحت الفرصة وبعد قليل مات ثيموتائوس وأراد الشعب يوحنا اسقفًا لكن الامبراطور لم يرده فدعى للاستقفة بطرس منجوس مختار الرعية سالفًا واتفق معه على العمل بقرار مجمع نيقيا وترك اللدد بشأن قرار مجمع خلقيدونيا

(١٣) فهرب يوحنا الى روما كمادة سالفه يتظلم لأسقفها فيليكس

فخطب هذا القسطنطينية بأمره وكان بطرس بهذا الاثناء قد تقص عهده مع الامبراطور وباشرا باضطهاد الرهبان المتمسكين بقرار مجمع خلقيدونيا فبعث له الامبراطور حاجبه قوسماس ينصحه ان يعتدل ولما لم يرتدع بعث القائد ارسينوس فسحبه مقيداً للقسطنطينية ليحاكم

(١٤) لكنه بعد قليل مات فيها فتوفى المصريون لانتخاب اسقف

وديع ذكي يُسمى اثناسيوس فضمد جراحات الكنيسة بحلمه وراح الامبراطور من اخبار النزاع والشناعات لأجل المذهب

(١٥) وكان بهذا الزمان فيلسوف افلاطوني يُسمى هيروقليس وكانت

الناس تقبل عايه لاستماع فصاحته التي لم يتعرض فيها للمسيحية قط فأراد الحاكم اكراهه على اعتناق هذا الدين لكن الامبراطور أمر بالعمو عنه . والمؤلفات التي تركها لنا تشهدله بسمو الآداب وحسن الطوية

(١٦) والمظنون انه بهذا الأوان وجد ايضاً المنطقي تريفودوروس

الاسكندري ناقل اوديسه اوميروس متكلفاً فيها عدم استعمال حرف السين اقتداءً بالمنطقي نطور قبله الذي يقال بأنه نقل

الايادا متكافئاً فيها الاستغناء عن بعض حروف كالألف والباء وهو تكلف ان صحَّ عديم الفائدة وهن عبث الامور (١٧) وبهذا الزمان صنَّف العالم فلوطوس الصعيدي في ليقوبولي حكايته

الشعرية باختطاف هيلانه وهي حكاية عن ثلاث إلهات ، وينوس ويونو وهيلانه ، يتخاصمن أيهن الأجل فيحكم بينهما فاريس خاطف هيلانه واخذها الى تروادا حيث كانت الحرب الشهيرة بسببها ، وهي حكاية من خرافات اليونان القديمة الا ان حكاية فلوطوس اكثر احتشاماً مما آتى قبلها اذ الحكم فيها لجمال الوجه فقط واكثر ما كان من تهتك وينوس امام الحكم انها كتفت له عن ثديها (١٨) ولعدم وجود من يستحق الذكر من علماء المسيحيين بهذا الزمان نكتفي بذكر عوطاليس اسقف سولقة بالصعيد الذي خلف بعض ملاحظات على رسالات الحواري بولس اهداها للبطررك اثناسيوس وبعده بقايل جمع المنطقي حزقيوس قاموسه اليوناني الذي كان اوفى قاموس لذلك الوقت . ومن استعاراته له بعض امثال من الانجيليل يُستفاد بأنه كان مسيحياً

(١٩) ومن كتب هذا الزمان ايضاً كتاب طويل بالطب للنطاسي عيتيوس الاسكندري يصف فيه علاجات الاولين والآخرين حتى ما هو لتطرفة جمال المرأة ، وينقل عن الملك نَحْفَسوس فائدة خاتم اليصَّب الأخضر لبعض العلل

انستاس سنة ٤٩١ م الى ٥١٨

(٢٠) ولما آل الحكم الى انستاس جرى سياسته على قدم سافه في مصر فان الاربعة الاساقفة الذين تداولوا كرسي الاسكندرية بزمانه كانوا يعقوبيين ، وهم يوحنا ويوحنا آخر وديوسقوروس وتيموتاوس حتى توهم المصريون بأنه من مذهبهم ، فأراح البلاد من المنازعات الدينية . اما اساقفة باقي المملكة فلم يكونوا راضين عن نفوذ يعقوبيين لابل ان المؤرخ الكنائسي يصف تلك الازمنة بأزمة الضلال والفتور بالدين . واسقف تونس يزعم بأن المصريين ابتأوا حينئذ بمرض تركهم ينبحون بالاسواق كالكلاب ولم يكن له دواء الا الرجوع لمذهب مجمع خلقيدونيا

(٢١) لكنه لم يتم له تنصيب الاسقف ديوسقوروس بدون مقاومة من الشعب بدعوى ان ارتسامه لم يكن على السنة الرسولية فاضطر حاكم الاسكندرية الى خفزه حتى اجلسه على كرسيه في كنيسة مارمرقص ومع كل لطف هذا الامبراطور بالمصريين لم يقدر على ازالة كرههم للاغريق فكان آخر امبراطور بيزنطي ساسهم بالحكمة

(٢٣) وبالسنة العاشرة من هذا العهد اغار الفرس على المملكة فدخلوا سورية . وسنة ٥٠١ خيم قائدهم قيادس تحت اسوار الاسكندرية لكنها أعجزته فارتد عنها خائباً إنما لا تقطع الطرقات بسبب دخول

الفرس البلاد انقطعت عنها واردات الطعام فحصلت مجاعة بالمدينة
وفشى بسببها الوباء حتى ضجَّ الناس بالمويل والبكاء فانبرى
لمواساتهم رجل غني من اليهود المتصرين اسمه ارييب واذ جاء احد
الفصح اخذ يوزع عليهم حسناته بكنيسة ارقاديوس لكنهم لشدة
حاجتهم وجوعهم كان ازدحامهم عليه عفاً حتى مات منهم فيه
فوق الثلاثمائة نسمة

(٢٤) ومن أثار هذا الزمان النفيسة نسخة بديعة الخط والتصوير من

كتاب ديوسقوريدس بالنباتات ونسخة بصفتها من سفر التكوين
كاتبها الان في مكتبة وينا (فيينا) ايس لها نظير

(٢٥) وبتنشر المسيحية تعطلت المراسح اليونانية القديمة وابدلت تلك

الطراغذيات الشعرية اللطيفة لاسقياوس وسوفول وعريديس
بسباقات الخيل ما خلا مراسح الاسكندرية التي ظلت مفتوحة لآخر
هذا العهد للاماب والرقص

(٢٦) وكانت المنارة القائمة على جزيرة فاروس من عمل بطليموس الثاني

قد اهلكت وكادت ان تخرب فأمر انستاس بالاعتناء بها وترميمها وهي
العلم الذي اهتدى به الملاحون للمرفأ مدة سبعمائة سنة. وعن اسم
هذه الجزيرة نقل الفرنسيون اسم « فار » للمنارة بلغتهم

الفصل العاشر

يوسن الاول . يوستينيان . يوسن الثاني . طباريوس

موريقي . فوقاس . هيراقليوس

سنة ٥١٨ م الى ٦٤٠

يوسن الاول سنة ٥١٨ م الى ٥٢٧

(١) وخلف انتاس على كرسي القسطنطينية يوسن الأول بينما كانت
الفرس تشن الغارات على اطراف المملكة التي كانت قوتها من سنة
لسنة تقل وتضعف نظراً لضعف العنصر اليوناني بالقسم الشرقي منها
فان تجزئة المملكة بين اولاد قسطنطين كانت نتيجةها تحويل العاصمة
من الاسكندرية لانطاكية . والآن اذ بدأ اليونان يهاجرون ايضاً من
انطاكية اخذت فئة من كنيسة سورية واسقفها سويروس باتباع
مذهب مصر اليعقوبي واكن الجمهور انكر عليهم ذلك وتهدد الاسقف
بالقتل فهرب للاسكندرية ، انما بوصولها وجد بأنه لا يمكنه ان
يصادق على مذهب المصريين برمته ايضاً . فان مذهبهم كان بأن

يسوع لم يُصلب بل سُبِّه للناظرين كجاء فيما بعد بالقرآن ، ومذهبه لم يكن كذلك . ولنا من تصنيفه شروط العماد باللغة السريانية يستفاد منها وجوب مسح جسم الطفل بالزيت المقدس قبل تغطيسه بالماء ولحق به كثيرون من رهبان سورية ونزل أكثرهم بدير جبل نظرية فصارت كتبهم فيه عربية وسريانية ولم يبق لغة اليونان استعمال البتة (٢)

لكننا بالسنة الثانية من هذا المهداد توفي الاسقف تيموتاوس ، نجد المصريين منقسمين الى فئتين فئة تقول بمذهب سويروس وفئة تقول بالضد . فأهل المذهب الأول اتخبوا غيانا اسقفا عليهم واهل المذهب الثاني اتخبوا تيودوسيوس . وتجدد النزاع بينهم لعدة سنين فتارة يسود حزب وتارة يسود الآخر وكلما ساد فريق اجلى الخصم عن الاسكندرية

(٣) وكان الامبراطور السالف قد اجتهد ان يحرك عرب حير اليهود اصحاب تجارة الهند والحبشة مع مصر ضد الفرس وانصارهم عرب اليمن فيوستن ارسل الآن لهم بعثا ينشطهم على ذلك وكان رئيس وفده يوليانوس فاستقبله ملكهم الحارث بأوفر حفاوة واکرام وهو راكب عجلة تجرها اربعة افيال ، عاري الصدر والاكتاف وعليه ازار من الحرير الموشى بالذهب وذراعه محليان بالدمالج المجوهرة ويديه بمجنّ ورمحان واکابر دونه حوله بالمدة الكاملة من السلاح وهم يرددون بحضرته اناشيد المديح . ولما ناوله الرسول كتاب الامبراطور

اخذته ققبل ختمه ثم عانق الرسول واستلم منه هدية يوسفن ثم فض
الحتم وقرأ الكتاب وأجاب بقبول ما اقترح عليه من مقاومة الفرس
شمالاً وخفارة طريق التجارة مع الاسكندرية جنوباً

يوسفينايا سنة ٥٢٧ م الى ٥٦٦

(٤) ولما آل الحكم الى يوسفينايا دعى الاسقفين من الاسكندرية
للمعاصرة ثم ابعدهما واقام يولس اسقفًا واحداً عوضهما ليعمل بقانون
مجمع خلقيدونيا. وبعد سنتين ابدله بالاسقف زويلوس ايضاً بالرغم
عن ارادة المصريين فاحتملوه ست سنين ثم طردوه وطردهوا كافة
اساقفة المذهب الاغريقي

(٥) واذا بلغ الامبراطور ما اجراه اليقويون بعث ابوليناريوس اسقفًا
وحاكماً على الاسكندرية فدخلها على رأس الجنود بزيه العسكري
ولما وصل للكنيسة خلع ثوبه العسكري ولبس بدلته الاسقفية وبشر
تلاوة الصلاة لكنه لم يفتح فاه حتى اتاه الرجم من كل مكان
واضطر الى الفرار من الكنيسة فسكت ثلاثة ايام ثم ارسل منادياً
بالاسواق يدعو الناس للكنيسة لاستماع قراءة كتاب الامبراطور
بالاحد المقبل فاجتمعوا واذا افتتح خطابه يهددهم بالقتل والنساء
بالسي ، رجوه كالاول لكن باشارة منه دخلت الجنود الكنيسة
شارعة سيوفها فوقعت على القوم تضربهم بها حتى جرى الدم للركب

وانصرف منهم من سَلِمَ . وبعد ذلك لم يجتريء احد على مقاومة
الاستقف الاغريقي الملكي وهذا كان اصل الروم الملكيين
(٦) ومن ثم استتب الامر للاساقفة الملكيين بصفة كهنه وولاية الا ان
مصالحهم الملكية كانت تشغلهم اكثر من الكنائسية لاسيا بتحصيل
الاعشار والمتاجرة بها مع اوربا . وبعد زمان صار مدخول
البطركية وزن الفي رطل مصري ذهباً او ثمانين الف ايرة انكليزية
من عملتنا الآن اما اليعقوبيون فكان بطركهم من صنف الرهبان
لا شاغل له عن الدعاء لام الله والحواري مرقص . واختلف الطقس
الكنائسي بين الفريقين فالملكيون ثابروا على تلاوة الصلاة القديمة
المنسوبة لمارمرقص زائدين عليها الشهادة بوحدة جوهر الاب
والابن . واليعقوبيون صاروا يتلون الصلاة الجديدة المرتبة لهم من
كيريل وباسيل القيصري وغريغوريوس النازينزي باللغة القبطية
والشهادة بالطبيعة الواحدة الالهية كاثنين غيظهم من الاغريق
وكما سمعوا من جيرانهم العرب عدم تعرض الفرس لمذهبهم
وكنيستهم كلما ازدادوا كرهاً وبنضاً لولاهم
(٧) فانتبه الامبراطور اخيراً لهذا الحيف وشعر بضعف مملكته
والخطر الذي يهدده من جهة الفرس فأعرض عن الجور على
اليقوبيين لابل انه اعتنق مذهبهم ومذهب العرب جيرانهم رغبة
في اكتساب ولائهم

(٨) اما الفرس فبعد استيلائهم على سورية وانطاكية دخلوا حجر عاصمة النبط فأمر يوستينيان ببناء حصن بالقرب من جبل سينا . وبالسنة الثلاثين من ملكه تم البناء فشحنه بالرهبان على نفقة الخزينة . ثم وجده منكشفاً من تلٍ اعلى بالجبل فغضب على بانيه وقتله وبني قلعة اصغر على ذلك التل . ومن كتابة الرهبان الباقية على جدران هذه القلعة يستفاد منها اعتقادهم بأن هذا التل هو المكان الذي فيه وقف موسى الكايم وانزلت الوصايا العشر

(٩) وبالقرب من هذا الزمان كان ايضاً بتيان ديرين اشبه بالحصون على نحو عشرين ميلاً من البحر الاحمر وثمانين جنوباً من اسوان لا ابواب لهما ، الا ان جدرانها كانت من الابن . وكان احدهما على اسم مار انطونيوس والآخر على اسم مار بولس اول النساك المسيحيين . ومن ذلك الوقت الى يومنا هذا لم تخل هذه الاديرة من الرهبان واققرهم وسلامة طويتهم لم يتحرش بهم باغٍ بينما حصون الظلم والعدوان من حولهم قد دكها الغزاة دكاً وبادوا اهلها

(١٠) ولذاك العصر كانت تجارة الشرق الاقصى والصين مع مصر تمر بجزائر سيلان وسوقطرا ليد عرب وزنوج اميين لا يستفاد منهم شيء عن تلك البلاد فظل الافرنج زماناً يظنون بأن مصادر تلك الاموال من الحرير وغيره هي بلاد العرب اما سيلان فكان فيها كنيسة للسريان من رعايا مملكة فارس . والعملة الجارية فيها كانت رومانية . فهذا

الزمان زادت حركة التجارة معها، بعد ان ملك الحبشة حداد اليهودي كان قد زحف ضد يهود حمير وقتل ملكهم داميانوس (١) لما كان يصدر منه من التعدي على قوافل التجار. ثم قام بخفارة الطرقات وطلب من الامبراطور ان يبعث له مرشدين للمدين المسيحي فبعث له الراهب يوحنا رجلاً صالحاً ذكياً، الذي صار فيما بعد اسقفاً لعدولا وربما ان هذا الانتصار هو المنوء عنه بكتابة على قاعدة من الرخام قرأها التاجر قوسماس الاسكندري تقول بأن الملك جاز البحر الاحمر ووضع الجزية على العرب والصابئين وأذل قبائل الشمال وفتح الطريق لمصر وقهر الافريقيين شرقاً على شطوط ارض البخور ومرّ بجبال الثلج التي تخرج منها احدى شعب النيل، وهذا اول خبر سمعناه عن وجود الثلج بالقرب من خط الاستواء. اما اسم الملك فلم يعرف لانه كان مقطوعاً منها

(١١) فالآن ارسل يوستينيان بعثاً لحير وبعثاً آخر للحبشة فدخل رسوله اولاً عدولا على طرف بلاد الزنج البحري ومنها صعد بخمسة عشر يوماً الى عاصمة البلاد اخمص. وشاهد بطريقة قطعاناً من الفيلة يحسب انها كانت تزيد عن خمسة آلاف رأس وبعد تأدية رسالته قطع

(١) له ذونواس

البحر الى ملك حمير قيس حفيد الحارث الذي كان يوستن
راسله قبلاً

(١٢) وبعد هذا الزمان انتفض الحيريون على الحبشة فجرد ملك الحبشة
جيشه ضدهم وأخضعهم وأقام عليهم ملكاً مسيحياً اسمه غطيافوس
الذي استدعى الاسقف غريغوطوس ليرشدهم للمسيحية فكانوا
يجادلونه ويعترضون على التثليث الى انهم اتفقوا على مجادلة علنية
تكون ببلاط الملك بين الاسقف والحاخام هرمان . والمؤرخ الكنائسي
يقول بأن لما هرمان أنكر التثليث ضربه الله مع رفقائه اليهود بالمسي
لكنهم بدعآء الاسقف عاد لهم بصرهم وتنصروا عن آخرهم
وهم وقوف

(١٣) ثم انهم بعد قليل انتفضوا على غطيافوس فبعث ملك الحبشة
جيشاً ليخضعهم لكن لما وصل الجيش اليهم استمالوه بهداياهم وتلفهم
فأبى محاربتهم وآخاهم، فاضطر الملك الى مصالحتهم. ويستفاد من كتابة
رومية على حجر في اخمص بأن بعد هذا الملك وجد ملك يسمى
الجانس تقول الكتابة بأنه المربح ملك الملوك سيد الحبشة والزنج
والصائبين وارض حمير وقاهر البجاة سكان الشمال بين اخمص ومصر
(١٤) وكانت اخمص مزدانة بالعمد وفيها مسلات كمسلات مصر ولم
تزل منها واحدة طولها ستون قدماً قائمة فيها، لكنها لا كتابة عليها.
ومن يهود الحبشة وصل الينا كتاب اخنوخ الذي اكتسب وقاراً من

استشهاد الحواري هود به والافانه كتاب مزور بعضه منقول من التوراة وبعضه مملق من قصص الميلاذ يوهم بأنه ينخبز بالحوادث قبل وقوعها والامر بخلاف ذلك

(١٥) وبهذا الزمان اعتل توريد الخراج من مصر للقسطنطينية من طمع الحكام والموظفين فرأى الامبراطور ان يجعل الحكام والاساقفة المسؤولين بتصدير ثمانمائة الف اردب سنوياً لعاصمته كان مصروف جمعها وتوريدها يبلغ ثمانين الف صولدي او ستين الف ليرة من عملتنا الدارجة

(١٦) ذلك كان حد ما اتاه هذا الشارع البارح من الاصلاحات التي لا فائدة منها للمصريين . لا بل ان رجلاً طماعاً بالاسكندرية يسعى باحتكار كان قد اكتسب مودته ونال منه امتيازات سمحت له حيفاستوس مؤن البلاد فكان يشاطره بالارباح منها ويجور على الفقراء بينما العربان تسطوا على بعض املاكه بالصعيد والزمال تغطي البعض الآخر واللغة صارت هناك اكثرها عربية

(١٧) ولهذا الزمان كانت جزائر بريطانيا تحتبط من تعدي النكسون عليها ، والرومان لا يهتمون لها لبعدها عنهم وضعفهم عن حمايتها . اما تجار الاسكندرية فكانوا اذا جاء الصيف يفتدون اليها ببراكبيهم وغلاهم للمقاوضة بقصديرها وفضتها فيبيعون كيلة القمح بما يوازي عشرة بنسات من عملتنا الحاضرة . وهكذا كان الفينيقيون يفعلون

قبلهم بثمانمائة سنة وأكثر ومع ذلك لذلك الوقت لم يخطر للبريطانيين ان يتعاهوا طريقة الاسفار البعيدة برا كبهم . وهذا السفر كان اطول سفر تلك الايام وأبعد من السفر من البحر الاحمر لسيلان لكنه ربما استغرق عشرين يوماً فقط اذا ساعده الهواء والأقشهرآ . ولا شك بأن قدوم هؤلاء التجار لشطوط بريطانيا قد أفاد برابرتها مباديء التمدن وهيأهم له

(١٨) ولما ألقى الامبراطور مسؤولية الخراج على الحكام والاساقفة والموظفين معهم وكانت الفقراء أحياناً تسطوا على انبار الخنطة وتمبها اضطر حاكم الاسكندرية الى تحصين انبار الخراج بالقبائل فبنى حولها سوراً منيعاً واصلح القنطرة المؤدية لقرية حبروم ونقل داره الى مسافة يوم غربي الاسكندرية احتياطاً من ثورات المصريين

(١٩) ثم ان يوستينيان امر بأن لا تُستأنف دعوى للعاصمة قيمتها تحت عشرة ارطال ذهب اي خمسمائة ليرة انكليزية ، وحرّم على من بقي بالاسكندرية من علماء الفلاسفة ان يخطبوا فيها، فهاجر منهم كثيرون الى سورية حيث الفرس اكرموا مشواهم لابل انهم فيما بعد لما عقدوا شروط الصلح معه اشترطوا عليه قبول هؤلاء العلماء بالاسكندرية وعدم التحرش بهم

(٢٠) ولذلك الزمان كان يظن بأن ارض مصر لا تعرف الزلازل، لكن المؤرخ اغاتيا البيزنطي الذي كان بالاسكندرية ليلم دروسه فيها

بعد درسه الفقه في بيروت يخبرنا بأنه بوجوده بالاسكندرية اشعروا
بزلزلة وتركوا بيوتهم خوفاً من سقوطها عليهم وان لم يسقط منها شيء
(٢١) ومن بدع هذا الزمان كان ما ذهب اليه الراهب تيمستايوس من
انكار العصمة من الخطأ ليسوع، وما ذهب اليه الراهب تيودوروس
من انكار بشريته . وكان قوسماس التاجر المذكور آنفاً قد ترهب
أيضاً وصار يقول بأن البحث بنص الكتاب المقدس حرام، وقول
علماء الهيئة بأن الأرض كرة هو كفر بنص التوراة الذي يقول
بأنها مسوطة

(٢٢) وبأول الامر كنا نرى المسيحية تستند على الفلسفة لتقوية دعائم
الايان . لا بل أنها كانت شريكها بالعلوم وسيدتها بالآداب . لكن
اذ عقب ذلك اضطهاد خمسين سنة من عهد ديقايوس الى ديوقليتيان
وتكاثر عدد المنتسبين لهذا الدين صار احق الرهبان يستهزيء بآراء
قلاماس واوريجين ويلعنهما . ولكره هذا الجمهور اسم العلماء صار
يكره حتى العلوم نفسها

(٢٣) وبالسنين الاخيرة من اسقفية ابوليناريوس لم يكن له ادنى اعتبار
عند الاغناطيين ولا التيودوسيين ولا اليعقوبيين فاعتزلوا كلهم عن
كنيسته ثم اذ مات أحد الاساقفة وأراد ابوليناريوس اقامة أسقفاً
عوضه لا يرضي الاغناطيين تنفوا لحية أحد رهبانه بأسواق الاسكندرية
ثم بعد قليل مات ابوليناريوس وأقام الامبراطور الاسقف يوحنا

خلفاً له ، فالقبط لم يستعرفوه واليونان أهموه بالمانوية . وبعد ثلاث سنين مات فانتخب القبط بطرس اليعقوبي بطركاً لم ترضه الاغريق وبالسنه التي مات فيها يوستينيان مات بطرس ايضاً

(٢٤) وكانت نقود مصر من عهد ديوقاينيان قد صارت كلها سلطانية . اما نقود يوستينيان فكان منها ما عليه اسم الاسكندرية بالحرف الاغريقي وصورة الامبراطور و بازائها علامة الصليب ، ووزنها كان غير اوزان نقود القسطنطينية . فان نقود القسطنطينية كانت من ٥ و ١٠ و ٢٠ و ٣٠ و ٤٠ درهماً معبر عنها بالحروف الابدية ه ي ك ل م اي M A K I E أما نقود الاسكندرية فكانت أولاً بوزن اثني عشر درهماً معبر عنها بالحروف ب ي اي B ثم صارت بوزن ثلاثة وثلاثين درهماً معبراً عنها بالحروف ل ج أي ٨ ٢ ولما بالمداولة خف وزن الاولى صارت الثلاثة منها تصرف بواحدة من الاخيرة . وأظن ان الدرهم عندهم كان وزن اثني عشرة حبة خرنوب

يوسن الثاني سنة ٥٦٦ م الى ٥٧٨

(٢٥) في عهد مرقيان كانت جزيرة فيله وفيها معبد ايزيس ملجأ وثنيين . ذلك الزمان اما في عهد يوسن الثاني ، يظهر من كتابة وجدت فيها أخيراً ، بأنها صارت أسقفية ومعبدها صار كنيسة وحكم هذا الامبراطور

اثني عشرة سنة لا شيء فيها مما يذكر عن أحوال مصر ولا بالأربع
السنين بعدها من حكم طيباريوس

موريتاني سنة ٥٨٢ م الى ٦٠٢

وكسرى

(٢٦) ثم آل الحكم الى موريتاني زوج ابنة طيباريوس . وبالعشرين سنة
التي حكم فيها كانت المملكة على نوع ما مطمئنة لانشغال أخصامها
الفرس بحركاتهم الداخلية الى أن أسقطوا ملكهم كسرى حفيد
كسرى النوشروان فهرب منهم ملتجئاً بموريتاني وراجياً منه أن يمد
برجاله وماله ضد أعدائه فأجبه موريتاني ورثى لحاله وأمدّه بما طلب
فسار نحو بلاده واستعاد كرسية وعزّه فزوجه موريتاني ابنته وظل
عنده بمهزة ولد الى ان مات

(٢٧) وبهذا الزمان أنشأ هولوجيوس أسقف الاسكندرية نزلاً للفقراء
واشتهر الراهب أنستاس من دير جبل سيناء بعلم اللاهوت وألف
الناسك يوحنا قليماقوس في وادي طلي على سفح الجبل المذكور
كتابه بفضل العيشة الرهبانية الذي سماه أدراج النعيم وقسمه الى
ثلاثين درجة كعدد الثلاثين سنة الاولى من سني يسوع

(٢٨) انما الاعظم شهرة من رجال تلك الايام كان المنطقي يوحنا الفيلسوف
الارسطوطاليسي ولكنه لقوله بأن الآلهة هي ثلاثة خرج عن الكنيسة

وهذا هو يوحنا الذي عرفه عمرو بن العاص فاتح مصر فيما بعد واكرمه
 (٢٩) وناخر أيام موريقي ألف تيوفيلاقطوس سيموقطا كتابه بحياة هذا
 الامبراطور وحروربه مع الفرس يقول فيه بأن الليلة التي مات فيها
 بالقسطنطينية سقطت أنصاب الاسكندرية من قواعدها وان انساناً
 نصفه حيوان خرج قبيل ذلك من النيل وأخبر بقرب أجله
 (٣٠) وبينما كان المشرق يحيم عليه ظلام هذا الجهل بزغت شمس الهدى
 والعرفان في اقليم انكلترا المسى الآن كينت بقدم الراهب الروماني
 اغوسطين مبشراً بالسيحية فيها، وأنورت مكة بالهلال المحمدي

فوقاس سنة ٦٠٢ م الى ٦١٠

(٣١) ثم انتقض الجند بالقسطنطينية على موريقي، وأحدهم فوقاس توصل
 الى قتله فرغمه الجند لسكري المملكة . لكن اذ بلغ كسرى قتل
 حبه كراً بجيشه للانتقام من قاتليه فاخترق البر الى ان خيم تحت
 أسوار القسطنطينية ، ولما لم يقدر على فتحها ظل محاصراً لها مدة هذا
 الحكم كلها فتضايق أهلها لانقطاع المؤن عنهم وضجروا من استبداد
 فوقاس بهم . وبالسنة السابعة من ملكه خلعت الاسكندرية طاعته
 وبايعت هيراقليوس ابن حاكم القبروان امبراطوراً وقتل البيطرك بالحركة
 فيها . وبعد قليل دخل هيراقليوس بأسطوله مياه القسطنطينية واستولى
 عليها فقتل فوقاس وأخذ كرسية

هيراقلوس سنة ٦١٠ م الى ٦٤٦ والفرس

(٣٢) وبالتلات السنين الاولى من حكم هيراقلوس كان اسقف الاسكندرية تيودوروس. ثم انه مات فأقام الامبراطور عوضه الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرس برضى المصريين، فأصاب لأن هذا الأسقف أبدى من الاحسان والرأفة بالفقراء ما اكسبه لقب المحسن، وبتدة الحس السنين الاولى من اسقفية بني عدة مستشفيات للمرضى ولتوايد النساء ونزلاً للبايسين. وكان مذهبه بالمسيح انه لم يُصاب بل شَبَّه لهم

(٣٣) أما الفرس فانهم بقدم هيراقلوس للقسطنطينية رحلوا عنها وانتشروا بأمالا كلها الشرقية الى حدود مصر. فكانت تهرب من وجههم السكان الى الاسكندرية حتى ضاقت المدينة بالفقراء والمسلوبين واضطر البطريرك يوحنا الى مساعدتهم فأنفق عليهم من خزينته قيمة ثمانمائة الف ليرة من عملتنا الدارجة الآن واستدان فوقها مبالغاً آخر لسد احتياجات هؤلاء المساكين، ولسوء حظهم لم يفر النيل بتلك السنة فأحلت البلاد وقت الأظعمة وتسربت الايادي. وبالسنة الخامسة من هذا العهد فتح الفرس اورشليم والثامنة فتحوا الاسكندرية واشتروا منها ما كان فيها من حبوب الخراج بثمن بخس جداً. ومن ذلك الحين انقطع خراج مصر عن القسطنطينية

(٣٤) وكان حاكم مصر نيقيطا يرى أن لا قدرة له ولا مدد من القسطنطينية لرد الفرس فهرب لقبرس والبطارك يوحنا معه . وهكذا لما وصل الفرس للاسكندرية دخلوها بدون قتال لا بل بالترحاب من القبط الذين كان اول اهتمامهم انتخاب اسقف يعقوبي يُسمى بنيامين بدون تحرش من الفاتحين ولا حرج

(٣٥) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية الأسقف السوري توما ليصحح ترجمة العهد الجديد السريانية على الاصل الاغريقي الذي كان في دير مار انطونيوس ، وتصحيحه هذا صار المعول عليه فيما بعد . اما الترجمة الموجودة الآن في دير الرهبان الاغسطويين في روما فهي من عهد هيراقلوس . وبهذا الوقت كان العالم السوري بولس من طلي بدير مار زاخوس بالاسكندرية يعنى بترجمة التوراة من النسخة السبعينية الاغريقية . وفيه شاع ذكر النطاسي هارون السوري الذي صار فيما بعد قدوة اطباء العرب . وازداد بهذا الزمان توارث الرهبان السوريين لا سيما من شرقي الفرات الى جبل نظرون ولم يتقطع لقرون عديدة

(٣٦) ولما كانت السنة العاشرة من احتلال الفرس ارض مصر انتقض عليهم انصارهم العرب والسوريون الذين سهلوا لهم اولاً هذا الاحتلال نظراً لما بينهم وبين المصريين من الإخاء فاغتم هيراقلوس

فرصة هذا الانقسام وزحف ضدهم فأجلاهم بوقت قصير عن سورية
ومصر وهرب البطريرك اليعقوبي معهم

(٣٧) وبالسنة الثانية عشرة من حكم هيراقليوس وهي سنة ٦٢٢ م
هرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، داعي العرب للإسلام ، من
اعدائه القرشيين بمكة الى المدينة في ليلة الجمعة سادس عشر شهر
جولاي الذي صارت تُورَّخُ منه فيما بعد سنة الهجرة . وبعد ذلك
رأى هيراقليوس اتحاد العرب واتفاقهم على النبوة فكان يجاملهم
ويكرمهم بهداياه الى أن قبض النبي ققطع علاقته معهم

العرب والخلافة سنة ٦٣٢ م و ١١ هجرية

(٣٨) و بُويع لأبي بكر بالخلافة بالمدينة في شهر ربيع الأول في اول
سنة احدى عشرة هجرية يوم توفي النبي . قال عُمر ان أبا بكر كانت
يبعته فأتته وفي الله من شرّها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فأبى رجل
بايع رجلاً من غير مشورة من المسامين فليقتل الرجلان . وقيل لما بلغ
ذلك علي بن ابي طالب لم ينكره . واكثر ما روي أنه قال ، ما شاورتني
فأجابته ابو بكر ، ما اتسع الوقت للمشورة وأنا خفتنا ان يخرج الامر منا
ثم صعد المنبر فقال أقبيلوني من هذا الامر فلست بخيركم . فقال علي
لا تقياك ولا نستقياك ، فأجمع الانصار والمهاجرون على خلافته التي
بايعه عليها اولاً عُمر فقط

(٣٩) ولما ذاع خبر وفاة النبي ارتد خلق كثير من العرب ومنعوا الزكاة واشتد رعب المسلمين بالمدينة لاطباقهم على الردة فأووا الدراري والعيال الى الشعاب ، فأمر ابو بكر خالد ابن الوليد على الناس وبعثه في اربعة آلاف وخمسة مائة من الرجال فسار حتى وافى المرتدة وناوشهم القتال وسبى ذراريهم واقتسم اموالهم . ثم ارسله ضد مسيامة باليامة لادعائه النبوة فخاربه ورماه عبد اسود اسمه وحشي بحربة وقعت على خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً . ومن هناك توجه خالد الى ارض العراق وفتح الخيرة صلحاً . ومسيامة المذكور هو الملقب بالكذاب

(٤٠) وكان ابو بكر قد وجه قبل ذلك ابا عبيدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هيراقلوس ورود العرب ارض الشام فوجه اليهم البطريق سرجيس في خمسة آلاف رجل لمحاربتهم . وكتب ابو بكر الى خالد عند افتتاحه الخيرة بأمره ان يسير الى ابي عبيدة بالشام ففعل والتقى العرب والروم فانهمز الروم

عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ الى ٢٣

(٤١) قيل ان ابا بكر لما دنا اجله قال لعثمان بن عفان كاتبه ، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن ابي قحافة وهو في آخر ساعات الدنيا وبأول ساعات الآخرة ، ثم غمي عليه ، فكتب عثمان

« الى عمر بن الخطاب » . فلما أفاق قال ، من كتبت ؟ قال عمر قال قد اصبحت ما في نفسي ولو كتبت نفسك لكنت اهلاً له وأجمعوا على ذلك ودعوه خليفة خليفة الرسول ، ثم قالوا هذا يطول فسعى امير المؤمنين

(٤٢) وفي زمان خلافته كان فتح العراق وسقوط ملك العجم وفتح دمشق واورشليم ومصر . واذ بلغ مصر ان العرب يقصدونها هرب بطرك الاسكندرية جرجس بجرأ واقام الامبراطور عوضاً عنه الاسقف قيروس الماروني الذي كان على مذهبه بالقول بالطبعتين والمشيتة الواحدة خلافاً لمذهب المللكيين القائلين بالطبعتين والمشيتين ولمذهب اليعقوبيين القائلين بالطبيعة والمشيتة الواحدة . فازداد هؤلاء نفوراً من الاغريق وكرهاً لهم وهكذا لما دخل عمرو ابن العاص ارض مصر وجدهم من انتصاره ضد الروم . اما الاسكندرية فكان فتحها في الثاني والعشرين من شهر ديسمبر سنة ٦٤٠ م وغرة محرم سنة ٢٠ هجرية

(٤٣) ولما شاهد عمرو مدينة الاسكندرية عجب من عظمتها فكتب الى امير المؤمنين عمر يقول اني فتحت مدينة مصر العظمى ووجدت فيها اربعة آلاف قصر ومثلها حمامات واربعائة مرسح واثني عشر الف حانوت واربعين الف يهودي يدفعون الجزية واني باعث اليك ما طلبته مني من الطعام اجمالاً يكون اولها عندك وآخرها عندي

- (٤٤) وكانت شروط عمرو مع المقوقس زعيم القبط على ان تكون للقبط الحرية المطلقة بدينهم وعليهم جزية ذهبين عن كل رجل . فقول المؤرخ العربي ان الجزية جمعت ثمانية آلاف الف ذهب فيه إما مبالغه واما جور من عمرو مما اشتهر عنه من الرفق بالمصريين لانه من المحقق بأن ذلك الشعب برمته من صغير وكبير رجالاً ونساء لم يكن حينئذ يفوق اربعة آلاف الف نسمة
- (٤٥) وقد لاقى عمرو بفتح الاسكندرية تعباً جماً ومقاومة عنيدة من الروم ، وليس كما يزعم ابو الفرج بأنه فتحها صلحاً
- (٤٦) فالاسكندرية رغمًا عن انحطاطها عما كانت بأوان عزّها فانها بعين هؤلاء العربان كانت تُرى ولا بد بنهاية الجمال والكمال . فان الناظر اليها من البحر كان يرى تلك المنارة على جزيرة فاروق وهي اول منارة عرفها الناس واستفادوا بها . ثم يرى السد الذي يصلها بالبر على ثلاثة ارباع الميل وتحت القناطر لمرور المراكب الصغيرة من مرفأٍ لآخر . اما قناة الماء العذب التي كانت فوقه فانها كانت قد تعطلت . ثم بنزوله للبر كان يدخلها من باب الشمس . وبمبدأ منه يرى باب القمر وبينهما طريق واسع مستقيم ميزان بالعمد وفيه ضريح الاسكندر وطريقاً آخر يعارض هذا ذاهباً شرقاً وغرباً من الباب القانوني الى باب المقابر الذي لم يكن باقٍ من عمُد زينت الأ قليل . اما الموزيوم الجديد فكان قد اقر من الطلبة ، ومدرسة الفلسفة المسيحية

قد مُحي أثرها . وخارج الباب الغربي كانت ترى المقابر القديمة
والمسيحية الجميلة المنظر . اما مقبرة اليهود فكانت حقيرة وخارج
الباب الشرقي . وكان يرى بالقرب من الباب الغربي داخل السور
معبد سيراييس البديع الذي لم يبقه جمالاً غير قايتول روما ، وقد صار
الكنيسة الكاتدرائية وفي ساحته العمود الشامخ حاملاً تمثال
ديوقليتيان على فرس . وتليه كنيسة كانت قديماً معبد قيصر او
السياسة امامها مسلتان من عمل ثيبه أتى بهما الرومان الاولون وبقيتا
لزينة كنيسة مسيحية . وكانت بالمدينة كنائس اخرى اعظمها
كنيسة مار مرقص ، والسيدة ، ويوحنا المعمدان ، وتيودوسيوس
وارقادوس ، وياخوس ، وكان الميدان على الشاطيء الشرقي قد صار
خراباً ، ومن تلك الجهة كانت ترعة النيل تأتي المدينة لشربها وعلى
هذا الشاطيء كانت مخازن الخراج المحصنة وغير بعيد منها كانت
الثكنة القديمة وفيها بقايا اعمدة كان اغسطوس احضرها لبناء مدينة
نيقوبوليس . وكان البروخيوم الحصن القديم والشبيه بمدينة قد
اصبح خراباً ، وحارة اليهود لم يبق فيها غير فقراء يدفعون الجزية
(٤٧) الا ان هذا الانحطاط لم يكن شيئاً ازاء ما جلبه تسلط البدو على
هذه المدينة . وما كلهم غمر ولا عمرو . فانهم اولاً ضيقوا مجالها عما
كان ، تاركين عمود ديوقليتيان خارجاً عن السور الجديد وبعد ذلك
اكتفوا منها بالسدة فقط نظراً لقلّة سكانها . ولم يبق من مزارع مصر

سوى ثلاثة آلاف الف فدان او الثلث مما كانت اوان عزها
 (٤٨) اما مكتبها الشهيرة فان التي جمعها البطالسة بالموزيوم في
 البروخيوم كانت قد احترقت بحصار يوليوس قيصر فيه . والتي
 أهداها مارق انطوني لقلاو فطرا وكانت في معبد سيراييس لعهد
 يوليان قد اتهمت من المسيحيين بعهد تيودوسيوس . لأن المؤرخ
 اوروسيوس الذي زار معبد سيراييس بهذا العهد يقول بأنه لم يجد
 فيه حينئذ كتابا . لكن لا بد من أن يكون لعبد قيصر والموزيوم
 القلودياني من مكتبة لأننا نرى علماء الوثنيين لعهد يوستينيان
 والمسيحيين بعده مشتغلين بالتدريس والتصنيف الذين لا بد لهم من
 المكاتب . انما قول عبد اللطيف بأن احراق هذه الكتب بأمر
 امير المؤمنين عمر قد كفى حمامات الاسكندرية ستة اشهر ففيه
 ولا شك مبالغة ، وربما ان الصحيح هو ان وقدها تدريجاً هو الذي
 اخذ هذه المدة الطويلة . اما اصل الحكاية فهو ان يوحنا المنطقي
 سأل عمرو بن العاص ان يسمح له بهذه الكتب اذ لا حاجة للعرب
 بها . فاستشار عمرو امير المؤمنين بأمرها فأجاب ان يحرقها لأنها ان
 كانت تطاوع القرآن ففيه غنى عنها وان كانت تناقضه فاعدامها
 واجب وهي شنشنة قد عرفناها من بعض المسيحيين قبله لا سيما
 وانها تخالف نص القرآن وقوله ، سبحان من علم بالقلم علم الانسان
 ما لا يعلم .

(٤٩) ومن هذا الزمان تحولت لغة مصر للعربية وخرجت الاسكندرية من نطاق اوروبا ودخلت بحكم الخلفاء وتاريخهم ، وخط العرب مدينة جديدة على انقاض مدينة بابل بين منف وهليوبوليس وسموها القسطاط . وبعد زمان بنوا مدينة اخرى اقرب الى هليوبوليس وسموها القاهرة . وزينوها بالمساجد والمآذن من انقاض الاسكندرية ومنف وهليوبوليس حتى اتنا نجد البعض من بلاطها ، واصحابها من اقدس البلاطات الوثنية ، تداس الآن بالارجل

(٥٠) وبالتدرج تزايد عدد المهاجرين لمصر من عرب وسوريين ، الا ان القسم الاكبر منهم قطن المدن وقليلاً ما اختلطوا بالفلاحين نسل قبائل الغالة من افريقيا الشرقية الذين اسلموا . أما القبط فما برحوا على دينهم المسيحي وحرقتهم الصناعة والتجارة . وبين سلسيليس والشلال الثاني نرى النوب سليلة النبط الذين حاربوا ديوقليتيان ومنهم كانت ملوك ثيبه وما ورآها . وهم والقبط كانوا اولئك الذين شادوا المعابد الضخمة وحنطوا موتاهم وكتبوا بالخط المصري القديم ، وكانوا وقتاً ما كاهن مسيحيين . وشرقي النيل بالقرب من القصير واي سنبل الى مروى نرى عرب العبادة اصحاب الجمال كما كانوا في عهد رمسيس . وبالصحراء بين السودان والبحر الاحمر جنوب اسوان نرى عرب البشارية نسل اولئك العربان الذين على

زعم الاغريق كانت عيونهم في صدورهم . ونرى بالحبشة سائلة اولئك اليهود المهاجرين من ايله ، وهي الآن عقبه ، ربما من قبل زمان سليمان وهم للآن اقرب شبيهاً بيهتهم ولغتهم لليهود من العرب . وجهة سيننا نرى عرب الطور سائلة قادة موسى الى عزرون جبر على خاييج ايله . وبالقرب منهم عرب العلويين سائلة الادوميين اخصامه اصحاب حجر ، وهي تعود القرآن

(٥١) وما زالت مصر من ذلك الزمان تسعد تارة وتشقى اخرى ، ومرسحاً تلعب فيه اغراض الرجال بدولة الاسلام الى ان صارت ولاية عثمانية ، ثم حكومة خديوية لا تأثير لها على المذاهب المسيحية لا سيما وان القبط لما اتقطعت مصاهرتهم لاروم والعرب المسيحيين ضعفت ذريتهم وقل عددهم .

(٥٢) ثم عندما شاع استعمال البخار لتسيير المراكب الثقيلة وتحولت الافكار لايجاد اقرب الطرق لمواصلات اوربا مع الشرق الاقصى ، عرض المهندس ده لِيَسْبِس (١) على الخديوي اسمعيل حفر ترعة لهذه المراكب بين البحر المتوسط والبحر الاحمر واظهر له فوائدها لمملكته ، فقبل رأيه وساعده على انشائها شركة تجارية . وتيسر له فتحها بايامه السعيدة سنة ١٨٦٩ م في السابع عشر من شهر نوفمبر باحتفال

(١) الذي كان ايضاً القنصل الفرنسي بالقاهرة وصار يعرف فيما بعد بالكونت ده ليسبس

عظيم حضرته الامبراطورة اوجني ، وصارت هذه الطريق تدعى
 ترعة السويس . وكان اسمعيل هماماً مقداماً كريماً الا انه قصير النظر
 بالعواقب ، والكريم يُخدع ، فخدعه رجال احاطوا به لكاسبهم وورطوه
 بالنفقة الفارغة فاستدان ولما عجز عن الوفاء سلّم خزينته لاهل الدين
 من انكليز وفرنسيين . ولأنه خالف رأيهم بعزله وزيره القبطي نوبار
 باشا تنفّر منه الانكليز ، وكانوا قد اشتروا منه ، برأى وزيرهم لورد
 بيقونسفيلد ، حصته من اسهام شركة الترعة فحملوا السلطان على خلع
 سنة ١٨٧٩ خلفه ابنه توفيق الطيب الذكر ، لكنه بعد قليل تلبّك
 امره من عصيان عرابي باشا وزير حريته الراغب في الغاء المراقبة المالية
 بتحريك من السلطان عبد الحميد سنة ١٨٨٢ . فاتفق الانكليز
 والفرنسيين على اسقاطه فاعجزهم ، وجيش المصريين لمقاومتهم . واذ
 كانت مراكب الانكليز بالطريق للاسكندرية لعبت السياسة
 بالفرنسيين فانسحبوا وتركوا الانكليز وحدهم لسد هذا الخرق
 فدخل الجنرال سارجانت ولسلي الاسكندرية باربعين الف مقاتل
 ولاقي عرابي في التل الكبير وهزمه ثم قبض عليه في القاهرة ونفاه سنة
 ١٨٨٣ بأمر دولة الانكليز الى جزيرة سيلان حتى سنة ١٩٠١ التي
 أُفرج عنه فيها . وعُيّن له معاش بالقاهرة من ستمائة جنيه بالسنة الى
 ان مات

(٥٣) وبهذا الاثناء كان توفيق قد توفي وخلفه ابنه الشاب عباس ، اذ

النائب الانكليزي بالقاهرة، الماجور اولن بارنج الذي كان اصلاً احد المراقبين الماليين وصار فيما بعد لورد كرومر، فخدثة سن الحديوي القت على عاتق هذا الكهل حملاً ثقيلاً بادارة البلاد ذمة اصحابها وسياسة للصالح العام . فأمّن البلاد وأجرى العدل واصلح المالية. ورأى من عباس جهلاً بهذه الخدمات وميلاً للاستبداد برأيه فاستعمل معه قساوةً القته بعصية الاستقلال . وكان الانكليز قد احتلوا السودان ، قاتلة رجاهم الصديق غوردون . فلبثوا يراقبون الحديوي عباس الى ان لما ابتدأت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وهو بالاستانة لم يأمنوا من عودته لمصر ورأوه يتناجى مع اخصامهم فأسقطوه من امارته وبايعوا عمه حسين سلطاناً حراً . ن تداخل الاستانة . وكان يرحى منه خير كثير لمصر لكنه بعد سنتين مات وخلفه اخوه فؤاد ونعم الخائف . والمأمول الآن ان تقدم البلاد المادي والأدبي المستفاد من اساتذتها الانكليز يسمح لهم بتركها لعهدة اهلها بطريقة تحفظ الامن للسكان وتقي مصر والترعة من التعدي عليهما ، لما لذلك من الاهمية لتجارة الدنيا بأسرها . ولعل المستقبل لا يلبث ان يرينا مصر من الممالك الراقية ومن انصار الشعوب الحرة السلمية ان شاء الله .

١٥ مارس سنة ١٩٢٢ . صح : — وها هي الآن مملكة دستورية !
 قات لها سيرى وارخي زمامه ولا تبعدني من جنالك المعلل

الاسلام

- (١) الاسلام ديناً هو دين التوراة والانجيل ، ومذهباً وشريعة هو أحد المذاهب المسيحية الجدلية (التي عرفناها بهذا الكتاب) والشرع الموسوي والعربي ، فلا حجة لنا عليه ولا اعتراض البتة . ولو انحصر الدين بمن خرج منه من الصُّلَّاح والفضلاء لبارى الاسلام أي دين كان . انما انتشاره السريع عند الذين قالوا آمناً ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، وتقصير الرعاة بانشاء المدارس ، واستبداد اكثرهم وعملهم بأهوائهم الشخصية ، يقرأون الكتاب فلا يتجاوز حناجرهم ، قليلاً ما افاد جمهور المسالمين من أممات الكتاب . والنفس أمارة بالسوء ، فاذلك نراهم أحط درجة من الامم الراقية ، فيسلبون هذا الدين محاسنه كما تم ذلك لجهال اليهود والمسيحيين قبلاً وبعداً
- (٢) اما الخلافة وعليها سل السيوف فانها بالوضع شوروية ، ومزيتها العدل وكمال التقوى والآداب والأفقي سلطنة عسكرية ، وليس لأجلها سيفة من شاء . ولا يصلح الله من أمر قوم حتى يصلحوا ما بأنفسهم . وفي الله الاسلام من استبداد الحكام المسلمين ، آمين
- (٣) ومن أول الزمان وقع في الاسلام التباين بالأراء كما وقع في

النصرانية . بعضه في الاصول وهو موضوع علم الكلام ، وبعضه في الفروع وهو موضوع علم الفقه . فالخلاف في الاصول ينحصر في اربع قواعد ، الاولى الصفات والتوحيد ، الثانية القضاء والقدر ، الثالثة الوعد والوعيد ، والرابعة النبوة والامامة

(٤) وكبار فرق الاصوليين ست ، المعتزلة وضدها الصفاتية ، والقدرية وضدها الجبرية ، والمرجئة وضدها الوعيدية . ويتشعب من هذه اصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة . وقد رأينا مثلها بالنصرانية

(٥) فالمعتزلة يعمهم من الاعتقاد نفى الصفات عن ذات الباري تعالى هرباً من أقانيم النصارى ، واتفقوا على ان كلامه تعالى محدث بخلقه في محلّ وهي المصاحف . وكان منهم احمد بن حنبل زعم ان المسيح تدرع بالجسد الانساني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما يقول النصارى . ومنهم عيسى الملقب بالمزدار بالغ في القول بخلق القرآن وان العرب كانوا قادرين على مثله فصاحةً وبلاغة . اما الصفاتية فانهم يثبتون لله صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة ، حتى من السمع والبصر والكلام الى حد التجسيم زاعمين بأن لا بد من اجراء حكم الآيات الدالة عليها كالاتواء على العرش وسفر التكوين . الا أن هذا المذهب نقضه ابو الحسن الاشعري بمنعه التشبيه

(٦) والقدرية ينفون القضاء والقدر فيقولون ان العبد قادر خالق لافعاله ومستحق عليها ثواباً ام عقاباً ، فالله تعالى منزّه عن ان يضاف

اليه شرٌّ وظلم وسموا هذا النمط عدلاً ، اما الجبرية فيقولون ان الله تعالى يخلق الفعل والقدرة في الانسان لكنها لا تؤثر بفعله وان أتت وشطت به فان الله مالك في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ، ولا يُسأل عما يفعل وهو في ذلك كله عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف بما يملكه المتصرف ، ويوافقون المعتزلة في نفي الرؤية وخلق الكلام (٧) والمرجئة يقولون بارجاء صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة ويقولون ايضاً انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . أما الوعيدية فيقولون بتكفير صاحب الكبيرة وان كان مؤمناً . فها أننا في كل هذا نرى خيال المسيحيين قبلهم واحسبه قد أخطأ المحجة ولو كنت بي من نقطة الباء خفزة رُفعت الى ما لم تنله بحيلة (٨) أما مذاهب الفرعيين المفسرين للأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهوره منها اربعة . مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومذهب مالك بن انس ، ومذهب محمد بن ادريس الشافعي ، ومذهب احمد بن حنبل . واركان الاجتهاد ايضاً اربعة ، الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وذلك لأنه اذا عرض لهم حادثة شرعية من حلال او حرام ابتدأوا بالكتاب فان وجدوا فيه نصاً عليها قضوا به والا فزعموا الى السنة وهي الحديث الصحيح عن النبي ، فان وجدوا فيها خبراً حكوا بموجبه والا فزعموا الى اجماع الصحابة لانهم راشدون حتى لا يجتمعون على ضلال ، وان لم يروا به مسنداً فزعموا الى القياس

لأن الحوادث غير متناهية والنصوص متناهية. وقد حان الآن التوسع
بالقياس كما يقتضيه حال الزمان

(٩) ومن الأئمة داود الاصفهاني نفي القياس أصلاً وابو حنيفة شديد

العناية به وربما يقدم القياس الجلي على احاد الاخبار، ومالك والشافعي
وابن حنبل لا يرجعون الى القياس ما وجدوا خبراً او أمراً، وكل هؤلاء
من اهل السنة وقد نقلنا خبر الامام علي عنهم لكنه فاسد عند الشيعة

(١٠) اما الشيعة فهم الذين شايهوا علي بن ابي طالب ابن عم النبي

وصهره وقالوا بأن الامامة لا تخرج من اولاده الا بظلم ويجمعهم
القول بثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبار والصغار وان الامامة
ركن من اركان الدين لا يجوز تفويضه الى العامة. ولهم ضد بالخوارج

الذين منهم من خطأ علياً فيما تصرف فيه ومنهم من كفره ومنهم
من جوز ان لا يكون في العالم امام اصلاً وان كان فيجوز ان يكون
عبداً او حرّاً او نبطياً اي اسوداً، اذا كان عادلاً وان عدل عن

الحق وجب عزله وقتله وكيف كان الامر فان قتل الحسين حفيد
النبي لا يُعذر

(١١) فعلى هذا البناء صار الاسلام احد اركان العالم الدينية الموقرة،

لكن انتشاره السريع وظروف الزمان التي شاع فيها لم تسمح بتهديب
جمهوره الهمجبي بعد هدمه اركان التمدن القديم ولم يتهدب بمدنير
حتى خرج الحكم من يد العرب فتوقف بينهم الاجتهاد وصدت

القرائح وأصبح الاسلام مقصراً عن اصل وضعه كما جرى قبلاً بالمشهد
المسيحي وقبله بالموسوي

(١٢) والحالة هذه فان النهضة العربية الجديدة لا تقوم الا بمالم
يكتنفها رجال صادقون يديرون مصالحها بالحكمة والعدالة والاقتصاد
مستندين على شعب طائع رزين يسهل لهم الاهتمام بترقية الآداب
وطرائق العمران واكتساب ثقة العالم المتزعزعة من سوء السياسة
السالفة



تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب في سبع عشرة
ليلة نخلت من يونيو سنة ١٩٢٠ م
والثلاثين من شهر رمضان سنة ١٣٣٨ هـ

﴿ وتم طبعه في أول شهر مايو سنة ١٩٢٤ م ﴾



فهرست الكتاب

الفصل الاول

صفحة ٥ الى ٣٤

وصية مالك مصر اليوناني والد قلاو فطرا

قلاو فطرا

موت پومي بالاسكندرية غيلة

وصول قيصر للاسكندرية

احتراق المكتبة

قيصرون بن قيصر من قلاو فطرا

موت قيصر في روما غيلة

مارق انطوني في طرسوس واستقباله فيها قلاو فطرا

عشفه لها

هديته لها مكتبة من برغاموس

انتصار اوقتاويانوس عليه

موت انطوني وقلاو فطرا

شجرة عائلة البطالسة

الفصل الثاني

صفحة ٣٥ الى ٦٧

- اوقتاويانوس الملقب اوغسطوس ، اي الجليل المعظم
 مصر ولاية رومانية
 هيرود المسمى ايضاً هيرود اغريباً الثاني ملك فلسطين
 عظمة تجارة الاسكندرية
 حاكم مصر يغزو العرب بالجزيرة
 روما تدين بدين مصر
 يهود مصر زهاء الف الف
 رهبان اليهود
 اغريباً عائداً من روما يمرّ بالاسكندرية
 فيلو اليهودي الافلاطوني
 اكتشاف طريق الهند بجرأ
 تجارة القرطاس
 الكيمياء المصرية
 خمر البلاد والغريب عنه
 فينكس الطائر الخرافي
 ابتداء التبشير بالمسيحية في الاسكندرية
 عصيان اليهود في فلسطين والحرب ضدّهم

الفصل الثالث

صفحة ٦٨ الى ٧٨

وسبازيان امبراطور قاهر اليهود
 ابولونيوس الكاهن المشعوذ
 خراب هيكل اورشليم واذلال اليهود
 دوميتيان يدين بدين المصريين ويشيد معابدهم في روما
 الشاعر الروماني يوينال يسخر من عبادة المصريين للبهائم
 حقيقة اعتقاد كنة مصر

الفصل الرابع

صفحة ٧٩ الى ٩٩

اعتبار اطباء مصر عند الرومان
 تخزين خراج مصر في روما بأمر تراجان
 تجارة الاسكندرية
 تنصر كثيرين من اليهود
 صنم ثيبه النغمي
 كتاب هديران عن أخلاق المصريين
 المسيحية المصرية
 شيوع التنجيم في مصر
 الاسكندرية ما برحت قطباً لعلوم الدنيا وتجاريتها رأى
 دلائل انتشار المسيحية -

الفصل الخامس

صفحة ١٠٠ الى ١١٣

ظهور ضعف يقيين جمهور المصريين .
ابتداءً الانقسام بين المسيحيين القبط والاغريق .
اضطهاد المسيحيين
فقر مصر

انتقام قراقلاً من اغريق الاسكندرية
الافلاطونية الجديدة

اوريجين المسيحي

تسطي الفرس على املاك الرومان الشرقية

الفصل السادس

صفحة ١١٤ الى ١٢٢

اوديناطوس ملك تدمر شريكاً لغيليانوس
تحسين حالة المسيحيين
كتاب الوحي

رينويا ملكة تدمر

فرموس من سلفكيه ملكاً في مصر

استقلال السودان

اضطهاد المسيحيين الشنيع

أريوس

شيوخ عبادة مترا والمناوية

الفصل السابع

صفحة ١٣٣ الى ١٥٨

قسطنطين واعتناقه الدين المسيحي

الانقسامات الكنائسية

مجمع نيقيا

اسم النصرى

بناء القسطنطينية وانتقال كرسي الملك اليها

تحول روما

تحول الاسكندرية

نزاع كنائسي

الانقلاب السياسي الناتج من انتشار المسيحية

امتداد الرهبنة

عجائب النساء

٢٤ روما تابعة مصر بالاراء الدينية

الاحتفال بالقرن الحادي عشر من بناء روما

التأثير أبراج الفلك بأمزجة الخلق

هيجان الوثنيين ضد المسيحيين

مؤقت البطررك اثناسيوس مؤسس السلطة الكنائسية

رهبان مصر

سباق الخيل في غزة

خروج حجّر من يد الرومان

صفحة ١٥٩ الى ١٧٨

الفصل الثامن

- ١ الضربة القاضية على الوثنية
٢-٣ خراب معابدها
٤ اتيهاب المكتبة
٧ تقاليد وثنية عند المسيحيين
نزاع ديني مسيحي
٤٤ سوء حالة مصر الاقتصادية
٤٥ هباتيا العالة الوثنية وموتها الشنيع على يد المسيحيين
٤٦ غريغوريوس الأول بابا روما مبشر الانكليز بالمسيحية
٤٩ نسطوريوس
٥٢ رهبان الافرنج في مصر
٥٤ تقدم صناعة عمل الورق
٥٩ شبان الارمن في مدارس الاسكندرية
٦٥ أوروبا يتهرول الى الخراب

صفحة ١٧٩ الى ١٨٧

الفصل التاسع

- ٣٥ ٤٤١ نزاع ديني بين المسيحيين
١ مجمع خلقيدونيا

النوب

- ٨ نزاع ديني مسيحي
 ٤ تواتر النزاع
 ٤٢ الفرس تحت أسوار الإسكندرية
 مجاعة وروباة فيها
 إحسانات اليهودي المتصر أرييب
 الفصل العاشر صفحة ١٨٨ الى آخر الكتاب

- ٤ . نزاع ديني مسيحي
 ٥ - الروم الملكيين
 ١٠ الحبشة
 ١٧ جزائر بريطانيا وتجارة مراكب المصريين معها
 ٢٦ موريقي وكسرى
 ٢٠ أغوسطين الراهب المبعوث من البابا غريغوريوس لبريطانيا
 ظهور الملال الحمدي بمكة
 ٣١ كسرى ينتقم من قاتلي موريقي
 ٣٢ - احتلال مصر من الفرس
 ٣٣ - قطع خراج مصر عن القسطنطينية
 ٣٦ - اجلاء الفرس عن مصر

- المهجرة النبوية

الخلافة

احتلال مصر من العرب

أمور المؤمنين ببحر يأمر بأحراق كتب مكتبة الاسكندرية

وسكان مصر حينئذ

مصر ولاية عثمانية

مصر حكومة خديوية

حضر ترعة السويس

احتلال مصر من الانكليز

الحرب العظمى

اسقاط الخديوي عباس

تحرير مصر من سيطرة الاستانة

حسين سلطان مصر

فؤاد ملك مصر

مصر مملكة دستورية

الاسلام والتهذيب العربي

اصلاح خطأ

صفحة	بند	سطر	خطأ	صواب
٥			العيلات	العائلات
٢٣	٣٧	٩	مجرهرة	مجوهره
٣٠	٥٣	١	اقتصاد	اقتصاداً
٣٢	٥٩	٢	كتابهم	كتابها
٣٦		٢	لولاية	بولاية
٤٠			حاشية	خمس عشرة
٤٤	١٩	١	يتحرش	يتعرض
٤٩		٤	يصلون	يصلون
٥١	٣٣	١	تتحرش	تعرض
٦٨	١	٤	اكتساب به	اكتسابه
٧٠	٢	٩	سنين	السنين
٦٩		١	أي	أي
١٠٣	١٠	٢	فصارت من	فصارت تكتب من
١٣٨	١٢	٤	مسجد	معبد
١٤١	١٩	٣	للار يوسين	بالار يوسين

صفحة	بند	سطر	خطأ	صواب
١٤٧	١٩	٣	يتحرش	يتعرض
١٤٩	٤٢	١	يتحرش	يتعرض
»	٤٣	٢	لغنّ	لغنّ
١٦٥		٢	يجترء	يجترى
»	١٦	٣	يسأشفون	يسأشفوا
١٦٩	٢٥	١٠	٥١٤	٤١٥
»	٢٦	٢	فيها	فيه
١٧١	٢٩	٦	الى الصحرا	بالصحرا
١٨١		٢	بأنهم لا	بالأ
١٨٦	٢٠	٥	عن	من
١٩٥	١٦	٣	باحتكار	حيفاستوس
»	»	٤	حيفاستوس	باحتكار
١٩٦	١٩	٦	لهم	بهم
٢٠١	٣٢	٦	بالمسيح	بالمسيح
٢٠٤	٤٠	٤٠	بأمره	بأمره
٢٠٥	٤٢	٣٠	مرسح	مرسحاً
٢٠٦	٤٦	٣	فار	فاروس

To: www.al-mostafa.com